جامعة دمشق

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الجهود التأريخية في العراق في العصر السلجوقي

رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب و الإسلام

إشراف الدكتور

غطاس نعمة

إعداد

نسيبه محمد

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

الإهداء

إلى وطني الحبيب سورية موطن السلام و الأمان و المحبة

إلى أسرتي الصغيرة التي زرعت في داخلي حبّ العلم و التعلم.

بطاقة شكر وتقدير

يسرني أن أقدم جزيل الشكر و التقدير

للدكتور غطاس نعمة

الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، ومنحني من وقته وجهده الشيء الكثير

كما أتوجه بالشكر و التقدير

للأستاذ الدكتور سهيل زكار

الذي تكرّم بتقديم الدعم و النصح و الملاحظات القيمة التي أغنت هذا البحث و ساهمت في انجازه.

وأشكر أخيراً كل من قدم المساعدة لي وكان له دور في ولادة هذا البحث .

الرموز الاصطلاحية

ت	=	توفي
ج	=	جزء
(د، ت)	=	دون تاريخ النشر
(د، م)	=	دون مكان النشر
ص	=	صفحة
ط	=	طبعة
ق	=	ورقة
م	=	ميلادي
مج	=	مجلد
هـ	=	هجري

المحتوى

مقدمة

نشأ علم التأريخ عند العرب نشأة طبيعية ارتبطت بالزمان والمكان والإنسان بشكل عام، تنامى هذا العلم وتطور ليمر بمراحل عديدة ارتبطت هذه المراحل بتطورات شهدتها الدولة الإسلامية تمثلت بتغيّر للفئات الحاكمة فيها، إضافة إلى اتساع مدارك الإنسان نتيجة لاحتكاكه بمن جاوره من الأمم و بعلومها المختلفة، إضافة لسعيه نحو البحث عن الحقيقة وتقصي مجريات وقائع الماضي.

شهد العراق في العصر العباسي تطوراً ملحوظاً جعله مركزاً من أهم مراكز الفكر والحضارة و السياسة في ذلك العصر، كما أنه برز كمركز جاذب لعناصر العلم و السياسة الذين قدما إليه حباً في البروز والاستزادة من علومه المختلفة.

حافظ العراق ولاسيما بغداد في العصر السلجوقي على بعض المميزات التي اكتسبتها في العصور الماضية، ولكنها عانت من ويلات تمثلت بكثرة العناصر التي تدخلت في سياستها وفرضت أنظمتها عليها سواء في مجال السياسة أم في مجال الفكر. فالعنصر السلجوقي الجديد شارك الخليفة في مهامه، كما فرض مذهبه الديني

و ساهم في السيطرة على العلوم من خلال تأسيسه لمراكز علمية جديدة عرفت باسم المدارس، وتطويره لمراكز أخرى و تشجيعه لها بكثرة وهي الزوايا الصوفية التي ارتبطت بالدين بشكل مباشر و الذي ارتبط بدوره بكل مجريات الحياة.

لذا فإن حركة تدوين التاريخ والجهود التأريخية التي بذلت بالعراق في العصر السلجوقي تميزت بمميزات كثيرة بعضها كان حصيلة لحركات التدوين السالفة، وبعضها الآخر تم اكتسابه من البيئة المحيطة و التي نشأت فيها هذه الحركة و نمت لتنتج مؤلفات كثيرة تناولت العصر و مجريات الحياة بالعراق فيه.

جاء اختيار هذا البحث نتيجة لكون الدراسات التي عُنيت بالجهود و الحركات التأريخية قليلة، والتي إن وجدت فإنها اهتمت بمؤرخٍ أو بكتاب ومُؤَلف على حده.

كما أن العلوم في العراق في العصر العباسي بشكل عام والسلجوقي بشكلٍ خاص، تم تناولها في بعض الدراسات و لكن لم توجد دراسة تخصصت بعلم التأريخ ومنهجه و رجاله و نتاجه في العراق بالعصر السلجوقي.

كما لم توجد دراسة اهتمت بتوضيح الدور الذي شغله السلاجقة من خلال منشآتهم التعليمية في صياغة التأريخ في ذلك العصر. كما أن الدراسات الماضية في مجملها اهتمت بالعصر العباسي بشكل عام ودرست الحركة التأريخية فيه و الجهود المبذولة من قبل المؤرخين و لكنها لم تقم بالإهتمام و التركيز على عصر بعينه ومن هنا جاء هذا البحث و الذي أريد من خلاله تسليط الضوء على العراق خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، من خلال الإشارة للفئات السلجوقية الحاكمة الجديدة و دورها في الحركة العلمية سواء أكان ايجابياً أم سلبياً، إضافة إلى رصد الجهود التي بذلت في مجال تدوين التأريخ والفنون التأريخية التي وجدت، مع إبرازه لدور رجال هذا العلم الذين حملوا رايته في ذلك العصر و ساهموا في نضوجه مع إبراز

دور العناصر الوافدة إلى العراق لكونه مركزاً للخلافة العباسية و الأدوار التي نهضت بها. بالتالي رسم صورة واضحة المعالم لعلم التأريخ في هذا العصر و تبيان مميزاته و مدى تأثره بالحركة التاريخية في المناطق المجاورة له.

و تبرز أهمية هذا البحث في تناوله لنشاطٍ فكري ، فالتأريخ من العلوم الفكرية التي وجدت منذ وجود الإنسان و تطورت مع تطور الإنسان الذي حرص على الاستزادة منها، كما أن البحث في العلوم الفكرية لم يأخذ حيزاً كبيراً لدى المؤرخين و الباحثين الذين كانوا حريصين على الاهتمام بالحياة السياسية و مجرياتها و مهملين نوعاً ما العلوم الفكرية التي بدأ الاهتمام بها حديثاً وبشكل خاص منهجية كتابة التأريخ في عصر من العصور، لذا فإن أهمية البحث تبرز في كونه يهتم بدراسة منهجية التأريخ في العراق في العصر السلجوقي، مع التركيز على دراسة ألوان النشاط التأريخي وتوارثت العمل فيه جيلاً بعد جيل . فركز البحث على أهمية دورها وما قدمته من انتاجات تأليفية، إضافة إلى إبراز دور العراق و بخاصة بغداد و البصرة و واسط في دعم العمل التأريخي وفي إنشاء مدارس تأريخية خاصة بها نوعاً ما.

لا يخفى على أي باحث بأن دراسة أيّة حركة علمية هي من الدراسات التي تحتاج لجهد كبير لكونها تتطلب إلماماً بكافة جوانب هذا العلم ضمن الزمان و المكان المحددين، كما تتطلب فكراً عميقاً يمكّن من تحليل النشاط العلمي و التأريخي و ربط الأفكار و مقارنتها مع بعضها البعض لتوصل للنتائج المرجوة.

وقد قام منهج البحث على استقصاء المادة العلمية من المصادر و المراجع، و عرضها ونقدها، وتحليلها، والمقارنة بينها بهدف استجلاء الحقيقة التاريخية و استخلاص النتائج، كما اعتمد على استقراء بعض الأخبار والأحداث، واستخلاص ما يمكن استخلاصه، والإفادة منها قدر الإمكان في البحث.

ولقد تم تتبع الحركة التأريخية بالعراق في العصر السلجوقي منذ بداية هذا العصر وإلى خروج السلاجقة من العراق، من خلال دراسة المؤلفات التأريخية التي ألفت فيه، و رصد الحركة العلمية ، والرحلات العلمية التي تمت ، ومجالس العلم التي عقدت فيه ، مع الإهتمام بدور الفئة الحاكمة في دعم أو تحجيم هذه الحركة، وأخيراً تسليط الضوء على أبرز رواد هذا العلم.

يقع البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول و خاتمة، أما المقدمة: فخصصتها للحديث عن أهمية البحث وإشكاليته، و أسباب اختيار الموضوع، وصعوباته، وخطة البحث، ثم تمت دراسة أهم المصادر المعتمد عليها.

و تناولت في التمهيد جغرافيّة العراق، فأشرت إلى تسميته وموقعه. وحدوده وأقسامه في العصر السلجوقي.

وخصصت الفصل الأول لدراسة الوضع السياسي و الفكري، وفيه تم تقديم عرض مجمل عن الأحداث التي شهدتها العراق منذ دخول السلاجقة حتى انهيار دولتهم في العراق، ثم تم تناول أهم المراكز الفكرية التي وجدت مع شرح مفصل للمنشآت التعليمية التي ظهرت فيه من مدارس ومساجد وزوايا وربط صوفية.

وعالجت في الفصل الثاني المزايا العامة للحركة التاريخية، فعرضت دراسة مقتضبة لهذه الحركة، ثم تطرقت للحديث عن العلاقة بين العلوم الفكرية و السلطة، و بعدها أفردت حيزاً للحديث عن فنون الكتابة التأريخية التي وجدت في العصر السلجوقي، وأخيراً تمت الإشارة إلى مصادر المادة التأريخية وجمعها وتدوينها و التي استعملت في ذلك العصر.

و تناولت في الفصل الثالث رواد الحركة التأريخية فتحدثت عن رائد التاريخ المحلي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م من خلال دراسة مؤلفه تاريخ بغداد، ثم تمّ التطّرق لرواد التأريخ الحولي وهم أسرة آل الصابىء فتناولت هلال الصابىء ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م بالدراسة و خاصة بدراسة كتابه التاريخ الذي عثر على الجزء الرابع والثلاثين منه في اليمن و الذي ألقى ضوءاً جديداً على ذلك العصر، ثم تمّت دراسة ابنه غرس النعمة محمد ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م من خلال الإشارة لجهوده في إكمال عمل والده. بعد ذلك تطرقت لرائد فن الحوليات والتراجم ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م من خلال كتابه المنتظم، وأخيراً تم تناول موقف التاريخ من السياسة و أهم المؤلفات التأريخية ذات الصبغة السياسية من خلال دراسة الغزالي ت ٥٠٥هـ/١١١١م و مؤلفاته من فضائح الباطنية وقواصم الباطنية و التبر المسبوك .

ودرست في الفصل الرابع نماذج من المؤرخين الوافدين للعراق، أحدهم محمد بن عبد الملك الهمذاني ت ٥٢١هـ/١١٢٧م الذي عاش في العراق بشكل دائم بعد أن وفد إليه فتطرقت لمؤلفه و لمنهجه في التدوين، والآخر ابن الأزرق الفارقي ت بعد ٥٧٦هـ/١١٧٦م والذي قام بزيارات للعراق و تناولت مؤلفه و منهجه في التأريخ و دور حركة التأريخ في العراق في صقل هذا المنهج.

و أنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها و اطروحته.

و أخيراً أتوجه بالشكر الكبير و الامتنان العميق لأستاذي المشرف الذي تكرم بقبول الإشراف على البحث، و قد منحني الكثير من وقته الثمين وعلمه الغزير، مسدداً خطاي، ومذللاً الصعوبات التي اعترضتني حتى تمكنت من إنجازه . كما أتوجه بالشكر والتقدير الكبيرين للأستاذ الدكتور سهيل زكار الأب والمعلم الفاضل الذي لم يبخل بوقته و علمه و نصائحه التي مكنتني من إنجاز هذا البحث.

وختاماً آمل أن يكون هذا البحث قد أسهم إسهاما جاداً في إحياء جوانب مهمة من تاريخنا، وأن يكون قد كشف عن بعض الجوانب الفكرية المشرقة في الحضارة العربية الإسلامية، وجلّ أملي أن أكون قد وفقت في إنجازه، وإن قصّرت فإن الإنسان قاصر عن بلوغ الكمال والله ولي التوفيق.

دراسة المصادر و المراجع

تناول هذا البحث بالدراسة الحركة التأريخية التي وجدت بالعراق في العصر السلجوقي و بالتالي فقد اهتم بالمؤلفات التأريخية و أسلوب تدوين التاريخ. إضافة إلى اهتمامه بدراسة العصر السلجوقي و انعكاساته على الحركة الفكرية و العلمية.

لذا فإن المادة العلمية لهذا البحث وجدت متناثرة و متشعبة في مصادر عدة بعضها كان معاصراً للدراسة، وبعضها الآخر جاء متأخراً عنها و لكنه اهتم بها و تحدث عنها لذا لا بد من التعرف على أهم المصادر التي قدمت مادة ثمينة و قيمة، و أغنت البحث في جوانب عديدة.

أهم المصادر تلك التي دُرست من خلالها فنون الحركة التأريخية في العصر السلجوقي من خلال دراسة نماذج من المؤرخين العراقيين و على رأسهم الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) الفقيه والمؤرخ الذي ولد و ترعرع في بغداد و قراها، جال العراق و مدن الشام بحثاً عن العلم و المعرفة ترك العديد من المؤلفات من أهمها مؤلفه تاريخ بغداد أو مدينة السلام الذي اعتمد عليه في الفصل الثالث كنموذج عن التأريخ المحلي. يقع الكتاب في عشرة مجلدات، حوى ٧٨٣١ ترجمة لشخصيات عاشت أو زارت العراق وتلقت العلم في مجالسه، حوى أيضاً معلومات مهمة عن بغداد و خططها و أشهر معالمها.

بالتالي فإن كتاب الخطيب البغدادي إضافة إلى كونه عدّ أساساً في هذه الدراسة فقد مكّن من التعرف على المؤرخ و على منهجه في التأليف التاريخي و على شيوخه و أهم المجالس العلمية التي شهدها، و تم الاستفادة منه في دراسة تراجم عديدة لعراقيين عاشوا بين سنتي ٤٤٧-٤٦٣هـ، كما تمّ الاستفادة منه في توضيح الصورة عن معالم بغداد في العصر السلجوقي و الحركة العلمية النشطة التي وجدت فيها.

المؤرخ الآخر الذي اعتمد عليه و على مؤلفاته في الفصل الثالث كنموذج عن التأريخ الحولي هلال بن المحسن الصابئ ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، فهلال هذا نشأ في كنف أسرة اهتمت بالعلم و التعلم و عملت بدواوين الإنشاء الأمر الذي مكنه من تلقي علوم و معارف كثيرة و من تأهيله للعمل في ديوان الإنشاء ككاتب للخليفة العباسي، عمله هذا مكنه من التأليف في مجال التأريخ فترك العديد من المؤلفات من أهمها كتاب التاريخ الذي يقع في أربعين جزءاً فقد معظمها و لم يبق منها سوى جزأين أحدهما الجزء الثامن الذي تناول سنوات ٣٨٩-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م و الآخر و هو الأهم الجزء الرابع و الثلاثون الذي تناول سنتي ٤٣٩-٤٤٠هـ/١٠٤٧-١٠٤٨م تبرز أهميته في توضيح منهج المؤلف في التدوين التاريخي إضافة إلى رسم صورة عن الأوضاع التي سادت العراق قبل العصر السلجوقي.

أما المؤلف الآخر الذي اعتمد عليه فهو رسوم دار الخلافة الذي عني بدراسة القصر العباسي و ألوان النشاط فيه مع الإشارة إلى موظفي القصر و مهامهم المختلفة بالتالي فهو زوّد الدراسة بمعلومات عن الخلافة العباسية و كيفية تعامل الخليفة مع موظفيه و حاشيتيه المختلفة.

أما أهمية المصدر الأخير له والذي مكّن من خلاله من رصد منصب الوزارة في الخلافة العباسية فهو" تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء"، فقد صاغ الكتاب تاريخاً وافياً عنها و عن أهم الوزراء الذين عاصرهم المؤرخ و سمع عنهم.

و للمؤرخ ابنٌ عُني بالتأريخ و اهتم بالتأليف و قام بإتمام عمل والده في صياغة المؤلفات المختلفة و في العمل في ديوان الإنشاء غرس النعمة محمد ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، و كان لمؤلفاته دور في إتمام هذه الدراسة وخاصة مؤلفه عيون التواريخ الذي أكمل به عمل والده هلال و شمل سنوات ٤٤٨هـ/١٠٥٦م و ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م. عثر على المؤلف ضمن ثنايا كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. تبرز أهميته من خلال تزويد البحث بمعلومات عن غرس النعمة محمد و والده هلال، و عن منهجهما في الكتابة التاريخية إضافة إلى مدّ البحث بمعلومات مهمة عن الدولة السلجوقية في مرحلة عصر السلاطين العظام حيث كان غرس النعمة محمد معاصراً لهذه الحقبة كتب عنها في مؤلفه.

و له مؤلف آخر و هو الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين و السقطات البادرة عن المغفلين المحظوظين "زود بمعلومات عن لون من ألوان الكتابة الذي برز في ذلك العصر و الذي عرف بأدب الإمتاع والمؤانسة حوى ٤٥٠ هفوة و قصة متعلقة بشخصيات عاشت في العصر العباسي الثاني.

أما المؤرخ الثالث الذي تم الاعتماد عليه و على كتبه كمؤرخ لتأريخ الحولي و التراجم عبد الرحمن بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م الواعظ و الفقيه و المحدّث و المؤرخ من علماء العراق الذين ذاع سيطهم في العصر السلجوقي و ترك العديد من المؤلفات التي عدّت أساساً و حجر زاوية لهذه الدراسة من أهمها كتاب المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم المؤلف العام، العالمي، الحولي، الذي يقع في عشرة مجلدات و حوى ٣٣٧٠ ترجمة لشخصيات مختلفة عاشت في العراق و أثرت في صنع تاريخه، إضافة إلى أهمية المؤلف كنموذج عن التأريخ الحولي و التراجم، زودّ البحث بمعلومات عن التراجم التي تمّ تناولها في البحث، وفي تكوين صورة واضحة عن بغداد و عن العصر السلجوقي الذي عاصره المؤرخ و أوجه الحياة الإقتصادية و الاجتماعية و السياسية فيه إضافة إلى الحياة العلمية من خلال احتوائه معلومات عن منشآت بغداد و العراق العلمية من مساجد ومدارس نظامية و ربطٌ و زوايا صوفية و معلومات عن أهم الشخصيات التي درّست فيها و تلقت الدروس فيه و كل هذه المعلومات تم الاعتماد عليها لصياغة الفصل الأول.

أما المؤرخ الرابع الذي عدّ هو و مؤلفاته مصدراً في البحث فهو الغزالي محمد بن محمد الطوسي ت ٥٠٥هـ /١١١١م. نشأ الغزالي في قرى طوس و لكنه عاش في بغداد حيث قضى مدة كبيرة من حياته فيها، تفقه، وتلقى علوم الفلسفة و التاريخ و لكنه في أواخر أيامه زهد في كل هذه العلوم و لجأ إلى التصوف من كتبه التي أناطت اللثام عن طبيعة الفكر السياسي في العصر السلجوقي ثلاثة أولها التبر المسبوك في نصيحة الملوك الذي أعطى معلومات عن طبيعة الفكر السياسي الناصح و الواعظ في ذلك العصر.

أما المؤلف الآخر فهو فضائح الباطنية الذي عرض فيه المؤرخ موقفه من الفئات المعارضة للحكم و على رأسها الباطنية، كما أنه حوى معلومات عن العصر السلجوقي و خاصة مدة حكم ملكشاه ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وهو شبيه بكتابه قواصم الباطنية الذي عدّ اختصاراً له.

لهذه الكتب أهمية في صياغة المعلومات المتعلقة بالفصل الثالث و خاصة ما يتعلق بالفكر السياسي الخاص بالعصر السلجوقي.

أما المؤرخ الخامس الذي اعتمد على كتبه في صياغة البحث و خاصة الفصل الرابع فهو محمد بن عبد الملك الهمذاني ت ٥٢١هـ/١١٢٧م الذي عرف بسعة علمه و ثقافته و عمله بالتاريخ ولد خارج بغداد لكنه زارها وسكنها، ومؤلفاته عديدة من أشهرها تكملة تاريخ الطبري الذي اعتمد عليه في دراسة المؤرخ كنموذج لمؤرخ وافدٍ للعراق، واعتمد عليه كأساس لمؤلف حولي ضم معلومات عامة أغنت البحث.

أما المؤرخ السادس و الأخير فهو ابن الأزرق الفارقي ت بعد ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م. أحمد بن يوسف بن علي من ميافارقين زار بلاد الجزيرة و دمشق و العراق و تم التطرق له كمؤرخ زائر لبغداد، تبرز أهمية مؤلفه تاريخ ميافارقين كونه مؤلف معاصر للدولة السلجوقية و اضطلع على مجريات الأمور فيها، كما أنه عدّ أساساً لدراسة المؤرخ و حياته و شيوخه الذين أهملت كتب التاريخ بشكل عام الحديث عنهم و اعتمد عليه في كتابة الفصل الرابع.

هذا فيما يتعلق بالمصادر التي اعتمد عليها في دراسة المؤرخين و في صياغة الفصلين الثالث و الرابع.

أما فيما يتعلق بالمصادر الأخرى، فهناك مصادر عنيت بالتاريخ السلجوقي و بالأسرة السلجوقية و نشأتها وتطورها حتى سقوطها و زوالها عن مدن العراق، تم الاعتماد عليها في صياغة الفصل الأول و في توضيح حقائق متعلقة بحياة المؤرخين الذين تم تناولهم في الدراسة و أهم هذه المصادر: راحة الصدور و آية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية لمؤلفه محمد بن علي بن سليمان الراوندي ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، انتسب لأسرة من أهل العلم في بلدة راوند من أعمال مدينة كاشان، برع في العلم حتى نال خطوة كبيرة لدى سلاطين السلاجقة فأصبح من أشهر مؤرخيهم بتأليفه لكتابه هذا الذي حوى معلومات مهمة عن السلاجقة منذ تأسيس دولتهم حتى زوالها و معلوماته من الأهمية بمكان لكونه شاهد عيانٍ عليها.

الكتاب الآخر تاريخ دولة آل سلجوق لمصنفه الفتح بن علي بن محمد البنداري ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م الذي ترجم الشاهنامه، و كتابه هذا اختصار لكتاب نصرة الفترة للعماد الأصفهاني الكاتب ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، لكن البنداري زوده بمعلومات إضافية عن تاريخ السلاجقة منذ بداية دولتهم حتى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م. متناولاً السلاطين و وزراءهم و الحوادث التي جرت في مدة حكمهم و نشاطهم السياسي و العلمي.

يضاف إليها كتاب الحسيني علي بن ناصر ت في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد و هو أخبار الدولة السلجوقية، يضاف إليها كتب عدّة و لكن هذه كانت أهمها فيما يتعلق بالمعلومات الخاصة بالعصر السلجوقي و خاصة الجانب السياسي منه.

و بما أن البحث يتناول حركة تأريخية، ولدراسة هذه الحركة فلا بد من دراسة روادها و العناصر التي قامت بها و عليه فإنه كان لكتب التراجم و الطبقات أهمية بالغة في هذا البحث يقف على رأسها إضافة إلى كتابي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، و المنتظم لابن الجوزي.

١- كتاب وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان للقاضي أحمد بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن خلكان ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م: مؤرخ و أديب ولد في أربل، و عاش حياته بين الشام و مصر، تولى القضاء، و درس في مدارس الشام، صنف العديد من الكتب أهمها هذا الكتاب الذي حوى تراجم متنوعة لفقهاء، و أدباء، و رجال سياسة، و لقد ترجم هذا الكتاب لكثير من الفقهاء، و شيوخ المؤرخين و تلامذتهم و للعديد من الشخصيات السياسية.

٢- مؤلفات الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) الحافظ و المؤرخ، ولد و توفي بدمشق صنف مؤلفات كثيرة اهتمت بالتراجم من أهم هذه المؤلفات التي ساهمت في دراسة تراجم البحث وتكوين صورة واضحة عن أسمائهم و حياتهم و وفاتهم و نشاطهم العلمي و السياسي.

تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام الذي رتبه على الوفيات و حوى قرابة أربعين ألف ترجمة، و سير أعلام النبلاء الذي نظمه على أساس الطبقات فجاء في أربعين طبقة تقريباً، و جعله شاملاً لتراجم الأعلام من العالم الإسلامي كافة، و كتاب العبر في خبر من غبر الذي عدّ اختصاراً لكتاب سير أعلام النبلاء، وحوى الكثير من التراجم.

٣- من المصادر المهمة أيضاً في دراسة تراجم البحث كتاب الوافي بالوفيات لمؤلفه خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م الذي حوى بين دفتيه عدداً ضخماً من التراجم لأعلام السياسة و الإدارة و الفكر والأدب و كان بعضها لشخصيات برزت في العراق في العصر السلجوقي.

٤- من مصادر التراجم المهمة: أيضاً كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م الذي ضم معلومات عن العديد من الشيوخ و الفقهاء و المحدثين الذين تم تناولهم خلال هذا البحث.

هذا فيما يتعلق بكتب التراجم العامة و لكن هناك كتب تراجم أخرى اختصت بتراجم فئات معينة أطلق عليها كتب الطبقات سواء أكانت طبقات دينية تعود لمذهب من المذاهب أم طبقات لعلماء مختلفين و من أهم كتب التراجم ذات الطابع الديني:

١- تذكرة الحفاظ للذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م.

٢- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م الذي حوى تراجم عديدة لفقهاء و محدثين شافعية.

٣- طبقات الحفاظ للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر محمد ت ٩١١هـ/١٥٠٥م.

و جميعها اعتمد عليها في دراسة المؤرخين و الفقهاء و المحدثين الذين تم تناولهم في الفصل الثاني و الثالث.

يضاف إليها كتب تراجم الحكماء و الأطباء و الفلاسفة التي قدمت مادة غاية في الأهمية عن نشاط العلماء في العصر السلجوقي لأن العلماء في تلك الحقبة عرفوا بموسوعية علومهم فلم يكتفوا بعلم واحد و إنما تدارسوا علوماً مختلفة من أهم الكتب التي أفادت في هذا المجال:

١- إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي علي بن يوسف ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م الوزير المؤرخ الكاتب الذي تولى القضاء ثم الوزارة بحلب و الذي اشتهر باستقامته و حبه للعلم و الكتب و قد صنف مولفه هذا الذي حوى تراجم لمشاهير الأطباء المعروفين في عصره.

أفاد هذا الكتاب في الفصل الثالث و خاصة بالمادة المتعلقة بآل الصابئ.

٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م.

أما أشهر كتب التراجم التي عنيت بالأدباء و الشعراء و علوم اللغة و النحو في العراق خلال المدة المدروسة و قدمت معلومات واسعة عنهم معجم الأدباء و إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م. فهو قد جمع فيه ما وقع إليه من أخبار للنحويين و اللغويين و القراء المشهورين و الوراقين والكتّاب. و قد راعى ترتيب تراجمه على حروف المعجم.

و يأتي في إطار الكتب الأدبية كتاب حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون و الذي حوى بين دفتيه فهرساً واسعاً لأسماء المؤرخين و مصنفاتهم.

تم الإستفادة منه في جمع معلومات عن مصنفات المؤرخين و ألوان التدوين التاريخي و خاصة ما يتعلق بالفصل الثاني.

يضاف إليها كتاب الفهرست للنديم (محمد بن اسحاق ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) و الذي صنفه أيضاً كفهرس لكتب جميع الأمم من العرب و العجم الموجود منها بلغة العرب. و لقد صنف كتابه هذا على أساس المقالات حيث جعله في عشر مقالات حوت معلومات عن مؤرخين و عن أمم مختلفة ساعدت في صياغة الفصل الثاني وفي الكتابة عن آل الصابئ و نشاطهم التأريخي.

هذا فيما يتعلق بكتب التراجم أما كتب التاريخ العام فقد شكلت مصادر مهمة للبحث فكان منها الكامل في التاريخ لابن الأثير علي بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م من المؤرخين الذين عرفوا بنظرتهم الناقدة للتاريخ.

حوى كتابه مادة مهمة للبحث و خاصة أجزاؤه الأخيرة فهو قد عاصر مراحل من حياة الدولة السلجوقية لذا عدّ مؤلفه مصدراً هاماً أرّخ لأحداث هذه الدولة، و قدم معلومات مهمة عن النشاط العلمي الذي ازدهر فيها، حيث ذكرها ضمن حوادث سنواته التي تتالت سنة بعد أخرى.

ويقدم المسعودي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م في كتابه مروج الذهب و معادن الجوهر مادة مهمة عن الصابئة وهياكلهم ومعابدهم، و كذلك بعض الإرشادات المهمة عن الجوانب الفكرية لهم.

كذلك كان للمنتظم لابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م المؤلف العام الحولي أهمية بالغة في صياغة هذا البحث و قد تم الإشارة لذلك.

و أخيراً شكلت المصادر الجغرافية و كتب الرحلات مصادر مهمة للبحث، إذ تمت الإفادة منها في تحديد موقع العراق و مدنه و أقسامها من أهمها المسالك و الممالك للإصطخري ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم للمقدسي ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م و كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وتقويم البلدان لأبي الفداء ت٧٣٢هـ/١٣٣١م، وجميعها أمدت البحث بمعلومات جغرافية عن العراق و مدنه وأحواله الاقتصادية و حتى العلمية و الأدبية ، فكثير منها إضافة لحديثها عن جغرافية مدن العراق تطرقت للحديث عن أبرز فقهائها و محدثيها و مؤرخيها الذين عاشوا فيها و نسبوا إليها.

و لا بد من الإضافة بأنه تمت العودة لكتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م في صياغة الفصل الثاني الذي يتحدث عن مزايا الحركة التأريخية في العراق، و إلى العديد من معاجم اللغة و غيرها من المصادر التي شكلت معلوماتها مادة غنية ساهمت في إخراج هذا البحث للنور.

لم تكن المصادر وحدها العنصر الفاعل في كتابة هذا البحث إنما تمت الإفادة من العديد من المراجع، من أبرزها كتاب الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد و محدثها ليوسف العش الذي قدم معلومات و دراسة مفصلة عن الخطيب البغدادي و شيوخه و تلامذته و مؤلفاته، و من المراجع أيضاً الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية للدكتور سهيل زكار فقد تم الاستعانة بجزأين منها و هما الجزء الأول و الجزء الحادي عشر في كتابة الفصل الأول و الفصل الرابع.

و من المراجع أيضاً: المؤرخون و التأريخ عند العرب لمحمد أحمد ترحيني ، محمد عبد الغني حسن التراجم والسير، نشأت نور الدين الخطيب التاريخ و المؤرخون عند العرب، و غيرها من الكتب التي اهتمت بمنهج التأريخ عند المسلمين و التي ساعدت في كتابة الفصل الثاني.

يضاف إليها كتاب ناجي معروف علماء النظاميات و مدارس المشرق الإسلامي، و غيرها الكثير.

و كذلك جرت الإفادة من مصادر و مراجع أُخرى عديدة، ذكرت في الحواشي، و أثبتت في جريدة المصادر والمراجع في آخر البحث.

تمهيد:

العراق من المواطن الحضارية القديمة التي سكنتها البشرية، مؤسسة فيها كياناتٍ واماراتٍ متنوعة لتنوع الأقوام التي ساهمت في بنائها و استمرارها على وجه المعمورة، و العراق بالتالي كان مسرحاً لأحداث عديدة، ومنطقة سكنى للدولة التي اهتم هذا البحث في الخوض في غمار حضارتها وفكرها التاريخي. لذا لابد بداية من معرفة معنى كلمة العراق، إضافة لمعرفة حدوده الجغرافية و امتداده في تلك الحقبة الزمنية.

وجدت معانٍ عدة للعراق فبعضهم قال بإنها من الطبابة، وهي الجلدة التي تغطى بها عيون الخرز [(١)]، و آخر قال بأنها شاطىء البحر، و سمي بذلك لأنه يقع على شاطىء دجلة و الفرات[(٢)]، وثالثٌ اقترب من المعنيين السالفي الذكر و أضاف إليه حيث قال(سمي عراقاً لأنه سفل من نجدٍ ودنا من البحر أخذاً من عراق القربة و هو الخرز الذي من أسفلها)[(٣)] و رابعٌ فسّر سبب تسميته بذلك لاستواء أرضه وخلوها من جبالٍ تعلو و أودية تنخفض[(٤)].

و خامسٌ انفرد بقوله بأن معنى العراق الطير، وجمعه عَرَقة، و العِرقة ضرب من الطير [(٥)] .

من خلال مطالعة آراء المؤرخين السالفي الذكر يلاحظ بأنهم أجمعوا على أن سبب تسمية العراق جاءت من أمورٍ تتعلق بطبيعته الجغرافية و موقعه فهو يقع في منطقة سباخٍ، بين نهري دجلة و الفرات، انخفضت أجزاءٌ منه واقتربت من البحر، و كثرت في أجزاءَ أخرى الأشجار و المزروعات حتى تعانقت مع بعضها البعض و أعطته تسمية أخرى ألا و هي السواد[(٦)].

تباين المؤرخون في معنى كلمة العراق و لكنهم اتفقوا على حدوده حيث جعلوه من الحديثة[(٧)] على نهر دجلة إلى

(١) – ابن منظور(محمد بن مكرم ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، بيروت، دار الفكر، (د، ت)، ص٢٩٠٧.

(٢)– الحميري(محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد): الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص٤١٠.

(٣)– أبو الفداء(اسماعيل بن علي ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، حققه رينورد والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، ص٢٩٢.

(٤)– البغدادي(عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، ج١، ص٩٢٦.

(٥)– الخطيب البغدادي(أحمد بن علي ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص٢٤.

(٦)– تسمية أطلقها العرب على العراق عند فتحهم له، حيث أنهم لما قدموا إلى الكوفة و أبصروا سواد النخل استعجبوا من كثرته و قالوا ماهذا السواد؟ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢٤.

(٧)– الحديثة: كورة من كور الموصل، مدينة عامرة آهلة على شاطىء دجلة ، لها فرضٌ و أسواق و بها مصب نهر الزاب الكبير؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مصدر متقدم، ص١٨٩.

عبادان(١) على مصب الخليج العربي و" الذي عُرف حسب مصطلحات ذلك العصر بالبحر الفارسي" طولاً و من القادسية(٢) إلى حلوان(٣) عرضاً (٤). وهذه الحدود يمكن عدّها حدوداً للعراق في العصر السلجوقي فالعراق في تلك المدة انفصل عن اقليم الجزيرة(٥) و تخلى عن بعض مدنها و شكل نوعاً ما كياناً خاصاً به بسبب الانقسامات السياسية والاضطرابات الداخلية التي ألمت به، ذلك الكيان الذي كان جزءاً من الدولة العباسية التي ترامت أطرافها و لكنها للأسف أصيب بالضعف و الترهل. فالعراق جاور اقليم خوزستان(٦) و مناطق الديلم(٧) و جرى على أرضه الأنهار، وكثرت فيه المزروعات، ووجدت فيه مدن عدّت حواضر للدولة الإسلامية من البصرة إلى الكوفة فبغداد و واسط وحلوان وغيرها(٨)، ازدهرت فيه العلوم، ونمت الحياة الاقتصادية حيناً، و أصابه الخراب وحلت فيه المجاعات أحياناً أخرى، و لكنه بقي جزءاً من الدولة العربية و لم يتخلَ عن صفاته و خصاله التي اتصف بها منذ القديم.

هذا فيما يتعلق بمعنى كلمة العراق وموقعه، أما فيما يتعلق بموقع العراق في قلوب المؤرخين وعقولهم، فقد كان له حظوة كبيرة و أهمية بالغة دفعتهم للإكثار من التغني به و بفضائله معددين محامده و محاسنه فهذا ابن حوقل ت٣٦٧هـ/٩٧٧م قال عنه(أعظم أقاليم الأرض منزلة و أجلها صفة و أغزرها جباية و أكثرها دخلاً....)(٩) أما الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م فتغنى بأهله حيث قال (أهل العراق كنز الإيمان، وجمجمة العرب، و هم

(١)- عبّادان: على الجانب الشرقي من دجلة، تبعد عن البصرة مرحلة ونصف و عن ساحل الخليج العربي أربع مراحل؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٣٠٨.

(٢)- القادسية: مدينة صغيرة ذات نخيل و مياه تحدّها البادية من جهة الغرب والنخيل والأنهار من جهة الشرق، وتقع بالقرب من السامرا؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٢٩٩.

(٣)- حلوان: من كور الجبل، بين فارس و الأهواز، مدينة سهلية جبلية على سفح الجبل المطل على العراق، سميت بذلك لأن معناها حافظ حد السهل، لأن حلوان أول العراق و آخر حدّ الجبل؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص١٩٥.

(٤)- ابن حوقل(محمد بن علي بن حوقل ت نحو٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ط٢، ١٩٣٨م، ص٢٠٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص٢٤؛ أبو الفداء، تقويم البلدان ، مصدر متقدم، ص٢٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص٤١٠.

(٥)- الجزيرة: مابين دجلة والموصل قاعدتها الموصل، و لها كور و عمائر و قرى و بلاد واسعة و أعمال كثيرة وتشتمل على ديار ربيعة و مضر؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر نفسه، ص١٦٤.

(٦)- خوزستان: اقليم واسع يشتمل على مدن كثيرة بين البصرة و فارس وهي في مستوٍ من الأرض و ليس بها جبال وهي كثيرة المياه الجارية؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٣١١.

(٧)- الديلم: قبيلة تنتهي إلى ضبة، وجبالهم و نواحيهم كثيرة المطر و الشجر والفياض، و أكثر ذلك في وجه الجبل الذي يقابل البحر و طبرستان وهم أهل زروعٍ ، والغالب عليهم النحافة و قلة الشعر؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص٢٥٥.

(٨)- سيأتي الحديث عن هذه المدن بشكل مفصل في الفصل الأول.

(٩)- ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر متقدم، ص٢٠٨.

رمح الله عز وجل، يحرزون ثغورهم و يمدون الأمصار)[1] أما الحميري ت في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد فوصفه بقوله(العراق وسط الدنيا و مستقر الممالك الجاهلية و الإسلامية و عين الدنيا و فيه الدجلة والفرات وهما الرافدان و فيه القواعد العظيمة و الأعمال الشريفة)[2] .

فضائل كثيرة ومحاسن عديدة أبدع المؤرخون في كتابتها، معبرين بها عن مدى حبّهم للعراق و أرضه و قاطنيه، ومشيرين إلى مقدار الازدهار الذي شهده في العصور الإسلامية و خاصة في العصر العباسي حيث أضحى مركزاً للعالم أجمع تجمعت فيه الأمم وازدهرت العلوم وتنامت فيه المعارف التي أغنت خزانة تراث الإنسانية وأمدتها بكّل ما هو مهم ومفيد للبشرية.

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص٢٥.

(٢)- الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص٤١٠.

الفصل الأول:

العراق في العصر السلجوقي:

أولاً- الوضع السياسي:

ثانياً- أهم المدن والمراكز العلمية:

ثالثاً- المنشآت التعليمية: ١- المساجد والجوامع.

٢- المدارس النظامية.

٣- الربط والزوايا الصوفية.

شهد العراق في هذا العصر الكثير من التطورات على الأصعدة كافة سواء أكانت السياسية، أم العلمية، أو الاقتصادية ولقد كانت هذه التطورات بعضها ايجابية والأخرى سلبية لذا لابد من دراسة هذا العصر لإلقاء الضوء على الأوضاع التي سادت العراق خلاله والتي ساهمت بشكل أو بآخر في مسيرة الحركة التأريخية موضوع هذا البحث.

أولاً– الوضع السياسي :

ساد العراق خلال النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، والقرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وضعاً سياسياً من نوع خاص تميز بمشاركة فئات عدة الخليفة العباسي في صنع القرار السياسي والتلقب بالألقاب، وإغداق الأموال والخلع على الموظفين والقادة، أي ممارسة كافة الصلاحيات التي كانت خاصة بالخلافة والذي ساعدهم على ذلك ضعف الخلافة العباسية، وكثرة الثورات والفتن التي ألمت بها يضاف إليها ظهور إمارات ودول مستقلة عن جسد الدولة الإسلامية(١).تلك الفئة التي برزت في تلك الحقبة، وتنامت قوتها بشكل كبير ومدت نفوذها على مساحات واسعة من جسد الدولة العباسية وأُطلق اسمها على تلك الحقبة اصطلاحاً فيما بعد، وهي السلاجقة. فمن هم هؤلاء؟ وكيف دخلوا العراق وسيطروا عليه؟ ومن اشتهر من حكامهم؟ وبمَ تميزت سياستهم في العراق؟ وكيف انهارت دولتهم؟ وما الأشياء التي خلفوها وأثروا من خلالها في الحضارة الإسلامية؟.

أسئلة كثيرة تطرح، لذا لابد من الإجابة عليها لتكوين صورة واضحة المعالم عن الوضع السياسي الذي ساد العراق في العصر السلجوقي.

بداية السلاجقة فرع من قبائل الغز(٢)، انسابوا حوالي ٣٤٥هـ/٩٥٦م من سهول تركستان(٣)، وسكنوا أول أمرهم في بلاد ما وراء النهر(٤)،

(١)– أمين(حسين): تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م، ص١٨، ٢٥.

(٢)– الغز: طائفة من الترك انتقلوا من نواحي الثغر من أقصى بلاد الترك إلى بلاد ما وراء النهر في أيام الخليفة المهدي ت ،وكانوا يخضعون لأي دولة تستميلهم فقصدوا بلخ بعد أن طردهم العديدون وعاشوا فيها؛ ابن الأثير(علي بن محمد ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م،ج٩، ص٣٨٥.

(٣)– تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك، ومدائنهم المشهورة؛ الحموي(ياقوت بن عبد الله ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢٣.

(٤)– بلاد ما وراء النهر: يراد بها ما وراء نهر جيحون بخراسان فما كان في شرقه يقال له بلاد الهياطلة وفي الاسلام سموه ماوراء النهر، وما كان في غربه فهو ولاية خراسان وخوارزم من أنزه الأقاليم وأخصبها فيها مدن وعمائر كثيرة ، أما مياهها فإنها من أعذب المياه؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر نفسه، ج٥، ص٤٥؛ الراوندي(محمد بن علي ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة :ابراهيم الشوارب وأخرون، القاهرة، عين شمس، ١٩٦٠م،ص١٤٥.

واعتنقوا الدين الإسلامي وفق المذهب الحنفي[١]، الذي اعتنقوه بتأثير الدولة السامانية[٢]، والتي مدّوا يد العون لها فسمحت لهم بالإقامة في مناطق عند نهر سيحون[٣]، حيث اتخذوا من نور بخارا[٤] مركزاً لهم[٥]. سموا بالسلاجقة نسبة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق أو تُقاق[٦]الذي كان محترم الجانب، شهماً، شجاعاً، تمكن من أن يكّون لقبيلته كياناً بين الدول المحيطة به[٧]، كان لسلجوق أربعة أبناء برزوا على مسرح الأحداث[٨]، وعاشوا حياة التنقل والبداوة متنقلين من منطقة إلى أخرى[٩]، ومستغلين انهيار الدولة السامانية سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م[١٠]،

(١)- المذهب الحنفي:من المذاهب الفقهية التي تعتمد الأخذ بطريقة الرأي والقياس وتنسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ت١٥٠هـ/٧٦٧م؛ حسن(ابراهيم): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، بيروت، دار الجيل، ط١٥، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،ج٢،ص٢٧١.

(٢)- الدولة السامانية: دولة نشأت في منطقة بلاد ما وراء النهر بين سنتي ٢٠٤-٣٨٩هـ/٨١٩-٩٩٨م، مؤسسها رجل يسمى سامان، كان دهقاناً في منطقة بلخ، اعتنق الإسلام والتحق أحفاده الأربعة في خدمة الخليفة العباسي في خراسان، مخلصين في خدمتهم له، فكافئهم بتوليتهم سمرقند وفرغانة والشاش وهراة، تمكنوا فيما بعد من تسلم زمام الأمور في بلاد ما وراء النهر، استمرت هذه الدولة في توسعها إلا أنه أصابها الضعف وقضى عليها القراخانيين والغزنويين سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٢٣٦؛ابن كثير (اسماعيل بن كثير ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):البداية والنهاية، تحقيق علي الشيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،ج١١،ص٢٤٢.

(٣)- نهر سيحون: من الأنهار الشهيرة في بلاد ما وراء النهر حيث أخذت اسمها منه؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٥٠.

(٤)- نور بخارا: لفظ نور يعني ضد الظلمة من قرى بخارى عند الجبل بها زيارات ومشاهد للصالحين؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص٣١٠.

(٥)- الحسيني(علي بن ناصر ت في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد): أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق ونشر محمد اقبال، لاهور، ١٩٣٣م، ص٢؛ الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص١٤٥ ،١٤٦؛ حلمي(أحمد كمال الدين): السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، ذات السلاسل، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٢-٢٣.

(٦)- تقاق تعني الحديد الجد الأعلى للسلاجقة حملوا اسمه وعرفوا به، برز على مسرح الأحداث واعتنق الدين الإسلامي قدّم مساعدات للدولة السامانية التي منحته قطعة من الأرض، سكنها وجمع السلاجقة حوله مؤسساً بذلك نواة الدولة السلجوقية؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، مصدر متقدم، ص١.

(٧)- الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص١٤٥؛ ابن الطقطقي(محمد بن علي بن طباطبا ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م):الفخري في الآداب السلطانية، تحقيق محمود الكتبي، مصر ، مطبعة الرحمانية، (د، ت)،ص٢١١.

(٨)- وهم اسرائيل ، موسى يبغو، يونس، وميكائيل؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، مصدر متقدم، ص٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٠٧.

(٩)- البنداري(الفتح بن علي بن محمد ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م): تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٧م، ص٥.

(١٠)- أمين(حسين)، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مرجع متقدم، ص٤٦.

فقويت شوكتهم وازداد عدد أتباعهم مما أدى إلى توجس جيرانهم الغزنويين[١] خيفة منهم فرغبوا في القضاء عليهم[٢] من خلال إعمال الحيلة أولاً فتمكنوا من قتل أحد زعمائهم ويدعى اسرائيل بن سلجوق[٣]، فنقم السلاجقة عليهم لعملهم هذا ولم يتمكنوا من الانتقام من الدولة الغزنوية بسبب ضعفهم في تلك المدة وإنما طلب قائدهم الجديد ميكائيل[٤]، من السلطان السماح له بعبور نهر سيحون إلى منطقة خراسان سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م[٥] فسمح لهم بذلك فتوسعوا في المنطقة وعند وفاة سلطان غزنة محمود سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م[٦] استغلوا حادثة وفاته واصطدموا بالغزنويين سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م[٧] ملحقين الهزيمة بخليفته مسعود[٨]، لكنهم لم يستغلوا هذا النصر وإنما ركنوا إلى الهدوء لمدة من الزمن، ولكنهم سرعان ما عادوا واصطدموا مع الغزنويين في العديد من المعارك

---

(١)- الغزنويون: أقوام أسسوا دولة في منطقة غزنة حيث أخذت اسمها منها، يرجع ظهورها إلى أحد قادتها ويدعى سبكتكين الذي برز من خلال علاقته بالدولة السامانية و تمكن من مد سلطانه في الشرق حيث ضم اقليم خراسان، وتوسع في بلاد الهند، تمكنت سلالته من تأسيس دولة في منطقة خراسان وخوارزم وبرز من قاداتها محمود ت٤٢١هـ/١٠٣٠م، ومسعود ت٤٣٢هـ/١٠٤١م، وغيرهما ونافست هذه الدولة السلاجقة وسقطت هذه الدولة سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م على يد السلاجقة ؛ الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص١٥٤ ،١٥٦م؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، مصدر متقدم، ص١٣-١٤.

(٢)- الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص١٤٦.

(٣)- اسرائيل بن سلجوق: من أمراء الدولة السلجوقية ابن سلجوق بن تقاق، عمل مع إخوته على تأسيس دولة خاصة بهم، قبض عليه من قبل السلطان الغزنوي، وحبس في قلعة من قلاعه حتى توفي، ووفاته كانت السبب في نقمة السلاجقة على الدولة الغزنوية؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، مصدر متقدم، ص٨.

(٤)- ميكائيل: من أولاد سلجوق بن تقاق ساهم بعد وفاة أخيه اسرائيل في تقديم الدعم للسلاجقة والإسهام في بناء قوتهم، لم يتم التطرق لذكر سنة وفاته؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٢٣٧.

(٥)- خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق حيث قصبة جويت وبيهق وأخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، تشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وهي قصبتها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٢، ص٣٥٠؛ زكار(سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج١، ص٤٦.

(٦)- محمود بن سبكتكين: ولد سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م فتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند ونشر الإسلام فيها توفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م ؛البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، مصدر متقدم، ص٧.

(٧)- الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص١٥٣؛ بروكلمان(كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، تحقيق نبيه فارس وأخرون، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٨، ص٢٧٢.

(٨)- مسعود بن محمود بن سبكتكين تولى الحكم بعد وفاة أبيه محمود سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م، كان شجاعاً، كريماً، ذا فضائل كثيرة، محباً للعلماء، كثير الإحسان إليهم والتقرب منهم، خاض عدة صدامات مع السلاجقة وقتل سنة ٤٣٢هـ/١٠٤١م؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، مصدر متقدم، ص١٣، ١٤؛ أبو الفداء(اسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، بيروت، دار المعرفة، (د، ت)، ج٢، ص١٦٤.

كان أخرها سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م[١]، حيث تمكنوا من هزيمتهم بشكل نهائي ودخول عاصمتهم نيسابور[٢]، وسيطرتهم على أرجاء دولتهم مؤسسين دولة خاصة بهم شملت الأقاليم الإيرانية كافة[٣].

لابدّ لهذه الدولة الناشئة من اعتراف رسمي بها من قبل السلطة الشرعية الإسلامية الأولى في تلك الحقبة ألاّ وهي الخلافة العباسية التي على الرغم من ضعفها كانت ما تزال تشغل مكانة عالية في نفوس المسلمين، لذا سارع السلاجقة بزعامة قائدهم الجديد طغرلبك[٤] إلى إرسال رسالة للخليفة العباسي القائم بأمر الله ت٤٦٧هـ/١٠٧٤م[٥] الذي رحب بالرسالة مرسلاً ردّه عليها ومعترفاً بهم، وربما داعياً إياهم للقدوم نحو العراق لتخليصه من التسلط البويهي[٦] الذي استبد بالحكم وبالخليفة لمدة طويلة، ولكنه ضعف وبضعفه ساءت الأوضاع في العراق، وانتشرت الفتن والاضطرابات، وبلغت حداً لا يحمد عقباه، فاستغل السلاجقة هذا الأمر، كما أنهم استغلوا تمردَ قائدٍ من قواد البويهيين عليهم في إقليم فارس و دُعائِه في المساجد للدولة البويهية[٧]، فما كان من طغرلبك ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م

---

(١)– الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص١٥٣–١٥٧؛ الزيباري(محمد صالح): سلاجقة الروم في أسيا الصغرى، عمان، دار دجلة، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٤٦ ،٤٧؛ عطا(زبيدة): الترك في العصور الوسطى، بيروت، دار الفكرالعربي، (د، ت)، ص٤٠، ٤١.

(٢)– نيسابور: مدينة عظيمة في الإقليم الرابع ذات فضائل جمّة، منبع العلماء، كثيرة الفواكه والخيرات فتحت في أيام الخليفة عثمان ابن عفان، عرفت بكثرة الأبار فيها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٣١.

(٣)– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٢٤٢.

(٤)– طغرلبك: طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق كان عاقلاً، حليماً، يعدُّ مؤسس الدولة السلجوقية، وأول ملوكها، لقبّه الخليفة العباسي القائم ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م بملك المشرق والمغرب، قضى على الدولة البويهية وعلى ثورة البساسيري، توفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وكان عمره سبعين سنة، خلفه بالحكم ابن أخيه ألب أرسلان؛ الفارقي(أحمد بن يوسف تبعد ٥٧٢هـ/١١٧٢م): تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص١٨٦.

(٥)– القائم بأمر الله: ولد عبد الله بن القادر بالله أحمد سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م، أمه أرمنية، كان أبيضاً، مليح الشكل، ورع، دين، في عهده حدثت كثير من الاضطرابات السياسية التي أدت إلى ابعاده لمدة عن بغداد ، لكنه عاد وبقي في الحكم حتى وفاته سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م؛ الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص ١٦٦ ، ١٦٧؛ ابن العماد(عبد الحي بن أحمد ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت ،دار الفكر، (د، ت)، ج٥، ص٢٨٥.

(٦)– البويهيون : مؤسسي الدولة البويهية التي حكم أفرادها بغداد، ظهرت أوائل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد وتنتسب إلى أبي شجاع بويه فناخسرو ويعد أبناؤه الثلاثة علي، الحسن، وأحمد مؤسسي هذه الدولة التي مرت بثلاث مراحل من النشأة، والقوة، والضعف لتنهار على يد السلاجقة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، بعد أن استمرت ما يقارب من مئة وثلاث عشرة سنة؛ مسكويه(أحمد بن محمد ت٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم، تحقيق أمدروز، مصر، شركة التمدن الصناعية، ١٩١٦م، ج٢، ص١٢٠–١٤٥؛ ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م، ج٨، ص٩٠٩.

(٧)– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٠٧، ٣٢٢؛ الأمين(حسين)، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مرجع متقدم، ص٥٨.

إلاّ أن صرّح برغبته بالمسير للحج فسلك سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م الطريق المؤدي للعراق عبر حلوان، وتمكن من دخوله سلمياً على الرغم من قدومه على رأس حملة عسكرية كبيرة[١].

أما ما هو مصير الدولة البويهية؟

فالجواب بأن الملك الرحيم ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٢] آخر حكامها قد قبل بأن يذكر اسم طغرلبك في الخطبة، وأن يلقب بالألقاب السلطانية، ومع دخول طغرلبك بغداد تعاهد مع الخليفة القائم بأمر الله على حماية الملك الرحيم وإبقائه في منصبه، لكن سرعان ما تخلى طغرلبك عن عهده ورغب بالتخلص من منافسه في السلطة، فما كان منه إلاّ أن ألقى القبض عليه وأرسله مقيداً إلى الري[٣]، حيث بقي هناك حتى وفاته سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٤].
وشكل دخول طغرلبك بغداد تحولاً خطيراً في تاريخ المنطقة أدخلها عصراً جديداً، ألاّ وهو العصر السلجوقي الذي اتصف بصفات كثيرة ميزته عن باقي العصور الأخرى. فالسلاجقة على الرغم من تأسيسهم دولة في إقليم فارس، ومن دخولهم بغداد فإنهم لم يستقروا فيها ، و إنمّا استقروا في مدينة الري المركز الذي اتخذوه لدولتهم منذ تأسيسها، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يهملوا شؤون العراق بل ساعدوا الخليفة القائم بأمر الله عندما تعرض منصبه لخطر محدقٍ تمثل بثورة البساسيري ت٤٥١هـ/١٠٥٩م[٥]

(١)– البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، مصدر متقدم، ص١٠؛ ابن الوردي(عمر بن مظفر ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م):تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م،ج١،ص٣٥٥؛ حلمي(أحمد كمال الدين)، السلاجقة في التاريخ والحضارة، مرجع متقدم، ص٢٨٠.

(٢)– الملك الرحيم: أبو نصر خسرو فيروز أبو كاليجار، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، كان في حالة حرب مع إخوانه على عرش المملكة، بلغت الدولة في عهده أقصى درجات الضعف، قبض عليه طغرلبك عقب دخوله بغداد سنة٤٧٧هـ/١٠٥٥م وأرسله إلى الري، توفي محبوساً بقلعة الري سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وانطوت بوفاته صفحة الدولة البويهية؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٨٧.

(٣)–الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، قصبة بلاد الجبل كثيرة الفواكه والخيرات ، وهي تعدُّ الآن ضاحية لمدينة طهران ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٣، ص١١٦.

(٤)– الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص١٦٩؛زكار(سهيل)، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مرجع متقدم، ج١، ص٩٢.

(٥)– البساسيري: أرسلان بن عبد الله أبو الحارث التركي، مقدم الأتراك ببغداد، كان مملوكاً لبهاء الدولة بن بويه ت٤٠٣هـ/١٠١٢م، خرج على الخليفة القائم بأمر الله ت٤٦٧هـ/١٠٧٤م ببغداد وخطب للمستنصر الفاطمي ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م في العراق، قتله طغرلبك ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٢١.

فتمكنوا من القضاء عليها سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م[١]، وإعادة الهدوء والاستقرار إلى بغدادو لم يكن السلاجقة كغيرهم من الفئات الطامحة للسيطرة على الحكم في بغداد والتي استخدمت الوسائل العسكرية لتحقيق أهدافها، بل لجأ السلاجقة لوسائل أكثر دبلوماسية تمثلت بالمصاهرة والتي تعطي أية علاقة كانت صفة شرعية،فما كان من سلطانهم طغرلبك إلاّ أن طلب الزواج من ابنة الخليفة العباسي في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٢] ذلك الأمر الذي لم يتجرأ عليه أحد من قبل فقد كانت الأسرة العباسية محاطة بنوع من القداسة لدى جميع الشعوب، ولم ترضَ أبداً أن تزوج بناتها من شخصيات غير عربية، ولكن اضطرار الخليفة القائم بأمر الله للقيام بهذا الأمر يبرهن على مقدار الضعف الذي وصلت إليه الخلافة العباسية لدرجة دفعتها لقبول تزويج بناتها بشخصيات سلجوقية. لكن للأسف لم تدم سعادة طغرلبك طويلاً إذ سرعان ما فارق الحياة بعد زواجه بمدة قصيرة في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٣] دون أن يترك وريثاً شرعياً يخلفه في حكم دولته مما أدى إلى قيام صدامات بين أفراد أسرته انتهت بتولي ألب أرسلان ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م[٤] للسلطنة مدعوماً بوزيره نظام الملك الحسن بن علي الطوسي ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٥].

(١)–غرس النعمة محمد(محمد بن هلال ت٤٨٠هـ/١٠٨٧): عيون التواريخ، تحقيق: سميحة أبو الفضل، دمشق، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٠٩،١٠٨؛ ابن القلانسي(حمزة بن أسد ت٥٥٥هـ/١١٥٩م): تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط١، ١٩٨٣م/١٤٠٣هـ، ص١٤٣–١٤٥؛ ابن الجوزي(عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٦، ص٣١–٤٥.

(٢)– غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٨٥، ١٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٥٧.

(٣)– غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٩٠؛ بورورث(كليفورد): الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: حسين البودي، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، ط٢، ١٩٩٥م، ص٤٦.

(٤)– ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق، حكم بعد وفاة عمه طغرلبك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، كان كريماً، عادلاً، اتسع ملكه ودان له العالم أجمع، انتهت حياته عند محاولته قتل أحد المتمردين عليه حيث أصيب بجراح أدت إلى وفاته بعد ثلاثة أيام وذلك في سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، ليخلفه ابنه ملكشاه بمساعدة وزيره الحسن الطوسي؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٩٤.

(٥)– نظام الملك: الحسن بن علي بن اسحاق الملقب بقوام الدين نظام الملك ، ولد في طوس سنة ٤٠٨هـ/١٠١٨م، تأدب بآداب العرب، وسمع الحديث الكثير، اشتغل بالأعمال السلطانية، فاتصل بالسلطان ألب أرسلان ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م استوزره، فأحسن التدبير وبقي في خدمته عشرة سنوات، واستمر في خدمة الأسرة السلجوقية بعد وفاة ألب أرسلان حيث كان وزير ابنه ملكشاه وبقي في خدمته عشرين سنة، انتهت حياته بغتياله على يد أحد الديالمة على مقربة من نهاوند، ودفن بأصبهان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وإليه تنسب المدارس النظامية التي أسسها في سائر البلاد؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٢٥؛ ابن تغري بردي(يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص١٣٣، ١٣٤؛ زكار(سهيل)، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مرجع متقدم، ج١، ص٣٤٥–٣٦٨.

كان ألب أرسلان من الشخصيات التي شهد التاريخ بعظمتها لما قام به من فتوحات في بلاد الروم، ولما حققه من انتصارات وتوسعات في بلاد الشام وآسيا الصغرى، تلك الانتصارات التي شغلته عن دخول بغداد، فلم تتح له الفرصة لدخولها طيلة مدة حكمه والتي استمرت حتى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢[١]، بالتالي يلاحظ بأن السلاجقة لم يسيطروا على بغداد بشكل مباشر، وإنما تركوا للخليفة حرية التصرف نوعاً ما، ولم يتدخلوا في شؤونه إلاّ في حالات نادرة، على عكس من سبقهم ما أدى إلى ارتفاع مكانتهم لدى كل من الخليفة العباسي ورجال الدين على حد سواء وخاصة أنهم كانوا من السنة مذهب الدولة العباسي الرسمي. لم تستمر حياة ألب أرسلان طويلاً فقد توفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ليخلفه ابنه ملكشاه ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٢] الذي خطب له على منابر بغداد، كان كوالده من الحكام العظام الذين شغلوا بأعمال الفتوحات، فقد تمكن من السيطرة على بلاد الشام وتابع أعمال والده العسكرية، كما أنه دخل بغداد وأقام بها مدة من الزمن وخلال إقامته فيها رغب في التخلص من الخليفة العباسي لكي يتمكن من السيطرة على الحكم في بغداد واستلام مقاليد الدولة العباسية إلا أن خططه وطموحاته لم تتحقق إذ عاجلته المنية قبل الخليفة العباسي[٣]، وبالعودة للحديث عن السلطان ملكشاه فقد احتفظ بوزير والده الحسن بن علي الطوسي والذي اشتهر بإصلاحاته العديدة والتي وطّد من خلالها أركان الدولة، وساهم في دعم الحركة العلمية بتأسيسه للمدارس بصفة رسمية وجعلها خاضعة للدولة ونشرها في مدن الدولة الرئيسة، وبعمله هذا ساهم في إشراف الدولة بشكل مباشر على التعليم، وفي تخريج فئات عديدة من العلماء الذين ساهموا في نشر أفكار الدولة السلجوقية، ورفد الحركة العلمية في ذلك العصر، كما أنه عمل على دعم وتشجيع الصوفية والتصوف، تلك الحركة التي انتشرت على نطاق واسع في عهده لدوره الكبير في ذلك من خلال اغداقه الأموال عليهم لدرجة دفعت السلطان ملكشاه إلى الاستياء من وزيره لعلمه هذا[٤]، فهو لم يدرك بأن وزيره بعمله هذا إنما يقوم برعاية فئة مهمة من فئات المجتمع، التي تسيطر بشكل كبير على قلوب وعقول العامة، نظراً لتأثير الدين على العامة، كما أنه يجند على حد قوله جنوداً لا ينامون مبتهلين لله تعالى بالدعاء للسلطان بالخير والصلاح[٥]. بالتالي هيّأ للدولة السلجوقية شخصية عظيمة كالوزير نظام الملك الحسن الطوسي الذي دعم أركان الدولة وساهم في تطوير العلم والمعرفة، لكن لم يبق هذا الوزير على قيد الحياة إذ سرعان ماتم اغتياله سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م على يد الباطنية،

---

(١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٩٧؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، مصدر متقدم، ص٢٩-٣٠؛ شبارو(عصام محمد): السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٥.

(٢)- رايس(تامارا تالبوت): السلاجقة تأريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخوري، ابراهيم الداقوقي، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٦٨م، ص١٤٥-١٤٦.

(٣)- زكار(سهيل)، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مرجع متقدم، ج١، ص٢٠٦.

(٤)- الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، مصدر متقدم، ص٦٧؛ الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٥)- ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٢٥.

أو ربما كان موته بتدبير السلطان ملكشاه الذي انزعج من أعماله الأخيرة كما ذكرت بعض المصادر[١]، ولكن سرعان ما عاجلت المنية ملكشاه ليغيب عن الحياة في السنة ذاتها[٢]، وبوفاته ينتهي عصر حكم السلاطين العظام ليدخل السلاجقة بعدهم في مرحلة من الاضطرابات والانقسامات الداخلية ولينتقل الحكم من شخصٍ إلى آخر بدءاً من بركياروق ت٤٩٨هـ/١١٠٤م[٣] مروراً بسنجر ت٥٥٢هـ/١١٥٧م[٤] الشخصية البارزة في مرحلة الضعف والذي تمكن من استعادة شيءٍ من أمجاد الدولة السلجوقية، وأسس لإمارة سلجوقية في العراق سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، انتهاءً بطغرل بن أرسلان شاه ت٥٩٠هـ/١١٩٣م[٥]، والذي قضت عليه الدولة الخوارزمية[٦]، بطلب من الخليفة الناصر لدين الله ت٥٩٠هـ/١١٩٣م[٧]، الذي أزعجه كثرة تدخل السلاجقة في شؤونه والفوضى

---

(١)- السبكي(عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناجي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (د، ت)،ج٤، ص٣٠٩؛ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٣٠٢.

(٢)- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانيةوالدول الإسلامية، مصدر متقدم، ص٢١١؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، مصدر متقدم، ص٦٧، ٦٨؛ أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص٢١٩.

(٣)- بركياروق: ولد بركياروق بن ملكشاه سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، حدثت في عهده اضطرابات شديدة واختلفت أحواله ما بين رخاء وشدة، لكن لابد من الإشارة بأنه لم يهزم في حروبه غير مرة واحدة، كما أنه خطب له في بغداد؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص٧٧.

(٤)- ولد سنجر بن ملكشاه في مدينة سنجار سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، كان قمحي اللون، مجدر الوجه، فارع الطول، حدثت في عهده صراعات كثيرة حول الحكم، لكن استقر حكمه فيما بعد، حكم واحد وستين سنة منها عشرين سنة في خراسان وحدها، ثم احدى وأربعين سنة في مُلك الأماكن الأخرى، لكن للأسف انتهت حياته بين يدي الغز التركمان وكانت وفاته سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م؛ الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص٢٥٦-٢٧٨.

(٥)- طغرل بن ألب أرسلان ، عاش في كنف الدولة، كان طويل القد، رحب الصدر، رفيع القامة، وصل إليه الملك فجأة، كانت أيام حكمه مضطربة، قتلته الدولة الخوارزمية عندما اجتاحت العراق بطلب من الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، لينتهي بموته حكم الأسرة السلجوقية في العراق؛ الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر نفسه، ص٤٦٢-٤٦٣.

(٦)- تنتسب الدولة إلى مؤسسها أنوشتكين الذي كان عبداً تركياً اشتراه أحد أمراء السلاجقة من بلاد الغور، وكان يشغل وظيفة الساقي في بلاط ملكشاه،انصب اهتمامه على تربية ابنه محمد الذي برز فيما بعد وتولى حكم خوارزم سنة ٤٦٠هـ/١٠٩٦م تولى الحكم فيها عدد من القادة وانهارت على يد المغول؛النسوي(محمد بن أحمد ت٦٣٩هـ/١٢٤١م): سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ حمدي، دار الفكر العربي، مصر ، ١٩٥٣م، ص١٤-١٨.

(٧)- ولد الناصر أحمد بن المستضيء بأمر الله سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، بويع له بالخلافة سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، كان أبيضاً، معتدل القامة، لم يلي الخلافة أحدٌ أطول دولة منه توفي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وخلفه ابنه الظاهر محمد وكان كهلاً؛ الذهبي(محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢٢، ص١٩٢.

التي ألمت ببغداد في عهدهم ، وكثرة الصراعات على الحكم، فسارع إلى استقدام الدولة الخوارزمية الناشئة التي ساعدته في القضاء عليهم، و إزالة نفوذهم عن العراق، ولينتهي بموت أخر سلطان منهم ما سمي بالعصر السلجوقي في العراق(١)، ولكن ليستمر في كلٍ من آسيا الصغرى وأجزاء من فارس بمسميات اختلفت باختلاف الأسر التي حكمت في تلك المناطق والتي انتمت جميعها إلى الأسرة السلجوقية(٢).

بعد هذا العرض الموجز للأوضاع السياسية للدولة السلجوقية الحاكمة في العراق يتبادر للذهن سؤال مهم، وهو ماهي العوامل التي ساهمت في انهيار الدولة السلجوقية والتي استمرت حوالي قرن ونصف القرن؟

أهو الصراع المستمر على العرش الذي بدأ منذ وفاة ملكشاه ورافق الدولة طيلة أيامها؟

أم هي الخصومات الدائمة بين الوزراء والأمراء؟ أم اهتمامهم بمشاكلهم الداخلية مهملين الدفاع عن المسلمين ضد الخطر الصليبي الذي اتسع ليشمل مناطق واسعة من بلاد الشام؟ أم ياترى حركات الباطنية التي استعادت نشاطها وسيطرت على قلاعٍ مهمة في فارس وبلاد الشام بعد موت السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، والتي عملت بكافة السبل على تقويض حكمهم والعمل الجاد على نشر مذهبهم؟ أم تدخلاتهم المستمرة في الخلفاء العباسيين وإهانتهم في بعض الأحيان؟. أسباب كثيرة ولكنها مجتمعة ساهمت في تقويض حكمهم في العراق ذلك الحكم الذي ترك إيجابيات قليلة تمثلت بتشجيع الحركة العلمية، وفي رعاية العديد من العلماء والمؤرخين الذين تمكنوا في مثل هذا الجو المفعم بالعلم من تأليف مؤلفات عديدة تميزت بمميزات كثيرة رفدت الحركة التأريخية بكل ما هو جديد.

---

(١)– الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مصدر متقدم، ص٥١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص٥٩٠.

(٢)– بوزورت(كليفورد)، الأسرات الحاكمة في التاريخ الأسلامي، مرجع متقدم، ص١٦٨؛ P.M.Holt,AnnK.S.Lambton, The Cambridge History of Islam, Cambridge University,London, 1987, P 152-153.

ثانياً– أهم المدن والمراكز العلمية:

لم يتمتع العراق بمكانة سياسية جعلته مركزاً للعالم الإسلامي في العصور الإسلامية فحسب، وإنما تمتع بمكانة علميةمهمة جعلته من أهم مراكز العلم ، وخير دليل على ذلك وصف كثير من الرحالة والمؤرخين له حيث قال المقدسي ت٣٦٧هـ/٩٧٧م عنه(هذا إقليم الظرفاء، ومنبع العلماء، لطيف الماء، عجيب الهواء، ومختار الخلفاء)[١]، كما قال في موضعٍ آخر متطرقاً لأهميته العلمية(كثيرة الفقهاء، والقراء، والأدباء والأئمة والملوك....أخرج ... كل فقيه ومقريء وأديب، وسري وحكيم وداه وزاهد ونجيب وظريف ولبيب)[٢]. بالتالي فإن العراق في نظر المؤرخين والجغرافيين مصدرٌ للعلماء والفقهاء والأدباء الذين ترعرعوا في مدنه ودرسوا فيه ثم قاموا بنشر معارفهم في الأقاليم المختلفة. ولكن ياترى في أي المدن ترعرعوا؟ وأي المدن كانت مراكز للعلم والفكر بالعراق في العصر السلجوقي؟.

من أوائل المدن التي كانت مركزاً فكرياً هاماً خلال العصر العباسي وجذبت المفكرين والعلماء من شتى الأنحاء، بغداد فتلك المدينة التي وضع أسسها أبو جعفر المنصور ت١٥٨هـ/٧٧٤م[٣] سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م وأتمها سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م وسماها مدينة السلام[٤]، تقع في موقع متوسط من العراق قريبة من الماء والبادية، يعتدل فيها الهواء في جميع الأزمان والفصول[٥]. تطرق المؤرخون والجغرافيون للحديث عن بغداد وموقعها الجغرافي ومراحل بنائها من قبل أبي جعفر المنصور ت١٥٨هـ/٧٧٤م، والتطورات التي شهدتها وما أصابها من خراب خلال العصر العباسي[٦]، لكنهم لم يهملوا الإشارة إليها كمركز مهم من مراكز الفكر والعلم فهذا اليعقوبي ت٢٨٤هـ/٨٩٧م يقول عنها(فليس عالم أعلم من عالمهم، ولا أروى من روايتهم، ولا أجدل من متكلمهم، ولا أعرب من نحويّهم، ولا أصح من قارئهم)[٧]. كما أن الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م مؤرخ العراق في العصر

---

(١)– المقدسي(محمد بن أبي بكر البنا ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الأردن، دار الفارس للنشر، ط١، ٢٠٠٣، ص١٢٢.

(٢)– المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢٢،١٣١.

(٣)– أبو جعفر المنصور: ولد عبد الله بن محمد بن علي بالحميمة سنة ٩٥هـ/٧١٣م، أمه أم ولد بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، كان أسمر البشرة، خفيف اللحية، حج بالناس على مدى سنوات، كما أنه بنى مدينة السلام، استمرت خلافته ٢٢سنة، وتوفي سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م في مكة عند أدائه لفريضة الحج؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٤٥٩.

(٤)– الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم،ج١، ص٦٦.

(٥)– اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٧، ٨.

(٦)– ابن رسته(أحمد بن عمر ت٣٠٠هـ/٩١٢م): الأعلاق النفيسة، ليدن، المكتبة الجغرافية، ١٨٩٢م، ص٢٣٣؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مصدر متقدم، ص١٠٩–١١٠.

(٧)– اليعقوبي، البلدان، مصدر متقدم، ص٨.

السلجوقي يصفها بقوله (لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها، وتميّز خواصها وعوامها)[١]. أما المقدسي ت٣٦٧هـ/٩٧٧م فقال عنها (مدينة السلام، ولهم الخصائص والظرافة والقرائح واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق، كل جيد بها، وكل حسن فيها، وكل حاذق منها وكل ظرف لها، وكل قلب إليها وكل حرب عليها)[٢]. بالتالي فإن بغداد من خلال وصف المؤرخين الآنفي الذكر عدّت مركزاً لتجمع العلماء، فنبغ فيها في العصر السلجوقي عدد كبير من المؤرخين والعلماء سواء أكان ذلك في مجال التأريخ كالخطيب البغدادي ، وابن الجوزي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م[٣]، أم في مجال العلوم الدينية كأبي اسحاق الشيرازي ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م[٤]، أو في مجال الطب كأسرة آل الصابىء[٥]، وفي الأدب والإنشاء كالعماد الأصفهاني الكاتب ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م[٦]. هؤلاء وغيرهم الكثير الذين استمدوا علومهم من مراكز علمية كان لها مكانتها في ذلك العصر، والتي انقسمت إلى مؤسسات دينية وأخرى تعليمية رسمية أما الدينية فبرز العديد من المساجد التي كانت بمثابة معاهد علمية متطورة تخرج منها العديد من العلماء، كما زارها طلبة العلم من شتى الأنحاء، ومن أهمها جامع المنصور ذلك الجامع الذي كان منارة للعلم في العصر العباسي وخاصة السلجوقي[٧]، فمؤرخ كبير كالخطيب البغدادي شرب من ماء زمزم داعياً الله أن يحقق أمنيته بإملاء الحديث في هذا الجامع[٨].

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١١٩.

(٢)- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر متقدم، ص١٢٦.

(٣)- سيرد ذكرهما في الفصل الثالث.

(٤)- أبي اسحاق الشيرازي: ابراهيم بن علي بن يوسف اختلف في تاريخ مولده الذي كان في مدينة شيراز التي نشأ فيها، رحل طلباً للعلم إلى بغداد سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، فتتلمذ على يد مجموعة من الفقهاء وبعد اكمال علمه بلغ مكانة عالية أهلته لتولي التدريس في نظامية بغداد، توفي سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، ودفن في بغداد ومن تصانيفه طبقات الفقهاء؛ ابن قاضي شهبة(أبو بكر بن أحمد بن محمد ت٨٥١هـ/١٤٤٨م): طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، بيروت، مؤسسة دار الندوة الجديدة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٢٤٤-٢٤٦.

(٥)- سيرد الحديث عنهم بشكل كاف في الفصل الثالث.

(٦)- الأصفهاني: محمد بن محمد تفقه بالمدرسة النظامية، وأتقن الخلاف وفنون الأدب، وسمع الحديث، ولما أتم كل ذلك تولى النظر بالبصرة ثم بواسط ثم انتقل إلى دمشق، وتقرب من حكامها حيث صار كاتب السلطان صلاح الدين الأيوبي ت٥٨٩هـ/١١٩٣م، من تصانيفه البرق الشامي، الفتح القسي في الفتح القدسي، وخريدة القصر وجريدة أهل العصر، توفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م؛ اليافعي(عبد الله بن أسعد ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م،ج٣، ص٣٧٢؛ مصطفى(شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٠٣-١٠٧.

(٧)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٤، ص١٦١؛ ج٥، ص٧١.

(٨)- الصفدي(خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، اعتناء احسان عباس، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م،ج٧، ص١٩٢.

و من المساجد الأخرى التي أقيمت فيها حلقات العلم المختلفة مسجد ابن جردة[١] الذي شهد حركة دينية وتعليمية نشطة على حدٍ سواء استمرت لمدة طويلة[٢] إضافة إلى غيره من المساجد التي كثرت في بغداد ولا حاجة لذكرها هنا لأنه سيتم الحديث عنها في الصفحات التالية. ولابد من الإشارة إلى أنه كان لخزائن الكتب دور علمي كبير في هذا العصر الذي ظهرت فيه العديد من دور الكتب، والتي نشطت فيها الحركة العلمية، كما كانت تعقد فيها الحلقات العلمية والمناظرات بين الشيوخ والفقهاء وخير مثال عليها خزانة كتب غرس النعمة محمد ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م[٣]. وخزانة الخطيب البغدادي[٤] وغيرهما من خزائن الكتب التي كانت ملتقى لأهل العلم والفكر.أما أهم ماميز بغداد في هذا العصر وجعلها من المراكز العلمية الهامة إنشاء المدارس الرسمية فيها على يد نظام الملك الحسن الطوسي تلك المدارس التي أطلق عليها لفظة النظاميات و أقميت في بغداد أولاً[٥]. بالتالي كانت بغداد من المراكز العلمية الهامة وخير دليل على ذلك قيام الرحالة الأندلسي ابن جبير ت٦١٤هـ/١٢١٧م بالحديث عنها خلال زيارته العراق وعاصمته بغداد وذلك في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد من خلال هذه الزيارة لاحظ مقدار التطور العلمي فيها، كما أنه دُهِش أمام كثرة المنشآت التعليمية سواء أكانت مساجد أم مدارس عامة تابعة للدولة، أو لشخصيات حاكمة وعلماء، كما أنه حضر مجالس علمها التي لم يشهد نظيراً لها[٦]، وحديثه هذا يدل بالطبع أن بغداد على الرغم من كل الاضطرابات السياسية التي شهدتها إلاّ أنها بقيت مركزاً علمياً هاماً له مكانته لدى العلماء الذين قصدوها من شتى الأنحاء ليكون لهم شرف التتلّمذ في مدارسها الهامة. وجد في العراق إلى جانب بغداد مدن كثيرة ازدهرت فيها الحركة العلمية فالبصرة كانت إحداها عاصمة الجنوب وثغر العراق، مدينة قديمة بنيت في عهد الصحابي عمر بن الخطاب الذي طلب من فاتحي العراق بناء مدينة للعرب بين فارس وديار العرب فجاءت البصرة التي وصفت بغلاظة أرضها، وكثرة حصاها الأبيض، إضافة إلى كثرة أنهارها ونخيلها[٧]. و أهم شيء كثرة مساجدها التي كانت مراكز علمية التقى فيها رجال العلم وتباحثوا في علوم عصرهم[٨]، وخير دليل على مكانة البصرة العلمية والتاريخية بشكل خاص

(١)- مسجد ابن أبي جردة يقع في محلة نهر المعلى وينسب للشيخ محمد بن أحمد بن الحسن البيع بن جردة، الذي كان شيخاً حسناً لم يرَ أحسن منه، توفي سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر متقدم، ج٩، ص٩-١٠.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٧٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٩.

(٤)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج١، ص٢٥١.

(٥)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٣٠.

(٦)- ابن جبير(محمد بن جبير ت٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، بيروت، دار الشرق العربي، (د، ت)، ص١٧٦-١٧٩.

(٧)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١، ص٤٣٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مصدر متقدم، ص١٠٥.

(٨)- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر متقدم، ص١٢٤؛ البغدادي(ابراهيم بن صبغة الله): عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة، ط١، ١٩٩٨م، ص١٥٨.

اتخاذها مركزاً للاتجاه القبلي ذلك الاتجاه الذي برز في التاريخ في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد لكونها كانت مركزاً لتجمع القبائل فنما فيها ما سمي بمدرسة العراق ذات الاتجاه القبلي[١]. لكن لكثرة الاضطرابات التي ألمت بالعراق ولكثرة الثورات التي حصلت فيه خلال العصر العباسي تراجعت مكانة البصرة العلمية، لما تعرضت له من الخراب والدمار [٢]، ولكنها عادت واستعادت بعضاً من هذه المكانة في العصر السلجوقي فقد زخرت بعدد كبير من العلماء البارزين سواء في مجال اللغة و الأدب كالحريري صاحب المقامات ت٥١٦هـ/١١٢٣م[٣]، أم في مجال العلوم الفقهية كأبي العباس الجرجاني ت٤٨٢هـ/١٠٨٩م[٤] وأبي الفرج البصري ت٤٩٩هـ/١١٠٥م[٥]، الذين كان لهما دور مهم في إنشاء مدرستين حملت كل مدرسة اسم مؤسسها وضمت خزائن للكتب وأوقافاً عديدة، وتتلمذ فيها عدد كبير من طلبة العلم في البصرة[٦]، وقد سبقهما إلى إنشاء المدارس الوزير نظام الملك الحسن الطوسي الذي أنشأ نظامية فيها[٧].

بالتالي فإن إنشاء المدارس في هذه المدينة وكثرة المساجد فيها، كلها أمور تؤكد مدى نشاط الحركة العلمية في تلك المدينة التي تأثرت بالأحداث السياسية إلاّ أنها قاومتها واستمرت في دورها الثقافي والفكري.

أما الكوفة مدينة العراق العتيقة فقد بنيت زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سواد العراق، سميت بالكوفة لاستدارتها واجتماع الناس فيها[٨].

---

(١)– عثمان(محمد فتحي): مدخل إلى التاريخ الإسلامي، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ، ص١٢٠.

(٢)– الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مصدر متقدم، ص١٠٨.

(٣)– الحريري: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، من قرية المشان من أعمال البصرة، سمع من كثر، وقدم بغداد، وتتلمذ على يد كثر كأب اسحاق الشيرازي ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م، حدّث ببغداد بجزء من حديث الشيرازي، وأملى بالبصرة مجالس كثيرة، اشتهر بمقاماته التي ألفها والتي أملاها في بغداد والبصرة، توفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٣م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٤٦٠.

(٤)– أبي العباس الجرجاني: أحمد بن محمد بن أحمد، قاضي البصرة، سمع من أبي القاسم التنوخي وأبي محمد الجوهري وأخرين، كان جلداً، ذكياً، توفي سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م على طريق البصرة ودفن هناك؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٨٥.

(٥)– أبي الفرج البصري: محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين قاضي البصرة، سمع من علماء البصرة، ثم ورد بغداد، وسمع فيها من أبي الطيب الطبري وغيره، وسمع بالأهواز و واسط، كان فصيحاً، كثير الحفظ، عارفاً بالآداب، توفي سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٩٢.

(٦)– ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٨٥؛ ج١٧، ص٩٧؛ معروف(ناجي): علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص١٤٢–١٤٤.

(٧)– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٨٨؛ معروف(ناجي)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مرجع متقدم، ص١٤٢.

(٨)– ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٩٠.

وهي من مدن الإقليم الثالث[١]، كانت في صدر الإسلام من أعظم مراكز دراسة الفقه الإسلامي، إلاّ أنها خربت وأصابها نوع من الكساد في العصر السلجوقي[٢]. فيلاحظ بأن الحركة العلمية لم تكن متطورة حيث لم تذكر مصادر التاريخ بناء نظامية فيها، بل بقي التدريس فيها مقتصراً على حلقات العلم في المساجد وعلى مدرسة حنفية أسستها شخصيات من أهل الكوفة[٣]. في الوقت الذي ضعفت فيه الحركة الفكرية في كل من البصرة نوعاً ما والكوفة بعد القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، فإنها نشطت في أماكن أخرى منها مدينة واسط تلك المدينة التي أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي ت٩٥هـ/٧١٣م[٤]، سنة ٨٤هـ/٧٠٣م، وفرغ منها سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، في الإقليم الثالث متوسطة بين الكوفة والبصرة[٥]، وصفها المقدسي بقوله(سميت واسط لأنها بين قصبات العراق وبين الأهواز، رفقة صحيحة الهواء، عذبة الماء، حسنة الأسواق، واسعة السواد)[٦]. نشطت في واسط الحركة العلمية وخاصة في علوم القرآن كما قال ابن بطوطة ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م(إن أهل واسط من خيار أهل العراق بل خيرهم على الإطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم، ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة، وإليهم يفد الغرباء لتعلُّم القرآن)[٧]. من خلال كلمات ابن بطوطة يلاحظ بأن واسط اشتهرت دون غيرها بعلوم القرآن تلك العلوم التي كانت تدرس في جامعها الذي أنشأه الحجاج في طريق السوق[٨]، كما أن هذا الجامع استمر في مهمته العلمية خلال العصر السلجوقي الذي بنيت فيه عدد من المدارس التي أنشاها العديد من علماء واسط وفقهائها كمدرسة أبي علي الفارقي ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م[٩].

هذه المنشآت التعليمية أخرجت عدداً من العلماء الذين درسوا فيها أو في بغداد ثم عادوا إليها لعقد حلقاتهم العلمية

(١)– المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر متقدم، ص١٢٤؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، مصدر متقدم، ص١٦٧، ١٦٨.

(٢)– ابن جبير، رحلة ابن جبير، المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٣)– معروف(ناجي)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص١٤٧.

(٤)– ولد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي سنة ٣٩هـ/٦٥٩م وقيل سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، سمع من كثر، وبرز في عهد حكم الأمويين الذين ولوه الحجاز ثم عزلوه عنه وولوه العراق، كانت فيه شهامة، وحب لسفك الدماء، وفي أيامه بنيت واسط ونقطت المصاحف، توفي سنة ٩٥هـ/٧١٣م؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٢، ص٥٠٧.

(٥)– ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٤٧.

(٦)– المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر متقدم، ص١٢٦.

(٧)– ابن بطوطة(محمد بن عبد الله بن محمد ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار التراث، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٧٩.

(٨)– المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر متقدم، ص١٢٦.

(٩)– الحسن بن ابراهيم بن علي، من أهالي ميافارقين، ولد بها سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م، وتفقه بها إلاّ أنه قصد بغداد وتفقه على يدي أبي اسحاق الشيرازي ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م، نزل في خان بالقرب من مسجد أبي اسحاق بباب المراتب، ولي القضاء بواسط وأعمالها، وسكنها إلى حين وفاته وتوفي سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٨٥، ٢٨٦.

من هؤلاء خميس بن علي بن أحمد الحوزي المحدث ت٥١٠هـ /١١١٦م[١]، ونصر الله بن محمد الواسطي ت٥٣٦هـ/١١٤١م[٢]، وغيرهم الكثير الذين أعطوا واسط أهميتها ومكانتها كمركز علمي مهم في العصر السلجوقي. بشكل عام هذه كانت أهم مراكز العلم التي اشتهرت بالعراق في العصر السلجوقي ضمن حدوده التي أعلن عنها الجغرافيون العرب، ولابد من الإشارة بأن هناك مدناً كثيرة جاورت العراق ولكنها تتبع لإقليم الجزيرة، اشتهرت فيها الحركة العلمية في هذا العصر وساهمت في دعم وتطور العلم في العراق كالموصل[٣]، وميافارقين[٤]، وسنجار[٥]. ولكن الحديث عنها سيعد تطويلاً وخروجاً عن حدود العراق، ولكن تمت الإشارة إليها لتوضيح عبارة مفادها بأنه ليس هناك من حدود للعلم، والعلوم تنتقل بانتقال الأشخاص ولا تقبع في منطقة دون غيرها وإنما تنتشر تبعاً لجهود شخصياتها.

ثالثاً– المنشآت التعليمية:

جاء الإسلام ونشر رسالته في الأنحاء كافةً، رسالة الوحدة والسلام، والتوحيد والمعرفة، فقد حضّ الإسلام على التعلم والتعليم وجعل طلبه عبادة من العبادات وفريضة من الفرائض، لذا اهتم المسلمون بتحصيله، ومرحلة تحصيله كانت تبدأ بالكتاتيب[٦] ثم تنتقل لحلقات العلم في المساجد ودور العلماء وبعض قصور الخلفاء، إضافة إلى خزائن الكتب العامة والخاصة، وفي العصر السلجوقي أضيفت إليها المدارس التي انتشرت على نطاق واسع، وانتشرت معها الربط و الزوايا. هذه أهم المنشآت التعليمية التي نهضت بمهمة تلقين العلم في العصر السلجوقي بالعراق. لذا سيتم تناول أهمها بنوع من التفصيل لبيان مدى أهمية الأدوار التي نهضت بها والدور الفاعل للعناصر التي تخرجت منها في دعم الحركة العلمية و التأريخية.

(١)– خميس بن علي بن أحمد الحوزي: نسبة إلى الحَوز قرية شرقي واسط، ولد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، كان من حفاظ الحديث ومن أهل الأدب توفي بواسط سنة ٥١٠هـ/١١١٦م؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٢، ص٣١٨.

(٢)– نصر الله بن محمد الواسطي بن الجلخت، مسند واسط، سمع أباه وغيره من علماء واسط، كان شيخاً صالحاً ثقة، من بيت الحديث والعلم، توفي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٥٩.

(٣)– الموصل: قاعدة ديار الجزيرة وهي على دجلة في جانبها الغربي، وفي جنوبها يصب الزاب الأصغر إلى دجلة، وهي في مستو من الأرض، ولها سوران قد خرب بعضهما، كما فيها قلعة؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٣٨٥.

(٤)– ميافارقين: قاعدة ديار بكر، تقع بين الجزيرة وأرمينية، وبعضهم يجعلها من الجزيرة، لها جبل في شمالها وميافارقين في ذيله ولها نهر صغير على شوط فرس منها، تسقي بساتينها وتخترق دورها؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٣٧٩.

(٥)– سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لحف جبل عالٍ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٦٢.

(٦)– الكتاتيب: مفردها كتّاب وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، وهي المهمة التي اضطلع بها أصلاً وتشير النصوص التأريخية إلى وجود الكتاتيب على عهد رسول الله(ص) وخلفائه الراشدين، وانتشرت الكتاتيب في العراق بعد تحريره انتشاراً واسعاً سواء أكان ذلك في المدن أم القرى؛ الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ/٨٦٨م): البيان والتبيين، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، مطبعة الفتوح، ١٣٣٢هـ، ج١، ص٢٥١.

١- المساجد والجوامع:

أماكن العبادة الأولى في الإسلام وجاءت كلمة المسجد من سجد سجوداً أي خضع فهو إذن كل موضع يتعبد فيه[١]، أما اصطلاحاً فهو كما ذكر المكان المخصص للعبادة عند المسلمين[٢]. أما بالنسبة للجامع فهو نعت المسجد أتى معناه من اجتماع المصلين فيه للصلاة حيث تقام فيه الصلوات الجامعة وصلاة الجمعة فهو بالتالي منبر المسلمين الجامع لهم[٣]. يلاحظ بأن المسلمين استخدموا تارة كلمة جامع و أخرى كلمة المسجد، وأحياناً أطلقوا على المكان لفظة المسجد الجامع و بعد ذلك أخذوا يطلقون تسمية الجامع حتى على المسجد الصغير الذي تقام فيه صلاة الجمعة لأنه يجمع الناس لوقت معلوم[٤]، وبما أن المسجد كان المؤسسة الروحية الأولى في تاريخ الدولة الإسلامية فهو كذلك كان مدرسة المسلمين الأولى ، حافظ طوال العصور السابقة لمدة البحث على مكانته التعليمية، واستمر يؤدي دوره التعليمي من خلال حلقات العلم المختلفة التي عقدت في أرجائه لتدريس العلوم الدينية والفقهية وعلوم القرآن مع شيء من النحو و الصرف واللغة[٥]، ومما ساعد المسجد على النهوض بمهمته هذه بناؤه من قبل الحكام في وسط المدن التي اختطوها، وإشراف الدولة المباشر عليه وعلى أوضاعه، وتخصيص الأوقاف العديدة له لتأمين متطلباته المختلفة[٦]. استمر المسجد ينهض بمهمته التعليمية في العصر السلجوقي بالعراق على الرغم من انشاء المدارس التي سيأتي ذكرها لاحقاً، ولقد كانت المساجد في العراق كثيرة ، وفي بغداد بشكل خاص، وخير دليل على ذلك قول ابن جبير الذي زار بغداد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م عنها" أما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلاً عن الإحصاء"[٧].

ومن مساجد بغداد المهمة التي كانت خلايا علمية عقدت فيها حلقات العلم المختلفة والمناظرات بين العلماء، وتثقف فيها العديد من العلماء الذين برزوا بالعراق بهذا العصر، كما زارها العديد من طلبة العلم من بلاد الشام وغيرها من مناطق لحضور حلقات العلم فيها والتي ذاع صيتها، جامع المنصور الذي سبقت الإشارة إليه ذلك الجامع الذي أنشىء مع بناء بغداد واستمر في مهمته التعليمية التي لم تنقطع،

(١)- الزبيدي(محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، دار الحياة، (د، ت)، ج٨، ص١٧٣-١٧٤.

(٢)- عبد الوهاب(حسن): تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٦م، ج١،ص١١.

(٣)- ابن منظور(محمد بن مكرم ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، بيروت، دار الفكر، (د، ت)، ج٨، ص٥٣.

(٤)- الألوسي(محمود شكري): تاريخ مساجد بغداد و أثرها، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٣٤٦هـ، ص ٥-٦.

(٥)- طوطح(خليل): التربية عند العرب، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٤م، ص١٤.

(٦)- بليع(محمد توفيق): المسجد والحياة في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٨٠م، ع١، ص١٦١.

(٧)- ابن جبير، رحلة ابن جبير، مصدر متقدم، ص١٨٣.

ومن أشهر العلماء الذين لازموا التدريس و الوعظ فيه الخطيب البغدادي[١] الذي عقد فيه مجالس للإملاء[٢]، تلاه علي بن عبيد الله المعروف بابن الزاغوني ت٥٢٧هـ/١١٣٢م[٣]، الذي كان يناظر فيه يوم الجمعة قبل الصلاة ثم يعظ بعدها ويجلس يوم السبت في حلقته الخاصة[٤]، ولم يكن الجامع مكاناً للوعظ فقط وإنما كان مجتمعاً للأدباء والنحاة الذين عقدوا مجالس فيه فهذا هبة الله بن علي الشجري ت٥٤٢هـ/١١٤٧م[٥] درّس فيه فقد أخبر ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م عنه بأنه(كان يجلس يوم الجمعة بجامع المنصور، مكان ثعلب[٦]، ناحية الرباط)[٧] وغيرهم الكثير. لم يكن جامع المنصور وحده مركزاً لتدريس العلوم، إنما نهض بهذه المهمة أيضاً جامع المهدي أو جامع القصر[٨]، الذي بني بالناحية الشرقية من بغداد والتي عرفت بالرصافة ففي هذا الجامع كانت تقرأ العهود وفيه يصلي كبار رجال الدولة إضافة إلى ذلك فقد كان مركزاً لعلماء الحديث ورجال اللغة والأدب[٩]،

(١)- سيأتي الحديث عنه بشكل مفصل في الفصل الثالث.

(٢)- الإملاء والإملال على الكاتب الواحد، وأمليت الكتاب أملي واستمليته سألته أن يملي عليّ؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج١٥، ص٢٩١.

(٣)- الزاغوني: علي بن عبيد الله بن نصر بن السري الزاغوني، قرأ القرآن بالقراآت، وقرأ من كتب اللغة والنحو، عرف عنه تفننه بالعلوم، وتصنيفه بالأصول والفروع، تتلمذ ابن الجوزي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م على يديه، وكانت له حلقة بجامع المنصور، توفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٧٨.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص٢٧٦.

(٥)- الشجري: ولد هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، سمع من أبي الحسين بن الطيوري وغيره، انتهى إليه علم النحو، وكانت له حلقة علم في جامع المنصور يملي فيها، استمر فيها حتى وفاته التي كانت سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص٦١.

(٦)- ثعلب: أحمد بن يحيى الشيباني المعروف بثعلب، من أهالي الكوفة، اهتم بعلم النحو وصنف التصانيف العديدة في الأدب، و من تصانيفه الفصحاء، اعراب القرآن، كتاب القراءات، وحد النحو، وصف بكونه ثقة صالحاً مشهوراً بالحفظ، مات سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م؛ اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٢، ص١٦٣.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٦١.

(٨)- جامع المهدي: المسجد الجامع بالرصافة والذي بناه المهدي ت ١٦٩هـ/٩٠٧م في أول خلافته سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م، ظل على حاله حتى عهد المكتفي ت٢٩٥هـ/٩٠٧م، حيث أمر سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م بهدم قصر الخلافة الذي جاور المسجد والمطامير التي كانت قربه، وأمر أن يجعل موضعها مسجداً جامعاً في داره يصلي فيه الناس، فسمي بمسجد القصر بدلاً من مسجد المهدي؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١٠٨.

(٩)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص١٠٨/ج٣، ص١٠٤.

فقد حدّث فيه محمد بن عبد الباقي ت٥٣٥هـ/١١٤٠م[١] ، ودرس فيه معلم اللغة والنحو أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ت٥٤٠هـ/١١٤٥م[٢] صاحب المعرب. ومن المساجد أيضاً مسجد ابن جردة في محلة نهر المعلى[٣] الذي عقدت فيه مجالس العلم وانبرى للتدريس فيه سبط الخياط ت٥٤١هـ/١١٤٦م[٤] الذي انفرد طوال حياته بالتدريس فيه، ومنها أيضاً مسجد فخر الدولة بن المطلب[٥] وغيرها الكثير، يضاف إليها مسجد واسط، ومسجد البصرة وفيها كلها عقدت مجالس الوعظ وحلقات العلم التي بهرت الرحالة الذين زاروا العراق[٦]، فتحدثوا عنها وعن الأدوار التي نهضت بها في ذلك العصر لنشر العلم والمعرفة سواء أكانت دينية أم دنيوية.

٢- المدارس النظامية:

مدارس نسبت إلى مؤسسها الوزير نظام الملك الحسن الطوسي ، لكن قبل البحث في هذه المدارس وسبب إنشائها وصفاتها، والقواعد التي سارت عليها والعلوم التي درّستها، لابد من توضيح المقصود بكلمة المدرسة، ولماذا لم يرد ذكرها في العراق حتى القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد؟.

بداية المدرسة مشتقة من المصدر درس وهو الموضع الذي يدرس فيه، وأيضاً المدارس وللمصدر درس معانٍ عديدةً منها قرأ ففي قوله تعالى(وليقولوا درست)[٧] أي قرأت، بالتالي من الدراسة والقراءة اشتقت كلمة المدرسة وهي موضع العبادة والدرس عند اليهود[٨]، فالمدرسة إذاً مكان التعلم والدراسة. عرفت هذه المنشآت منذ القرن

---

(١)- ولد محمد بن عبد الباقي بن محمد بالبصرة ونشأ فيها، حفظ القرآن وسمع الحديث من خلق يطول ذكرهم، كان حسن الصورة حلو المنطق، أملى الحديث بجامع القصر، كان عالماً بالفرائض توفي سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م ودفن في مقبرة باب حرب؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٣.

(٢)- ولد موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، ونشأ بباب المراتب سمع الحديث الكثي، وألّم بعلم اللغة فأتمها و درّسها في نظامية بغداد، من كتبه المعرب، توفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص٤٦.

(٣)- محلى نهر المعلى: أعظم محلة ببغداد وفيها دار الخلافة، وهو نهر يدخل من باب بينٍ مستمدة من الخالص فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس، وتنسب هذه المحلة إلى المعلى بن طريف كبير قواد الخليفة الرشيد ت ١٩٣هـ/٨٠٨م؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٢٤.

(٤)- سبط الخياط: ولد عبد الله بن علي بن أحمد سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م، تلقّن علوم القرآن والأدب، وصنف كتباً عدة، وكان إمام مسجد ابن جردة طوال حياته، عرف عنه لطف الأخلاق، وكثرة التلاوة، توفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م ودفن في مقبة الإمام أحمد بن حنبل؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٥١.

(٥)- مسجد فخر الدولة بن المطلب: ينسب لفخر الدولة وهو أبو المظفر بن الحسن بن هبة الله بن المطلب، كان أبوه وزيراً للخليفة، وأخوه أستاذ الدار، فتصوف في زمن الصبا، وبنى مدرسة ورباطاً ببغداد، وبنى جامعاً بالجانب الغربي من بغداد عند قصر عيسى؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج١٠، ص١١٨.

(٦)- ابن جبير، رحلة بن جبير، مصدر متقدم، ص١٧٤-١٧٨.

(٧)- سورة الأنعام، آية رقم ١٥٠.

(٨)- ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٦، ص٧٩.

الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، ولكن في نيسابور وبخارى حيث ذكر النرشخي ت٣٤٨هـ/٩٥٩م في حوادث سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م بأن حريقاً قد شبّ في مدينة بخارى فاحترقت جميع الأسواق وكان من بين ما احترق مدرسة[١]، كما أنه في ترجمة محمد بن فورك ت٤٠٦هـ/١٠١٥م[٢] يذكر بأنه تنقل بين عدة مدن ثم استدعاه أهل نيسابور إليهم حيث بنوا له مدرسة وداراً نشر فيها العلم[٣]. بالتالي فإن هذه المنشآت عرفت قبل القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد في بلاد ما وراء النهر وكانت حصيلة تطور كل من الكتاتيب والمساجد، ولكن ياترى لماذا لم تعرف أصلاً إلاّ من خلال نظام الملك الحسن الطوسي ؟

كان في العراق عدد كبير من المساجد التي نهضت بمهمة التعليم، ولكن مع دخول السلاجقة العراق سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ومع توالي الانتصارات وبدء سيطرتهم على العراق ومشاركتهم للخليفة في سلطاته وفي الدفاع عن الدين الإسلامي السني، بدأ الوزير نظام الملك مشروعاً ذكياً رغب من خلاله في إحكام سيطرته على أكثر الفئات تأثيراً على العامة ألاّ وهي الفئة المتعلمة من شيوخ وفقهاء وعلماء، لذا رغب في إنشاء مؤسسات تعليمية تخضع للدولة من حيث اختيار الكادر المتولي للتدريس فيها، أو من خلال المناهج المدّرسة فيها[٤]. يلاحظ بأنه لم يقم بتطوير المساجد والجوامع لأنها مؤسسات دينية إضافة لدورها التعليمي إلاّ أنها تخضع للخلافة، وهو أراد مؤسسات مستقلة عن الدين فأنشأ المدارس. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه في هذا العصر كانت الدعوة الباطنية التي انتشرت في أماكن كثيرة ما تزال نشطة و تبث دعوتها بين الناس لذا أراد الحد من انتشار هذه الدعوة بالعمل على نشر أفكاره ومذهبه الشافعي[٥] والمذهب السني عامة من خلال هذه المدارس وشيوخها وطلابها[٦]. كما أنه أراد استعمال الجدل العقلي والمنطق والدين في مصارعة الفئات المعارضة لمذهبه ولمبادئ الديانة الإسلامية السنية، ولم يُرد استخدام السلاح إنمّا أراد أن يحارب الباطنية بالطريقة نفسها أي بالعقل فقط[٧]،

(١)- النرشخي(محمد بن جعفر ت٣٤٨هـ/٩٥٩م): تاريخ بخارى، تحقيق: أمين عبد المجيد بدوي وأخرون، القاهرة، دار المعارف، (د، ت)، ص١٢٨.

(٢)- محمد بن الحسن بن فورك الأصفهاني، عرف بالتصانيف الحميدة والسيرة الحسنة، دخل العراق وأقام بها مدة يدرسُ العلم، ثم توجه إلى الري، وفيها راسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم ففعل حيث بنيت له مدرسة هناك، بلغت تصانيفه مائة مصنف، توفي في طريق عودته إلى نيسابور سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م؛ اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤.

(٣)- اليافعي، مرآة الجنان، مصدر نفسه، ج٣، ص١٤.

(٤)- معروف(ناجي)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي، مرجع متقدم، ص١٣٠.

(٥)- المذهب الشافعي: نسبة إلى محمد بن ادريس الشافعي ت٢٠٤هـ/٨١٩م، وهو من المذاهب الفقهية التي جمعت بين طريقة أهل الحديث وطريقة أهل الرأي فجاء وسطاً بين المذاهب؛ ابن خلدون(عبد الرحمن بن خلدون ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):المقدمة،تحقيق: أحمد زكي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٦)- معروف(ناجي)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مرجع متقدم، ص١٤.

(٧)- رؤوف(عماد عبد السلام): جوانب من نظم مدارس العصر العباسي، مقال في مجلة تعليم الجماهير، تصدر عن الجهاز العربي لمحو الأمية، العراق، ١٩٨١/١٩٨٢م، ع٢٠-٢١، ص١٢٢.

ولابد من الإشارة بأنه بما أن السلاجقة أعاجم بعيدين عن النسيج العربي العراقي لذا أرادوا التقرب من الناس ومن العلماء وذلك بإنشاء مؤسسات علمية لهم ورصد الأوقاف لها، ورعايتهم وعنايتهم وتأمين كافة متطلباتهم كي يدعموه وينصروه(١)، وأخيراً وليس آخراً كان لشخصية نظام الملك دوراً كبيراً في ذلك فقد عُرف بحبه للعلم وشغفه بحضور حلقات الحديث حتى أنه عُني بالتأليف عندما ألف كتاب سياسة نامة(٢)، كما شغف بالصوفية ورجالهم وعلمائهم فأكثر من مرافقتهم وإغداق العطايا عليهم حتى أن سلطانه ملكشاه لامه على عمله هذا(٣). لذا شرع في بناء المدارس التي لم تخلُ مدينة هامة من مدن خراسان والعراق من واحدة منها(٤) . بعد الحديث عن سبب بناء هذه المدارس لابد من تفصيل الحديث عن أشهر نظامية بنيت في ذلك العصر ألا وهي نظامية بغداد من حيث الموقع، التخطيط، أسلوب التدريس، إضافة إلى المدرسين فيها. اختلف في موقع هذه النظامية فابن الجوزي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م تحدث عنها بأنها بنيت في الجانب الشرقي من بغداد على نهر دجلة ونقضت لأجلها عدة دور مختلفة(٥). وأيده في هذا القول ناجي معروف(٦)، بينما أورد مؤرخون آخرون إشارات عابرة عن موقعها(٧).

لكن مهما يكن فهي بنيت في بغداد وشرع العمل بها سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م وتم الإنتهاء منها سنة ٤٥٩هـ /١٠٦٦م حيث تقرر التدريس فيها(٨). كان بناؤها محكماً أعجب به العديد من الرحالة الذين زاروا بغداد فهذا ابن جبير ت٦١٤هـ/١٢١٧م يقول عنها (والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية وما منها مدرسة إلاّ وهي يقصر البديع عنها، و أعظمها وأشهرها النظامية التي بناها نظام الملك وجددت سنة أربع وخمس مائة)(٩). أما هيكلها وتخطيطها فأغفلت المصادر الحديث عنها، ولكنها أشارت لذلك بشكل عابر بأن كل مدرسة حوت مكتبة ومسجداً وعدة قاعات للدراسة، ومن خلال هذه الشذرات تمكن الألوسي من الحديث عن تخطيطها دون ذكر مصدر معلوماته حيث قال(كانت مستطيلة البناء متناسبة الزوايا والأرجاء فيها محل واسع للدروس، وآخر مثله

(١)- الصقار(سامي): تاريخ التعليم عند المسلمين، الرياض، دار المريخ، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، ص٦٨.

(٢)- نظام الملك(الحسن بن علي ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م): سياسة نامة، ترجمة يوسف بكار، بيروت، دار القدس، (د، ت)، وهو كتاب يتحدث فيه عن سياسة الملوك وكيفية تنظيم الدولة ومؤسساتها المختلفة.

(٣)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٢٦.

(٤)- أبو شامة(عبد الرحمن بن اسماعيل ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق ابراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧م/١٤١٨هـ، ج١، ص٩٨.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٩١.

(٦)- معروف(ناجي)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مرجع متقدم، ص١٩.

(٧)- الطرطوشي(محمد بن الوليد ت٥٠٢هـ/١١٢٦م): سراج الملوك، اعتناء أنطون غندور، الاسكندرية، المطبعة الوطنية، ١٨٧٢م، ص٢١٦.

(٨)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٨٠.

(٩)- ابن جبير، رحلة ابن جبير، مصدر متقدم، ص١٨٣.

معد للمذاكرة ولترويح النفوس، ومصلاها يسع من المصلين الألوف، وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وأفنية للذخائر وأدوات الطباخين، وكانت تشتمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير)[١].

بالتالي فإن تنظيمها كان قائماً على أساس وجود مسجد وقاعات مخصصة للدراسة ومساكن لسكنى الطلاب الغرباء ، ومرافق مختلفة. أنفق عليها نظام الملك مبالغ ضخمة دفعت حساده إلى الوشاية به للسلطان ملكشاه حين قالوا (إن الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية)[٢]، لم يكن الطرطوشي ت٥٠٢هـ/١١٢٦م وحده من تحدث عن الأموال التي أنفقت في سبيل المدرسة، و إنما تحدث عن أوقافها ابن الجوزي في أحداث سنة٤٦٢هـ/١٠٦٩م[٣]. غدت المدرسة واحدة من أعظم منشآت الدولة السلجوقية فقد اشتهرت في الآفاق لمكانتها العلمية ولما تقدمه لأساتذتها وتلامذتها وإدارييها من خدمات كثيرة فقد خصص لهم جرايات معينة ووفرت لهم مخصصات لطعامهم ولباسهم وفرشهم وسراجهم وكافة متطلبات معاشهم[٤]. أما العلوم التي درّست في نظامية بغداد فقد تباينت مابين إقراء للقرآن، وتعليم للفقه والأصول، وتدريس للحديث والوعظ، وأخيراً تلقين لعلوم اللغة العربية وآدابها وتم استنتاج ذلك من خلال شروط الوقف التي وضعها نظام الملك لها والذي ذكره ابن الجوزي في كتابه حيث قال(إنها وقف على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً وكذلك الأملاك الموقوفة عليها، شرط فيها أن يكون على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً، وكذلك شرط في المدرّس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب وشرط أن يكون فيها مقرىء للقرآن، ونحوي يدرس العربية)[٥].يلاحظ بأن نظام الملك اعتنى بنفسه بتعيين مدرسي المدرسة ومعيديها وتبعه في ذلك من خلفه في الإشراف على هذه المدرسة ويلاحظ بأن المذهب المتبع للتدريس فيها هو المذهب الشافعي على الرغم من كون الحنفية هو المذهب الرسمي للدولة السلجوقية و الخلافة العباسية[٦].ولكن إصراره على الشافعية يشير إلى رغبة الوزير في تقوية نفوذ هذا المذهب ونشر تعاليمه وأتباعه لسبب ما ربما ينبع من تعصبه الشديد له، أو ربما يعود لرغبته في حمايته وحماية أتباعه الذين تعرضوا لبعض الضغوط في نيسابور وغيرها من المناطق وخاصة بعد قيام الدولة السلجوقية.

لابد من الإشارة بأن أشهر من درّس بنظامية بغداد أبو اسحاق الشيرازي الفقيه المعروف، وأبو حامد الغزالي ت٥٠٥هـ/١١١١م[٧] وغيرهما الكثير، إضافة إلى أعداد من المعيدين الذين نهضوا بمهمة إعادة المحاضرة بعد

---

(١)- الألوسي، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، مرجع متقدم، ص١٠٦.

(٢)- الطرطوشي، سراج الملوك، مصدر متقدم، ص١٢٨.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١١٧.

(٤)- الألوسي، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، مرجع متقدم، ص١٠٣.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٣٠٤.

(٦)- معروف(ناجي)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مرجع متقدم، ص٢٠.

(٧)- سيرد الحديث عنه بشكل مفصل في الفصل الثالث.

إلقاء المدرس لها ليتمكن الطالب من إدراك أشياء غفلت عنه في المرة الأولى[١]، ومن هؤلاء أبو بركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت٥٧٧هـ/١١٨١م[٢]. أما فيما يتعلق بطلابها فقد درس فيها الآلاف في العصر السلجوقي، الذين وفدوا إليها من سائر أنحاء العالم الإسلامي للشهرة العلمية الكبيرة التي تمتعت بها، ومن مشاهير المؤرخين الذين درسوا فيها العماد الأصفهاني ، وابن عساكر [٣] وغيرهم الكثير الذين تتلمذوا في هذه المدرسة وقاموا بتعليم ما تعلموه في الأماكن التي استقروا فيها. ومن المدارس النظامية الأخرى التي وجدت في العراق نظامية البصرة، فقد ذكرها ابن الأثير ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م في حديثه عن حوادث سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م[٤]، ولم يرد ذكرها عند غيره من المؤرخين، بالتالي فإن المعلومات عن أساتذتها وعن طلابها تكاد تكون معدومة، ولابد من الإشارة بأن هناك مدارس نظامية أقيمت خارج العراق فلا مجال لذكرها هنا.

انفردت النظاميات بكونها المدارس الأولى في العراق، ولكن لم تقتصر المدارس عليها، و إنما أقيمت مدارس أخرى نافستها في نشر العلم والمعرفة، ولكنها لم تصل لدرجتها في الإتقان، وكثرة الأوقاف المحبوسة عليها، وفي عدد الطلاب الذين تتلمذوا فيها، ومن أشهرها مدرسة مشهد أبي حنيفة النعمان[٥] التي سارع لبنائها محمد بن منصور الخوارزمي ت٤٩٥هـ/١١٠١م[٦] الذي تمكن من إتمامها قبل مدرسة نظام الملك بأربعة أشهر وذلك في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[٧]، وغيرها العديد و التي تدل بلا شك على مقدار النهضة العلمية التي عاشتها بغداد بشكل خاص والعراق بشكل عام في العصر السلجوقي تلك النهضة التي أفرزت العديد من المؤلفات في مجال العلوم المختلفة وخاصة في مجال التأريخ موضوع هذا البحث الذي سيسلط الضوء على أسلوب كتابة التأريخ في هذا العصر من خلال فقرات عدة ستتناول العديد من مؤرخي العراق ومؤلفاتهم المختلفة.

---

(١)- ابن جماعة(ابراهيم بن سعد الله ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت)، ص١٥٠؛ القلقشندي(أحمد بن علي ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٣١هـ/١٩١٣م، ج٥، ص٤٦٤.

(٢)- الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعادات عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنباري، عرف عنه تصوفه وحضوره لمجالس الصوفية، وخشونة عيشه وتقشفه، لم يقبل العطايا من أحدٍ، كان عالماً بالنحو والفقه، من تصانيفه أسرار العربية، طبقات النحاة، والميزان في النحو، توفي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٥٥٥.

(٣)- سيرد الحديث عنه بشكل مفصل في الفصل الثالث.

(٤)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص٨٨.

(٥)- مشهد أبي حنيفة النعمان: يقع بجانب الرصافة في بغداد في محلة باب الطاق عند مقابر قريش الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة المنصور؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١٢٢.

(٦)- محمد بن منصور الخوارزمي: كان كاتباً، عرف بالإحتشام وكثرة الأموال، بنى المدارس والمساجد وهو الذي أنشأ المشهد على ضريح أبي حنيفة والقبة والمدرسة بجوارها لزم داره في أواخر أيامه، توفي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص١٨٨.

(٧)- البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، مصدر متقدم، ص٣٤.

٣- الربط والزوايا الصوفية:

أماكن خاصة للعبادة، سكنتها فئات عرفت بالصوفية، ازداد عددها في العصر السلجوقي زيادة ملحوظة بنتيجة السياسة التي اتخذتها الدولة السلجوقية القائمة على تقريب فئات معينة من السلطة لتدعيم نفوذها ومواجهة المد الشيعي ونفوذ الباطنية الذين أثروا تأثيراً كبيراً على مجرى الأحداث في المنطقة(١)، دعمهم الوزير نظام الملك الحسن الطوسي الذي أنشأ في البداية مدارس عديدة استقطبت العلماء من شتى الأنحاء وكان من بين هؤلاء كثير من المتصوفة الذين حضروا مجالسه وعجب الناس من طريقة معاملته لهم(٢). بالتالي فإنهم نالوا حظوة كبيرة لدى الفئات الحاكمة التي قامت بالعناية بهم من خلال بناء المنشآت الخاصة لسكناهم سواء أكانت الربط التي أخذت معناها من قوله تعالى(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)(٣) ، فالرباط يعني المرابطة أي الملازمة والمواظبة على الأمر. أنشىء بداية لأغراض خاصة بالجهاد والزود عن الحدود ضدد الدول التي هددتها لذا تم بناؤه على السواحل و الثغور، وانتقل إلى الشمال الأفريقي حيث انتشر بكثرة وكان يستخدم بشكل خاص للدفاع عن السواحل التي هددتها الشعوب الأوربية ثم كان لها دور في العبادة وإيواء الفئات المتصوفة، هذا فيما يتعلق بالشمال الإفريقي، أما في المشرق فقد كان لها دور في الجهاد و لكنها تحولت فيما بعدإلى أماكن للعبادة سكنها الزهاد والفقراء والمتصوفة الذين زاد عددهم في هذا العصر(٤). بالتالي أصبحت هذه الربط أماكن ارتادها الناس للانقطاع للعبادة والحد من الشهوات من خلال مجاهدة النفس على ذلك.

أما الزوايا فهي الأماكن التي يجتمع فيها الزهاد حول شيخ من الشيوخ أو حول ضريح لهم(٥)، ظهرت أول الأمر في الجوامع حيث انزوى عدد من الفقهاء والقراء الذين يتدارسون في أحد زوايا الجامع بعيداً عن المصلين كي لا يلهوهم عن عباداتهم(٦). يلاحظ بأن التمييز بين الربط والزوايا من الأمور الغامضة ترادف معانيها وجميعها تطلق على أماكن أُوقفت للصوفية، إلاّ أنه يعتقد بأن الربط هي أماكن الصوفية في المدن، أما الزوايا فهي أماكن

(١)- البيسومي(أحمد بن حسين): الحياة العلمية في العصرين الأتابكي والأيوبي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، اشراف أ . د سهيل زكار، جامعة دمشق، ١٩٩١م، ص٢١٤، ٢١٥.

(٢)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٢٦.

(٣)- سورة الأنفال، آية رقم ٥٠.

(٤)- الزبيدي، تاج العروس، مصدر متقدم، ج١٩، ص٢٩٨؛ نوري(موفق سالم): العلاقات العباسية البزنطية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٠م، ص٧٩.

(٥)- بروفنسال(ليفي): دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة عن الأصلين الإنكليزي والفرنسي، أصدرها بالعربية: أحمد الشنتناوي و آخرون، بيروت، دار المعرفة، ١٩٣٣م، ج١٠، ص٣٣٢، ٣٣٣.

(٦)- البرهاوي(رعد محمود): خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية، بغداد، مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٧٧.

سكناهم خارج المدن في القرى[١]. إضافة إلى المهمة الجهادية والدينية التي نهضت بها هذه المنشآت فإنه كان لها مهمة تعليمية متمثلة بالقراءة والاستنساخ، وعقد الحلقات التعليمية و إقامة المناظرات الفقهية، إضافة إلى منح الإجازات العلمية لكثير من الطلاب، كما أنها كانت أماكن لتصنيف العديد من المؤلفات . بالتالي فإنها كانت مراكز للعلم اهتمت بتطويره مما ساعدها على ذلك احتوائها للعديد من المكتبات الموقوفة فيها، إضافة إلى وجود العديد من الشيوخ والفقهاء البارزين الذين عملوا على تدعيم دورها التعليمي بما ألفوه من كتب وبما عقدوا من مجالس للوعظ[٢]، ومن الربط التي وجدت في العراق وسجل لها نشاط تعليمي رباط الزوزني[٣] ويعد من أقدم الربط في بغداد وكان يقع قبالة جامع المنصور[٤]، وشيد في الأصل لأبي الحسن البصري ت٣٧١هـ/٩٨١م[٥]، الذي كان شيخاً للصوفية لكن أصابه الكبر فعجز عن الذهاب للجامع فبنى له رباط مقابل الجامع[٦] ثم عرف الرباط فيما بعد بالزوزني نسبة إلى علي بن محمود أبو الحسن الزوزني ت٤٥١هـ/١٠٥٩م[٧] الذي كان تلميذاً للبصري صحبه طوال حياته وظل مقيماً في الرباط يدرس فيه ويعظ حتى توفي ودفن فيه[٨]. ومن الربط أيضاً رباط البسطامي الذي نسب إلى أبي الحسن البسطامي ت٤٩٣هـ/١٠٩٩م[٩]،

(١)- السبكي(عبد الوهاب بن علي ت٧٧١هـ/١٣٣٩م): معيد النعم و مبيد النقم، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٢٦.

(٢)- أبو نصر(محمد): الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، مصر، عين للدراسات، ط١، ٢٠٠٢م، ص٥٢؛ شميساني(حسن): مدارس دمشق في العصر الأيوبي، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط١، ١٩٨٣م، ص٩.

(٣)- الزوزني: بسكون الواو بين الزايين المعجمتين وفي أخرها النون نسبة إلى زوزن وهي بلدة كبيرة حسنة بين هراة ونيسابور؛ السمعاني(عبد الكريم بن محمد ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٦، ص٣٢٠.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٤، ص٢٨٥.

(٥)- أبي الحسن البصري: علي بن ابراهيم الصوفي الواعظ، بصري الأصل، سكن بغداد، كان من شيوخ الصوفية، كبر سنه فصعب عليه المجيء إلى الجامع، فبنى له الرباط المقابل للجامع ثم عرف بصاحبه الزوزني، توفي سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، ودفن بمقبرة باب حرب ؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٤، ص٢٨٥.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٤، ص٢٨٥.

(٧)- أبو الحسن الزوزني: ولد علي بن محمود بن ابراهيم بن ماخرة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، صحب أبا الحسن البصري ت٣٧١هـ/٩٨١م، صار شيخ الصوفية، والرباط المقابل لجامع المنصور ينسب إليه، وإنما بني للبصري والزوزني صاحب البصري فنسب إليه، توفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ودفن بالرباط؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص٥٩.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص٥٩؛ جواد(مصطفى): الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية، مجلة سومر، مجلد ١٠، ج٢، ١٩٥٤م، ص٢٢٣.

(٩)- أبي الحسن البسطامي: شيخ رباط ابن المحلبان، كان لايلبس إلا الصوف شتاءً وصيفاً، وكان شخصاً محترماً مقصوداً للزيارة من قبل كثر من الناس، خلف مالاً مدفوناً يزيد على أربعة آلاف دينار، وكان شيخاً للرباط؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج ١٧، ص٥٧.

و رباط الشونزية[١] الذي يقع في الجانب الغربي من بغداد بالقرب من مقبرة الشونزية وهو من الربط التي وقفت فيها خزانة كتب ساهمت في دعم النشاط الفكري والتعليمي[٢]. إضافة إلى الرباط شهدة بنت الإبري ت٥٧٤هـ /١١٧٨م[٣] وهومن الربط المخصصة لإيواء النساء الفقيرات وتقديم الدعم لهن، كما اهتمت المشرفة عليه بعقد حلقات العلم التي اشتهرت بها فقد تتلمذ عدد كبير من لفقهاء بغداد على يديّها[٤]. واشتهر في تلك المدة ظهور شخصيات دينية متصوفة اتبعت طريقة معينة في التصوف تبعها عدد كبير من العامة، كما لازمها عدد من الناس في مجالسها ومن هذه الشخصيات عبد القادر الجيلاني ت٥٦١هـ/١١٦٥م[٥]، الذي قدم بغداد وتتلمذ على يد فقهائها وعلمائها واتبع المذهب الحنفي، كما أنه اتبع منهج أستاذه أبي سعد المبارك المخرمي ت٥١٣هـ /١١١٩م[٦] في التصوف ولازمه طيلة حياته إلى أن مات وأورثه قبل موته التدريس في المدرسة المخرمية التي أنشأها في أقصى باب الأزج[٧]، فقام عبد القادر الجيلاني بتوسيعها وذلك بنقض المنازل والأمكنة حولها ساعده في ذلك أهالي بغداد وكان الفراغ منها سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م[٨]. حوت هذه المدرسة خزانة كتب نفيسة وضع نواتها مؤسسها أبو سعيد المخرمي ت٥١٣هـ/١١١٩م وتعهدها بالعناية الشيخ عبد القادر الجيلاني وأولاده من بعده كما أوقف أهل العلم أوقافهم عليها[٩]. استمر الشيخ عبد القادر الجيلاني بالتدريس فيها ملقناً طلبة العلم فيها علوم القرآن، إضافة إلى طريقته بالتصوف والتي عرفت اصطلاحاً بالطريقة الجيلانية وكانت هذه المدرسة فيما بعد نواة للزوايا الجيلانية التي أنشأت في العراق وغيره من المناطق[١٠]. لابد من الإشارة بأنه تم ذكر هذه المدرسة ضمن

---

(١)– الشونزية: مقبرة بغداد بالجانب الغربي دفن فيها الجنيد وغيره من الزهاد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٣، ص٣٧٤.

(٢)– ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٤.

(٣)– سيأتي الحديث عنها ضمن شيوخ ابن الجوزي في الفصل الثالث.

(٤)– ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٧٧.

(٥)– ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص٣٢٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٣٣٠-٣٣٦.

(٦)– أبي سعد المخرمي: ولد المبارك بن علي بن الحسن سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م سمع الحديث وشيئاً من الفقه، أفتى ودرسَ وجمع كتباً كثير لم يسبق إلى جمع مثلها أحد، عرف عنه حسن السيرة، بنى مدرسة بباب الأزج ، تولى القضاء لعدة سنوات، توفي سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ودفن في مشهد الإمام أحمد بن حنبل؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١٨٣.

(٧)– باب الأزج: محلة كبيرة ببغداد قيل كان بها أربعة آلاف طاحونة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة تقع شرق بغداد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١، ص١٦٨.

(٨)– اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٦٧.

(٩)– الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٤٢٨.

(١٠)– ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٣٣٢-٣٣٦.

الربط والزوايا لكون مؤسسها من الصوفية ولكونها اشتهرت كمركز لتجمع الصوفية القادرية الجيلانية فيها حيث تم نشر طريقتهم من خلالها. يلاحظ بأن إنشاء الربط لم يكن مقتصراً على بغداد و إنما تذكر المصادر إنشاء ربط في مناطق أخرى من العراق كواسط ومن الربط التي أنشات فيها، رباط الفرثي التي أغفلت المصادر التاريخية ذكر اسم منشئه وتاريخ إنشائه إنما اكتفت بالقول بأنه رباط كان موجوداً سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م في واسط(١). هذا فيما يتعلق بالربط أما الزوايا فإنها وجدت بالعراق ولكن بأعدادٍ قليلة ومن الزوايا التي اشتهرت بالعصر السلجوقي إضافة إلى الزوايا الجيلانية زاوية أبي بكر الطرثيثي ت٤٩٧هـ/١١٠٣م(٢) التي تقع في إحدى بوادي العراق ولكن أغفلت المصادر تحديد موقعها بدقة وكانت هذه الزوايا تستضيف الفقراء من الصوفية كما كان يقيم فيها بعض القراء الذين نهضوا بمهمة اقراء القرآن وعلومه للناس(٣). ومن الزوايا الأخرى التي اشتهرت بالعراق أيضاً زاوية السيد أحمد الرفاعي ت٥٧٨هـ/١١٨٢م(٤)، وهي عبارة عن عدة زوايا أو أروقة منتشرة في جنوب العراق أقام بها أحمد الرفاعي ورصدت لها أوقاف عديدة ونشر من خلالها طريقته الرفاعية في التصوف والتي جعلت له العديد من الأتباع(٥).

و في النهاية كان لكل منشأة تعليمية دور نهضت به بالعراق في العصر السلجوقي، فالمساجد تابعت مهمتها التعليمية التي مارستها منذ صدر الإسلام وكثر فيها العلماء والفقهاء وتخرج منها العديد من المؤرخين، كما كان للمدارس المنشآت التعليمية الجديدة التي كانت من مفرزات العصر السلجوقي دور في الحركة العلمية والتأريخية بشكل خاص فهي ساهمت في تربية وإنشاء جيلٍ جديدٍ ضمن أسسٍ معينة هدف من خلالها مؤسسوها في ربط الطبقة المثقفة بالدولة والعمل على الحد من الأفكار المناوئة لها، و الإشراف على تربية جيل مثقف يعمل على احترام سياسة الدولة الجديدة، ويؤلف العديد من الكتب المتناسبة مع أفكاره وآرائه.

---

(١)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٢، ص٣١٨.

(٢)- أبو بكر الطرثيثي: ولد أحمد بن علي بن الحسين بن زكريا سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م، تتلمذ بالتصوف بنيسابور، عرف عنه سماعه الصحيح، كما أنه كان يؤذن كل ليلة على سطح رباط أبي سعيد الصوفي فيسمع صوته في جانبي بغداد، توفي سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م ودفن بباب حرب؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص٧٦.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٨٥.

(٤)- أحمد الرفاعي: ولد أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة سنة ٥٥٠هـ/١١٠٦م، كان شافعي المذهب، عرف عنه الصلاح، وانضم إليه خلق من الفقراء وأحسنوا فيه الاعتقاد وعرفوا بالرفاعية توفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٥.

(٥)- ابن الفوطي(عبد الرزاق بن أحمد ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م): تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، (د، ت)، ج٤، ص٥٤.

أما الزوايا والربط فإنها كانت من المؤسسات الجهادية ولكنها نهضت بمهمة تعليمية من خلال سياسة الدولة التي شجعت الحركة الصوفية ، وانتشار المتصوفة ساهم في زيادة هذه المنشآت إلاّ أن الدور الذي نهضت به كان بسيطاً إذا ما قورن بدور المساجد والمدارس. بالتالي فإن هذه المنشآت مجتمعة ساهمت في ولادة الحركة التأريخية وتنميتها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في العصر السلجوقي.

الفصل الثاني:

المزايا العامة للحركة التأريخية :

أولاً- نشأة الحركة التأريخية وتطورها.

ثانياً- العلاقة بين الحياة الفكرية والسلطة

ثالثاً- فنون الكتابة التأريخية : ١- المصنفات التأريخية الحولية.

٢- المصنفات التأريخية المحلية.

٣- كتب التراجم والسير.

٤- المصنفات التأريخية حول الإدارة وسياسة الحكومة.

رابعاً- المادة التأريخية : مصادرها وتصنيفها.

أولاً- نشأة الحركة التأريخية وتطورها:

للحركة التأريخية مزايا وصفات اتصفت بها وتنوعت مع تنوع المناطق واختلاف الثقافات التي نشأت فيها.

قبل البحث في الصفات التي ميزت الحركة التأريخية في العراق في العصر السلجوقي يتبادر للذهن أسئلة كثيرة كالتالية :ماهو التأريخ ؟ وما المقصود بالحركة التأريخية ؟ كيف نشأت هذه الحركة ؟ ومتى شرع بتدوين التاريخ عند العرب ؟ وكيف تطور حتى وصل إلى ما وصل إليه في العصر السلجوقي موضوع هذا البحث ؟! .

التأريخ هو الإعلام بالوقت حيث قال الجوهري ت٣٩٨هـ/١٠٠٦م [١]: (التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله فيقال أرخت وورخت)[٢] ، وافقه على قوله هذا ابن منظور ت٧١١هـ/ ١٣١١م في معجمه لسان العرب وزاد عليه بقوله (الأرخ هو الأنثى من البقر الوحشي بفتح الهمزة وكسرها ، لأنه شيء يحدث كما يحدث الولد)[٣] . بالتالي إتفق المؤرخون على أن معنى التأريخ مرتبط بالوقت ، ولكن اختلفوا فيما بعد في أصل الكلمة حيث ردها بعضهم إلى العربية معتبراً إياها مفردة من مفردات لغة تيم وقيس[٤] ، بينما عدها آخرون معربة عن الفارسية وأصلها ماه روز وتعني يوم القمر[٥] . لكن يلاحظ بأن معظم الباحثين اتفقوا على رأي فحواه بأن الكلمة عربية الأصل نشأت في رحم المنطقة العربية وتطورت مع مرور الزمن لتأخذ معانٍ ودلالات كثيرة اختلفت باختلاف الأغراض التي استخدمت من أجلها[٦].

فهذا خليفة بن خياط ت٢٤٠هـ/٨٥٤م يعرف التاريخ بقوله: (هذا كتاب التاريخ وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم

---

(١)- اسماعيل بن حماد الجوهري ، كان من أعاجب الزمان ، ذكاء وفطنة وعلماً باللغة العربية ، له مصنفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة ، اعترته في أخر حياته وسوسة فصعد الى سطح جامع نيسابور وعمل لنفسه جناحين وحاول الطيران فسقط ميتاً سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٦م؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، مصدر متقدم ، ج١، ص ١٥١.

(٢)- الجوهري (اسماعيل بن حماد ت٣٩٨هـ/١٠٠٦م) : الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٢، (د، ت) ،ج١، ص٤١٨.

(٣)- ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر متقدم ، ج١، ص ٥٨.

(٤)- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، القاهرة، مكتبة ابن سينا ، (د، ت) ،ص ١٩. الجمل (شوقي) : علم التاريخ نشأته وتطوره ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١، ١٩٨٢م، ص ٩٢٨.

(٥)- ابن منظور، لسان العرب ، ج١، ص٥٨، السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ١٩. السلمي (محمد) : منهج كتابة التاريخ الاسلامي وتدريسه ، المنصورة ، دار الوفاء، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٠١.

(٦)- ترحيني (محمد أحمد) : المؤرخون والتأريخ عند العرب ، بيروت، دار الكتب العلمية ، (د، ت)، ص٣٥.

وصومهم و انقضاء عدد نسائهم ومحل ديونهم)[1]، أما ابن عساكر في تاريخه فقد عرفه بقوله: (تاريخ كل شيء آخره وهو في الوقت غايته والموضع الذي انتهى إليه..... ولكل مملكة وأهل ملة تاريخ وجماع القول في تواريخهم أنهم يؤرخون بالوقت الذي تحدث فيه حوادث مشهورة عامة)[2]، أما النويري ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب فجعل التاريخ حاجة يحتاج إليها كلٌّ من الملك ، الوزير ، القائد ، الأمير ، الكاتب ، المشير، الغني ، الفقير وجميع فئات المجتمع[3]. ويفهم من أقوال المؤرخين سالفي الذكر بأن التاريخ مرتبط بالوقت وهو من الحاجات التي لا يمكن الاستغناء عنها في حياة البشرية . بما أن لكل أمة تاريخها بحسب قول ابن عساكر ، فما هو التأريخ الذي استندت عليه الأمة الإسلامية ؟.

قيل بأنه لما قدم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمر بوضع التاريخ، ولكن القول المشهور بأن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي أمر بوضعه لأسباب كثيرة من أشهرها أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أبرق إليه يعلمه بوصول كتب كثيرة منه ليس لها تاريخ فأشكل عليهم ذلك لعدم معرفتهم تواريخ صدورها وأوقات حدوثها، بالتالي ولهذا الأمر جمع عمر الناس للمشورة وطلب منهم تحديد مبدأ لتاريخهم فاختلفوا مابين التأريخ بتاريخ مولد الرسول الكريم ، أو بتاريخ وفاته، فأعرضوا عن هذين التاريخين و أرّخو بتاريخ هجرة الرسول الكريم لأنها فرقت ما بين الحق و الباطل[4].

ثم تطور مدلول الكلمة فيما بعد ليطلق على الكتب التاريخية و أول كتاب حمل اسم التاريخ كتاب عوانة بن الحكم

---

(١)– العصفري (خليفة بن خياط ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) : تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٣٠.

(٢)– ابن عساكر(علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ت ٥٧١هـ/١١٥٧م) : تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، تحقيق: علي شيري ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص٢٤.

(٣)– النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ج١٣، ص٢.

(٤)– المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: شارل بيلا، بيروت، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٤٢٢هـ،ج١، ص٤٩٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر متقدم، ج١، ص٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج١، ص١٢.

ت ١٤٧هـ/٧٦٤م[١] بكتابه المسمى التاريخ[٢]. هكذا ظهرت كلمة التاريخ واتخذت معانٍ مختلفةً ، ولكن ياترى متى بدأ العرب يدونون تاريخهم؟ وكيف نشأ التدوين؟ هل كانت نشأته طبيعية؟ أم كانت هناك أسباب ودوافع ساعدت على هذه النشأة وطورتها فيما بعد ؟

نشأ التاريخ مع نشوء الأمم والدول وتطور مع تطور مراحل الإدراك والوعي بالواقع الجديد، وهكذا كان حال العرب وتاريخهم، فقد عاشوا بداية في شبه الجزيرة العربية متوزعين حول مراكزها الحضارية في مرحلة قبل الإسلام، وكانت لكل قبيلة منهم أخبارٌ ومروياتٌ خاصةٌ بهم ، تركوا بعضاً منها على جدران معابدهم ومقابرهم كما فعل عرب اليمن[٣] الذين بدؤوا التأريخ وتركوا روايات ذات طابع أسطوري. اهتم وهب بن منبه ت١١٤هـ/٧٣٢م[٤] بتدوينها في كتابه فيما بعد[٥]. لم يكن عرب الشمال بمعزل عن هذا الأمر بل إنهم كذلك تركوا مرويات حفظ بعضها عن طريق الشعر[٦].

وحفظت أخرى من خلال التداول في مجالس قبائلهم[٧]، لتعرف فيما بعد بعلم أيام العرب الذي تطور ومر بمراحل كثيرة وذكره من المؤرخين منهم حاجي خليفة الذي عرفه بقوله:(علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأحوال

---

(١)- عوانة بن الحكم: عوانة بن الحكم بن عياض بن وزر بن عبد الحارث الكلبي ، يكنى أبا الحكم من علماء الكوفة ، كان راوياً للأخبار، عالماً بالشعروالنسب، فصيحاً جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها توفي سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م ؛ النديم(محمد بن اسحاق ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) : الفهرست، ضبطه وعلق عليه : يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م،ج١،ص١٦٠.

(٢)- مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون ، مرجع متقدم ، ج١، ص٥٣.

(٣)- الدوري (عبد العزيز): نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٥-١٦؛ نصار (حسين): نشأة التدوين التاريخي عند العرب، بيروت ، منشورات اقرأ، ط٢، ١٩٨٠م،ص٨٩-٩٠.

(٤)- وهب بن منبه: أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، قيل بأنه قرأ اثنان وتسعين كتاباً من كتب الله، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة، ولي القضاء وتوفي بصنعاء سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، وله العديد من المصنفات منها أخبار الملوك المتوجة من حمير، الإسرائليات، تفسير القرآن؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مصدر متقدم، ج١، ص١٥٠.

(٥)- دونها في كتابه التيجان في ملوك حمير ، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، الناشر مركز الأبحاث والدراسات اليمنية، ط١، ١٩٧٩م،ص٣٠وماتلاها.

(٦)- الشرقاوي(عفت محمد) : أدب التاريخ عند العرب، بيروت، دار العودة، (د، ت)، ص١٤٢-١٤٣؛ عثمان (محمد فتحي): المدخل إلى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص ١١٥وماتلاها.

(٧)- الدوري(عبد العزيز)، نشأة علم التاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص١٨-١٩؛ الترحيني، التاريخ والمؤرخون عند العرب ، مرجع متقدم، ص٣٨.

الشديدة بين القبائل والعلم المذكور ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ)[١]. ثم مع ظهور الإسلام الذي شكل حداً فاصلاً بين مرحلتين ، ومع نزول القرآن الكريم وانتشار أفكار الدين الجديد ومبادئه ، وانتشار كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله التي عدّها المسلمون نبراساً لهم مطلقين عليها بعد وفاته لفظة السنة[٢]، كل هذه الأشياء وأشياء أخرى متمثلة برغبة المسلمين في التعرف على الأمم السالفة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم[٣]، وحماستهم لتسجيل المتغيرات التاريخية التي واكبت ظهور الإسلام وقيام دولتهم المترامية الأطراف[٤]، مع ما تم من فتوحات واسعة في مناطق كثيرة واحتكاكهم بفئات وأجناس جدد[٥]، إضافة إلى طلب حكامهم منهم البحث في التاريخ إما رغبة في الإفادة منها في عمل دواوين الدولة[٦]، أو في أخذ العظة والعبرة[٧]. كل هذه الأشياء مجتمعة أدت إلى ظهور علم التاريخ وبداية التدوين التاريخي الذي ظهر بداية متمركزاً في مدرستين[٨] الأولى: مثلها الاتجاه الإسلامي والرغبة في التعمق بمفاهيم الإسلام وسيرة الرسول الكريم (ص) ومثلتها مدرسة المدينة[٩] والتي رفع شعارها أجيال من المؤرخين من أبان بن عثمان ت١٠٥هـ/٧٢٥م[١٠]

---

(١)- حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى به محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، ص٢٠٤.

(٢)- الجمل، علم التاريخ نشأته وتطوره ، مرجع متقدم، ص٣٨-٣٩؛ ضومط (انطوان): التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية ، بيروت، دار الحداثة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢١-٢٥.

(٣)- سيزكين (فؤاد): تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض، ١٩٩١م،ج٢،ص٥-١٠.

(٤)- الوافي(محمد عبد الكريم): منهج البحث في التدوين التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، بنغازي، جامعة قاريونس، ط١، ١٩٩٠م، ص٢٣٤.

(٥)- خضر(عبد العليم عبد الرحمن): المسلمون وكتابة التاريخ، فيرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي،ط١، ١٩٩٣م، ص٩٥.

(٦)- ما يبرهن على ذلك تشكيل عمر بن الخطاب للجنة ثلاثية مؤلفة من جبير بن مطعم ومخرمة بن نوفل وعقيل بن أبي طالب ، تبحث في أنساب العرب والمسلمين وذلك عندما أسس ديوان الجند ليتمكن من خلال عمل اللجنة من توزيع العطايا على الجند بشكل متساوٍ وبحسب الأسبقية في الاسلام ؛ ابن سعد(محمد بن سعدت٢٣٠هـ-٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م،ج٣، ص٢٩٥.

(٧)- النديم ، الفهرست، مصدر متقدم، ج١، ص٨٩٠؛خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، مرجع متقدم، ص٩٦.

(٨)- لا يقصد بالمدرسة المعنى الحرفي لها إنما التيارات الفكرية والتأريخية التي سادت في ذلك العصر.

(٩)- بيضون (ابراهيم): مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص١٥-١٧؛ الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص٣٥.

(١٠)- أبان بن عثمان: أبان بن عثمان بن عفان الأموي روى عن أبيه، شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها، وكان الثاني من المنهزمين، ولي المدينة لعبد الملك، من فصحاء الإسلام وممن عرف بالزهد، أصابه الفالج قبل موته وتوفي سنة ١٠٥هـ-٧٣٢م ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مصدر متقدم ، ج١، ص١٣١.

إلى الزهري ت١٢٤هـ/٧٤١م[١]، مروراً بابن اسحاق ت١٥١هـ/٧٦٨م[٢] لتتكامل مع أعمال كل من الواقدي ت٢٠٧هـ/٨٢٢م[٣] وابن سعد ت٢٣٠هـ-٨٤١م[٤]، ولقد اهتمت بالبحث في ميدان المغازي وعلم الحديث وأسرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ثم بالصحابة من المهاجرين و الأنصار لتتابع إلى التابعين والتابعين وغيرهم[٥]. أما المدرسة الثانية: كانت نشأتها وليدة التطور الذي أصاب المجتمع القبلي فمع تحرك القبائل واستقرارها في مناطق وأمصار جديدة ومع نشأة نوع من الأرستقراطية العربية، وقيام فتوحات كثيرة أدت إلى زيادة الفخر بالانتصارات التي حققها المسلمون إضافة إلى قيام نزاعات بين القبائل، ونشوء فرق إسلامية جديدة، وكثرة الفتن والاضطرابات هذه الأمور اجتمعت كلها لتؤدي إلى نشوء مدرسة العراق، التي اهتمت بدراسة أيام العرب وتراثهم، وأنسابهم بشيء من التفصيل[٦] مثلها إخباريون كثر من أبي مخنف ت١٥٧هـ/٧٧٣م[٧]

---

(١)- الزهري: ولد محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب سنة ٥٨هـ/٦٧٧م،كان عالماً بنسب قومه من أهل العرب، رأى عشرة من الصحابة، رحل إلى دمشق ولازم عبد الملك بن مروان والأسرة الاموية، اشتهر بعلم القرآن والسنة والنسب توفي سنة ١٢٤هـ/٧٤١م؛ ابن خلكان(أحمد بن محمد ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر، (د، ت)،ج٤، ص١٧٧.

(٢)- ابن اسحاق: محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار، من علماء السير والمغازي من أهل بغداد حيث قدم إليها ونزلها حتى وفاته سنة ١٥١هـ/٧٦٨ م. كانت له حظوة عند الخلفاء وكتب كتاباً عن السيرة أخذ عنه المؤرخون فيما بعد ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، مصدر متقدم ، ج١، ص٢١٥.

(٣)- الواقدي: ولد محمد بن عمر بن واقد سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، مولى بني هاشم وقيل بني سهم بن أسلم، كان عالماً له تصانيف في المغازي وكتاب في الردة تولى القضاء بشرقي بغداد، توفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٤، ص ٣٤٨.

(٤)- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع مولى بني هاشم، سكن بغداد وصنف الطبقات الكبرى، كان كاتباً للواقدي ت٢٠٧هـ/٨٢٢م، ظهرت فضائله ومعارفه وعرف بكثرة العلم والحديث وعلمه بالفقه، توفي في بغداد سنة ٢٣٠هـ/٨٤١م؛ ابن الجوزي ، المنتظم، مصدر متقدم، ج١١، ص ١٦١ .

(٥)- الجمل، علم التاريخ نشأته وتطوره، مرجع متقدم، ص٤١-٤٣؛ السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص ٢٠.

(٦)- عثمان(محمد فتحي)، مدخل إلى التاريخ الاسلامي، مرجع متقدم، ص ١٢٠؛ نصار(حسين)، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، مرجع متقدم،ص ٨٩؛ الدوري (عبد العزيز)، نشأة علم التاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص٥٠.

(٧)- أبي مخنف: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي، كان مخنف بن سليم من أصحاب علي عليه السلام، روى عن النبي (ص) وصحبه توفي سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م، وله من الكتب الردة، فتوح الشام، فتوح العراق وصفين، مقتل الحسين عليه السلام وكتب أخرى؛ النديم، الفهرست، مصدر متقدم، ج١، ص ١٦٢.

إلى سيف بن عمر ت ١٨٠هـ/٧٩٦م[١]، و لتبلغ أوج ذروتها ونشاطها مع أعمال المدائني ت٢٢٥هـ/٨٣٩م[٢]. مما تقدم يلاحظ بأن هذين التيارين المتعاكسين سادا خلال القرنين الأول والثاني للهجرة / السابع والثامن للميلاد، ولكنهما سرعان ما التقيا في اتجاه واحد في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد لينتجا مناهج وأسس جديدة للكتابة التأريخية سادت في ذلك العصر دافعة روادها إلى الاحتكاك بمن جاورهم من الأمم الأخرى وممكنة إياهم من الإطلاع على علومهم ، والتُنقل من مكان إلى آخر طلباً للعلم ولينتجوا فيما بعد كتابات موسوعية تناولت الخليقة ككل حتى زمانهم[٣]، ومن هؤلاء الرواد البلاذري ت٢٧٩هـ/٨٩١م[٤]، والطبري ت٣١٠هـ/٩٢٢م[٥] والذي مثل قمة التطور الذي وصل إليه العرب في مرحلة التكوين والنشأة .

---

(١)- سيف بن عمر: أحد أصحاب السير والأحداث له من الكتب كتاب الفتوح الكبير، الردة، كتاب الجمل، مسير عائشة وعلي كرم الله وجهيهما، روى عن كثر، كوفي الأصل والنشأة إلا أنه توفي في بغداد سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م؛ النديم، الفهرست، مصدر نفسه، ج١، ص١٦٥.

(٢)- المدائني: ولد علي بن محمد بن عبد الله مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في المدائن سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها إلى حين وفاته سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م، مؤلفاته كثيرة منها الخلفاء، المغازي؛ ياقوت الحموي(ياقوت بن عبد الله ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):معجم الأدباء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م، ج٥، ص ٢٥٣.

(٣)- ضومط(انطوان)، التأريخ في العصور الوسطى الاسلامية، مرجع متقدم، ص٧٠-١٠٣؛ كب، علم التاريخ، ترجمة ابراهيم خورشيد وأخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ٩٨١١م،ص٥٨-٥٩.

(٤)- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود من أهالي بغداد، سمع خلقاً كثيراً في أنطاكية والعراق وسمع من المدائني وابن سعد ، كان أديباً راوية . له كتب جيدة منها البلدان الصغير، البلدان الكبير، جمل نسب الأشراف، وكتاب عهد أردشير؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج٢، ص ٢٣٦.

(٥)- الطبري: ولد محمد بن جرير سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م في مدينة آمل في طبرستان، سمع خلقاً كثيراً من أهل العراق والشام ومصر، استوطن بغداد وعرف عنه حفظه لكتاب الله وعلمه بالقراآت والمعاني وبأقوال الصحابة والتابعين، ألف كتباً كثيرة في التفسير والفقه والتاريخ توفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٢، ص١٦٢.

ثانياً- العلاقة بين العلوم الفكرية والسلطة:

نشأ التاريخ مرتبطاً بالمكان والزمان الذين يعدان من العناصر الأساسية التي كونته وساهمت في ظهوره وتطوره[١] وبما أنه يرتبط بالإنسان، والإنسان ابن لبيئته التي تعيش تطوراً مستمراً نقلها من نطاق القبائل إلى نطاق الدولة والسلطة لذا فإن التاريخ بالتالي ارتبط بهذه السلطة. تلك السلطة التي تمثلت في العصر العباسي بالخلافة، لذا فقد كان الخلفاء من العناصر الفاعلة والمساهمة في ميدان التاريخ والعلوم الفكرية الأخرى. لقد كان للخلفاء تأثير كما تمت الإشارة لذلك إلا أنه تراوح مابين تأثير سلبي على عناصر الفكر والتاريخ ويقصد بتلك العناصر المؤرخين وخير مثال على ذلك الخليفة أبو جعفر المنصور ، والمؤرخ ابن اسحاق والذي بطلب من المنصور ألف تاريخاً وقام بإهدائه الى ابن الخليفة، لم يكتف بذلك بل قام باختصاره أكثر من مرة وعدّل بعضاً من معلوماته التاريخية إرضاءً لهذه السلطة[٢]. كما كان للفئات الحاكمة المتصارعة أثرها السلبي على بعض المؤرخين فهذا الخطيب البغدادي كان من الموالين للوزير أبي القاسم محمد بن المسلمة ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٣] سارع إلى مغادرة بغداد هارباً وناجياً بنفسه من عقاب البساسيري والفئات المحابية له عندما حققت نصرها على الوزير أبي القاسم ابن المسلمة[٤] . لم يكن للفئات الحاكمة دائماً تأثيرها السلبي، بل على العكس كان لها تأثيرٌ ايجابيٌ دافعٌ للحركة العلمية نحو الأمام ومساهمٌ في انتاج كثير من المؤلفات التاريخية التي أغنت المكتبة العربية، فلولا طلب الوزير الرخجي ت٤٣٩هـ/١٠٤٨م[٥] من هلال الصابىء ت٤٤٨هـ/١٠٥٧م الاتجاه نحو العمل في التأليف التاريخي لما كان هناك ما يسمى بكتاب التاريخ للصابىء الذي حوى معلومات وثائقية مهمة عن القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد [٦]، كما أن صحبة الخلفاء ومرافقتهم كان لها دورٌ كبيرٌ في إنتاج مؤلفات كثيرة، وفي حفظ وثائق مهمة، فهذا ابن الأزرق الفارقي ت بعد ٥٧٢هـ-١١٧٦م[٧]

---

(١)- السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص٢١.

(٢)- النديم، الفهرست، مصدر متقدم، ج١، ص٩٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص ٢٣١.

(٣)- ابن المسلمة : علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر أبو القاسم، كان وزيراً للقائم بأمر الله ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، وصف بسعة العلم وسداد ورجاحة في العقل قتل سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م على يد البساسيري ت ٤٥١هـ/١٠٥٩م عند دخوله بغداد؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٤١ .

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص١٢٩؛ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧؛ السبكي(عبد الوهاب بن علي ت٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، القاهرة دار إحياء الكتب العربية، (د،ت)، ج٤،ص٣٠.

(٥)- الرخجي : أبو علي مؤيد الملك الحسن بن الحسين الرخجي وزر لمشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة سنتين ثم عزل، وكان عظيم الجاه توفي سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٨م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص ٢٦٩.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٥، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٧)- سيرد الحديث عنه بشكل مفصل في الفصل الرابع .

لولا زيارته لملك الأبخاز [١]، ومرافقته له في رحلاته لما تمكن من أن يرسم صورة واضحة لمملكة الكرج وعاصمتها تفليس[٢]، راصداً أوجه الحياة فيها ومشيراً إلى العلاقات التي جمعتها مع الدولة الاسلامية [٣] .يلاحظ بأنه لم يكتف المؤرخون بصحبتهم للخلفاء كندماء وسفراء بل تولى كثير منهم وظائف في البلاط كوزراء كما كان الروذراوري ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م[٤]، الذي تولى الوزارة للخليفة المقتدي بأمرالله ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٥]والذي كتب نتيجة لمنصبه هذا ذيله على كتاب تجارب الأمم لمسكويه ت٤٢١هـ/١٠٣١م[٦]، وآخرون كانوا كتاباً فهذا هلال الصابيء وابنه عملا في دواوين الدولة وعملهما هذا مكنهما من الاحتكاك بمجريات الحياة السياسية، ومن رصد وقائع كثيرة، ونقل صور هامة و وثائق أغنت التاريخ[٧]، كما أن محمداً بن حسين البيهقي ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م [٨]عمل نائباً لرئيس ديوان الرسائل في الدولة الغزنوية، وعمله هذا ساعده في تأليف كتابه صحائف مسعودي الذي

---

(١)- ملك الأبخاز ديمطري بن داوود؛ ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٥٤.

(٢)- تفليس: تقع في أول حدود أرمينية بينها وبين قالي أربع مراحل، وهي على نهر سورها من طين، أهلها عرفوا بالمروءة، وأرضها خصبة ومياهها حامية ، وهي من بلاد الأبخاز؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص١٣٩.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢١٢-٢١٣؛ مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٢٧٧.

(٤)- الروذراوري: محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم، من روذراور وهي بلدة من نواحي همذان،وزر للخليفة المقتدي بأمر الله ت٤٨٧هـ-١٠٩٤م، لم يستغل منصبه لأي غرض أو حاجة إنما كان مكثراً من العطاء في وجوه الخير، توفي سنة ٤٨٨هـ-١٠٩٥م بعد أن ترك الوزارة ملازماً منزله، صنف كتباً منها الذيل على تجارب الأمم ؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص ٢٢؛ مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص ٢٧٨.

(٥)- المقتدي: عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم، بويع بالخلافة بعد وفاة جده القائم سنة ٤٦٧هـ-١٠٧٤م، وصفت أيامه بكثرة الخيرات، وملاحقة المغنيات والمحظيات في بغداد، توفي فجأة سنة ٤٨٧هـ-١٠٩٤م؛ ابن العماد،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص ٣٧٣.

(٦)- مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، سكن في أصفهان وتوفي فيها سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠من من مصنفاته آداب العرب والفرس ، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم في التاريخ؛ ابن أبي أصيبعة(أحمد بن القاسم ت٦٦٨هـ/١٢٦٩): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٣٣١.

(٧)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج١،ص٢٦٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٨؛ عثمان(محمد فتحي)، المدخل الى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص ٧٢٤.

(٨)- البيهقي: محمد بن الحسين ، كان كاتباً للإنشاء في الدولة الغزنوية، عاصر معظم حكامها، بقي مدة كاتباً في الإنشاء ثم اعتزل عمله هذا ملازماً منزله إلى أن توفي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، له كتب عدة منها التاريخ البيهقي، وزينة الكتّاب؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصدر متقدم، ج١، ص٢٨٢.

نشره باسم تاريخ بيهق[١] والذي ضمنه معلومات عن الدولة الغزنوية ولكن بلغة محايدة على الرغم من عمله في دواوينها وحبه لسلاطينها فلم يقم بالانحياز إليهم وإنما رصد حال المنطقة بروح المؤرخ المحايد الأمين في نقوله ومصادره و رواياته[٢]. لابد من الإشارة بأن التأليف في مجال التأريخ والأدب لم يكن حكراً على فئات الموظفين والفقهاء، وإنما شارك الحكام من خلفاء وأمراء في ذلك فهذا الأمير علي بن هبة الله بن ماكولا ت٥٨٧هـ /١١٩١م[٣] يؤلف كتباً عدة في مجال التأريخ والأدب[٤]، وهناك كثر من الحكام الذين أسهموا بأعمال في هذا المجال أو كانوا من المسببين الرئيسيين لتأليف كتب عدة فلولا طلب الخليفة المستظهر بالله ت ٥١٢هـ/ ١١١٨م[٥]من الغزالي ت٥٠٥هـ/١١١١م[٦] لما كان هناك ما يسمى بكتاب فضائح الباطنية والذي نشر أيضاً باسم المستظهري[٧] بالتالي يلاحظ بأن العلاقة مابين السلطة والحياة الفكرية وخاصة التأريخ كانت مابين أخذ ورد، ففي مرات عديدة أثرت السلطة على العلوم الفكرية ودفعتها لارتداء الحلة التي تختارها لها كما فعل السلاطين السلاجقة مع وزيرهم نظام الملك بتأسيسهم للمدارس النظامية ونشرهم إياها في سائر البلاد كما سلف الإشارة الى ذلك، مساهمين بعملهم هذا في ربط الحياة الفكرية بالسلطة من خلال المدارس التي خضعت لإشرافهم المباشر[٨]، كما أن السلطة دفعت العلوم الفكرية وبشكل خاص التأريخ إلى ارتداء حلة الوعظ والايمان بالحكم

---

(١)- مطبوع، ترجمه إلى العربية عن الفارسية يحيى الخشاب وصادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٢)- حلاق(حسان): مقدمة في مناهج البحث التاريخي، بيروت، دار النهضة العربية، (د،ت)، ص٢٩٨-٣٠٦.

(٣)- ابن ماكولا: ولد علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن الأمير دلف بن الأمير الجواد قائد الجيوش أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي في سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م بقرية عكبرا، وزر والده هبة الله للخليفة القائم بأمر الله ت٤٦٧هـ/١٠٧٤م عمل في مجال التدوين والتأليف مؤلفاً العديد من الكتب منها الإكمال في مشته النسبة وغيرها قتل سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م في خوزستان؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم ، ج١٨، ص ٥٦٩-٥٧٨.

(٤)- من كتبه الإكمال في رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب، وكتاب الوزراء؛ مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج٢، ص١٠٦/ج١، ص٢٧٨.

(٥)- المستظهر بالله: ولد أحمد بن المقتدي بأمر الله بن محمد في بغداد سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، تولى الخلافة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وصف بالسخاء والجود ومحبة العلماء، كما كان لين الجانب كريم الأخلاق، توفي سنة ٥١٢هـ/١١١٨م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم،ج١٩، ص ٣٩٦.

(٦)- سيرد الحديث عنه في الفصل الثالث.

(٧)- الغزالي(محمد بن محمد ت٥٠٥هـ/١١١١م): فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، دار القومية للطباعة، ١٩٦٤م،ص٥.

(٨)- أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج١، ص٩٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٢٦.

الإلهي ودعوة السلطان إلى أخذ العبرة والعظة من تجارب الأمم الماضية بالتالي الاتجاه نحو أسلوب سياسي ناصح بدلاً من العنف والثورة[١]، وهذا بدوره أفرز العديد من الكتب من الأحكام السلطانية للماوردي ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[٢]، إلى التبر المسبوك في نصيحة الملوك للغزالي [٣]. لكن على الرغم من تدخلات السلطة في التأريخ فقد وجد العديد من المؤرخين الذين لم يتأثروا بها بل ألفوا مؤلفاتهم رافضين عطايا السلطة والعمل في مؤسساتها كما كان حال المؤرخ الطبري ت٣١٠هـ-٩٢٢م، والخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ-١٠٧٠م[٤]، فقد عملا في مهنهم الخاصة والتي مكنتهما من تأمين قوت يومهم وعدم التقرب من السلطة، وبالتالي رصد الواقع المعاش للدولة العباسية بعين المؤرخ الراصد المحايد الذي يسعى لتأريخ شامل لكل ما يجري من حوله[٥] .

---

(١)- روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٣١٣هـ/١٩٦٣م،ص١٩٥؛ خضر(عبد العليم عبد الرحمن)، المسلمون وكتابة التاريخ، مرجع متقدم،ص٧٨.

(٢)- الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي، كان عالماً بالفقه والأصول والتفسير، وملماً بالعربية وعارفاً بها، ولي قضاء بلاد كثيرة ، ثم سكن بغداد ومات فيها سنة ٤٥٠هـ-١٠٥٨م، من تصانيفه الحاوي، القناع، أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم ، ج٥،ص٢١٨.

(٣)- شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٣٥.

(٤)- عثمان، المدخل الى التاريخ الاسلامي، مرجع متقدم، ص٢٢١؛ كاشف(سيدة اسماعيل): مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت، دار الرائد العربي، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،ص٦٤.

(٥)- شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٢٧٩-٢٨٠.

ثالثاً- فنون الكتابة التأريخية:

بداية الفنون تعني الأنواع والضرب من الشيء، مفردها فن وجمعها أفنان وفنون[١]، وعليه فإن القصد من هذا العنوان أنواع الكتابة التأريخية، تلك الكتابة التي تنوعت وتشعبت مع تعاقب القرون فبعد أن كانت متمثلة بإنموذجين وحيدين هما فنا الكتابة التابعين لمدرسة العراق والمدينة، لوحظ اتساع هذا الفن ليتحول في القرون التالية الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد إلى ألوان وأنماط مختلفة اختلفت باختلاف الأفكار والسياسات والثقافات سواء أكانت محلية أم دخيلة. وجد العديد من فنون الكتابة التأريخية في العصر السلجوقي منها :

١- المصنفات التأريخية الحولية[٢]:

بما أن التأريخ يعني الوقت والزمان لذا فإن المؤرخ الذي عاش في رحاب الدولة الاسلامية كان شديد الحرص على التمسك بالتاريخ ومنه قام بترتيب وتنسيق مواده التأريخية بحسب سنوات حدوثها، وهذا ما أطلق عليه اسم الحوليات [٣] تلك الحوليات التي تألفت من سنوات عديدة اختلفت في طولها أو قصرها بحسب المدة التي ابتدأ المؤرخ التأريخ منها وبحسب تاريخ وفاته الذي معه توقف نشاطه التأريخي[٤]. وجمعت أحداث السنة سواء أكانت سياسية، أم اقتصادية، أو اجتماعية ضمن نطاق واحد تحت عنوان و(فيها)[٥]، وكان يتم الانتقال من سنة إلى أخرى بعبارة (ثم دخلت سنة كذا)[٦]، أو (ثم جاءت سنة كذا)[٧]، حصر فيها المؤرخ معلوماتٍ متفرقة كانت تطول أو تقصر بحسب رغبة المؤرخ الذي كان سيد الموقف فقد كانت أحداث بعض السنوات تطول لتعرض على عشرات الصفحات[٨]، وأخرى قصيرة لا تتعدى بضعة أسطر[٩]، لكن ياترى متى ظهر هذا النموذج في التدوين؟ هل نشأ في عصر متأخر أم كان حديث النشأة في التأريخ الاسلامي؟

تعود نشأته إلى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد، ولكنه نضج في مؤلف تاريخ الرسل والملوك للطبري فهو

---

(١)- ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج١٨،ص٣٤٧٥.

(٢)- الحول يعني السنة اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها وجمعها أحوال وحؤول؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر نفسه، ج١٦،ص١٩٥.

(٣)- ضومط(انطوان)، التأريخ في العصور الوسطى، مرجع متقدم ، ص٧٢.

(٤)- ترحيني(محمد أحمد)، المؤرخون والتأريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص١٣٣.

(٥)- سالم(السيد عبد العزيز): التاريخ والمؤرخون العرب، اسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د،ت)، ص٨٢-٨٣.

(٦)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص٣٤.

(٧)- الهمذاني(محمد بن عبد الملك ت٥٢١هـ/١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت كنعان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية،ط٢،١٩٦١م، ج١، ص٧١.

(٨)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه،ج١،ص٧٣،١٣٠.

(٩)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٢١.

يعد المؤلف الوحيد الكامل الذي بقي حتى العصر الحالي على النسق الحولي[١]، لكن ليس الطبري مبدعاً لهذا الفن إنما ألف الهيثم بن عدي ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م[٢] كتاباً حولياً عنونّه تحت اسم (كتاب التاريخ على السنين)[٣]، كما صنف خليفة بن خياط [٤] كتاباً حولياً بقي كله حيث صنف فيه أخباره ومروياته على نسق الحوليات حيث تتالت السنوات فيه كل سنة تلي الأخرى[٥]، بالتالي فإن المؤرخين اهتموا بالتأريخ الحولي منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد وتطور هذا الاهتمام فيما بعد ليفرز العديد من الكتب. لابد من الإشارة بأنه حاول بعض الباحثين المعاصرين إثبات عبارة مفادها بأن العرب في استخدامهم لهذا الفن من التأريخ، إنما كانوا مقلدين لمؤرخين إغريق وسريان[٦]، ولكن هذه الآراء عارية عن الصحة، ومما يضحدها ابتداء العرب في كتاباتهم الحولية في حقبة زمنية مبكرة لم يكن معها العرب قد شرعوا بالترجمة عن الأمم الأخرى، وحتى لو قاموا بالترجمة فإنها اقتصرت على العلوم الطبية والرياضية[٧]. بالتالي فإن المؤرخين في الدولة الإسلامية حتى وإن كانوا مقلدين لغيرهم وهذا ليس بمؤكد فإنهم قاموا بتطوير المنهج الحولي بإدخالهم التأريخ بحسب الأيام والأشهر إضافة إلى السنوات[٨].

لكن ماهي المكانة التي بلغها هذا الفن في الكتابة التأريخية في العراق في العصر السلجوقي؟

بلغ مكانة عالية وانتشر على نسق واسع فهذا السمناني ت٤٩٩هـ/ ١١٠٥م[٩] كتب كتاباً حولياً اسماه الاستظهار

---

(١)– روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع متقدم، ص١٠٢.

(٢)– هيثم بن عدي: أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي الأخباري المؤرخ، روى عن ابن اسحاق وجماعة أخرى، قل ما روى من المسند ، وصفه بعضهم بالكذب وآخرون سكتوا عنه توفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م وله من العمر ثلاث وتسعين سنة؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٠، ص١٠٣.

(٣)–ترحيني (محمد أحمد)، المؤرخون والتاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص١٣٥؛ سالم (السيد عبد العزيز)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٨٧.

(٤)– خليفة بن خياط: العصفري البصري صاحب التاريخ والطبقات، سمع من يزيد بن زريع وطبقته وحدّث عنه البخاري وغيره، وصف بكونه كان ثبتاً يقظاً؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٣، ص١٨١.

(٥)– خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، مصدر متقدم، ص٢٣٠ وماتلاها.

(٦)– روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، مرجع متقدم، ص١٠٦–١٠٨.

(٧)– كاشف(سيدة اسماعيل)، مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه، مرجع متقدم، ص٧٣؛ الخطيب(نشأت نور الدين): التاريخ والمؤرخون العرب، لبنان، شركة النعمان التجارية، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م،ص٢٢٦.

(٨)– هلال الصابيء(هلال بن المحسن ت٤٤٨هـ/١٠٥٧م): التاريخ، تحقيق: رضوان أحمد مصلح الليث، جامعة صنعاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٣٤، ص ١،ص١٥٦.

(٩)– السمناني: علي بن محمد بن أحمد ، أبو القاسم المعروف بابن السمناني، من فقهاء الحنفية، موله كان برحبة مالك، له تصانيف في الفقه والتاريخ منها روضة القضاة، وطريق النجاة، والاستظهار في معرفة الدول والأخبار والمرشد النظامي توفي سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥ م؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥،ص٣١٧.

في معرفة الدول والأخبار [١]، رتب أخباره على السنين والأشهر، لم يقتصر هذا الأمر على السمناني، وإنما وجد كثر اتبعوا الإسلوب نفسه من أمثال ابن الجوزي[٢] في تاريخه المنتظم الذي يعد تاريخاً حولياً عالمياً، ضمنه أخباراً تتعلق ببدء الخليقة، ثم سرد تاريخ الدولة الاسلامية موزعاً أخباره على السنوات ومنتهياً بسنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م[٣]، لكن ما يميز الفن الحولي في هذا العصر الحرص على تطبيق منهج الاستمرارية في الأحداث والزمن الذي أفرز ما سمي بالذيول والتي غلبت على الكتابة التأريخية آنذاك ، فقد أعجب كثر بعمل الطبري فذيلوا عليه بدءاً بآل الصابىء بعملهم المعروف باسم التاريخ، تلاهم عبد الملك الهمذاني ت ٥٢١هـ/١١٢٧م، ثم ذيل صدقة حداد ت ٥٧٣هـ/١١٧١م[٤] ولتختتم الذيول في هذا العصر بعمل الشيباني ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م[٥]. بالتالي فإن المؤرخين في عملهم هذا لم يكتفوا بالتأريخ على النسق الحولي، إنما أكملوا عمل من سبقهم متحدثين عن بعض السنوات التي سبقت عصورهم ومتحدثين عن عصورٍ عاشوها مما أعطى لمعلوماتهم أهمية كبرى[٦]. لكن هل نال هذا المنهج إعجاب الجميع ؟

وضعت مآخذ كثيرة على هذا المنهج من قبل شخصيات مارسته وتعمقت فيه، فأعرضت عنه ولجأت إلى منهج آخر وهذا كان حال النويري المؤرخ [٧] الذي عدّه مشتتاً للحوادث مفرقاً لها بحديثه عن أحداث كل سنة على حده،

(١)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج٢، ص١٢٥.

(٢)- سيرد الحديث عن ابن الجوزي بشكل مفصل في الفصل الثالث.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١ وماتلاه.

(٤)- صدقة حداد: ولد صدقة بن الحسين بن بختيار بن حداد في بغداد سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، قرأ بالروايات وسمع الحديث من ابن الزاغوني وغيره، برع في الفقه وفروعه وقرأ علم الكلام والمنطق والفلسفة والحساب، كان خطه حسن، له مصنفات عدة في الأصول، جمع تاريخاً على السنين بدأ فيه من وفاة شيخه ابن الزاغوني سنة ٥٢٧هـ١١٣٢م مذيلاً به على تاريخ شيخه ولم يزل يكتب فيه إلى قريب وفاته سنة ٥٧٣هـ-١١٧٧م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص٢٤٣؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٤٠٦.

(٥)- الشيباني: أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب من مؤرخي بغداد، ألف ذيلاً على ذيل ابن السمعاني ذكر ما أغفله وأهمله وسماه السيل على الذيل وهو في ثلاث مجلدات توفي سنة ٥٩٧هـ-١٢٠٠م؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصدر متقدم، ج١، ص ٢٨٨.

(٦)- الخطيب (نشأت نور الدين)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٢٣٢-٢٣٣؛ خضر (عبد العليم عبد الرحمن)، المسلمون وكتابة التاريخ ، مرجع متقدم، ص٢٠٣-٢٠٤؛ مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج٢، ص١٢٩-١٣.

(٧)- النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري القرشي، صنف العديد من الكتب منها التاريخ الكبير في ثلاثين مجلد، التوضيح على التنقيح أي تنقيح اللباب ونهاية الأرب في فنون الأدب، توفي سنة ٧٣٣هـ-١٣٣٢م في مصر؛ البغدادي(اسماعيل باشا): هدية العارفين، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ج١، ص١٠١.

فلا ينتهي القارىء من سنة وينتقل للأخرى حتى يصيبه نوع من التشتت في إدراكه للأشياء التي يبحث عنها فعدل عنه إلى التأريخ بحسب الدول[١]، ولكن ابن الأثير الجزري[٢] لم يعدل عنه إنما عرض في بعض السنوات ملخصاً بسيطاً يضم عرضاً للحادثة التأريخية لكي لا يصاب القارىء بالتشتت والتيه[٣]. لم يتوقف العمل بهذا المنهج وإنما استمر في القرون التالية، ولكن مع ازدياد حجم المادة التأريخية وكثرة الأحداث لجأ المؤرخون إلى التوسع فبدلاً من استخدامهم للحول أساساً لعملهم قاموا باستخدام مدد زمنية أطول بلغت أحياناً عشر سنوات، كما فعل الذهبي ت٧٤٨هـ/١٣٤٧ [٤] في كتابه تاريخ الاسلام[٥] ليستمر المنهج ويتطور وليبقى من الفنون التي استخدمت في العصر العباسي لتصنيف المادة التأريخية.

٢- المصنفات التأريخية المحلية:

لون من ألوان الكتابة التأريخية أفرزته التطورات التي ألمت بالمجتمع الإسلامي تلك التطورات الناتجة عن الأحداث السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية و المتمثلة بضعف الارتباط بمركز الخلافة في بغداد والارتباط بمراكز جديدة قويت على حساب بغداد وأدت إلى ظهور نوع من النزعة الإقليمية وبروز أسر حاكمة عرفتها الساحة العباسية كالأسرة الحمدانية في الموصل و حلب[٦]

---

(١)- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصدر متقدم، ص٢.

(٢)- ابن الأثير الجزري: ولد علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني سنة ٥٥٥هـ/١١٥٩م، كان نسابة ومؤرخاً وأخباري وأديب، صنف مؤلفات كثيرة منها التاريخ المشهور بالكامل على الحوادث والسنين في عشر مجلدات وقام باختصار الأنساب لأبي سعد السمعاني وهذبه وأفاد منه، كما أنه صنف كتاباً حافلاً في معرفة الصحابة وسماه أسد الغابة وشرع في تاريخ الموصل توفي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م؛ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر متقدم ،ج١٧، ص٢١٠.

(٣)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج١، ص١٢-١٣.

(٤)- الذهبي: ولد محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني المصري سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٣م في مصر ألف مصنفات عديدة منها تاريخ الاسلام في اثني عشر مجلداً ، و تذكرة الحفاظ في مجلدين، وسير أعلام النبلاء وغيرها توفي سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢، ص١٦٣.

(٥)- الخطيب(نشأت)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٦)- الدولة الحمدانية : من الدول الناشئة في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد نشأت في الموصل وحلب نتيجة لضعف الدولة العباسية، ولكنها لم تستمر طويلاً وإنما تعرضت لمشاكل عديدة لتنهار في حلب على يدي الفاطميين سنة ٣٩٤هـ-١٠٠٣م، وفي الموصل في نفس السنة تقريباً أو أقل على يدي الدولة العقيلية الناشئة؛الأزدي (علي بن ظافر ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م): أخبار الدولة الحمدانية في الموصل وحلب وديار بكر والثغور، تحقيق تميمة الرواف، دمشق، دار حسان، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص١٢-١٥.

والفاطمية في مصر [١] وغيرها التي أدت إلى تقوية الشعور بالارتباط بالإقليم[٢]، يضاف إلى ذلك بأنه لون من الكتابة قوي مع الرابط الوثيق الذي أخذ يربط المؤرخ بمكان مولده [٣]، إضافة إلى رغبة المؤرخ في تحري الأخبار السياسية لحكامه المحليين وفي جمع الأخبار الاقتصادية والاجتماعية والفكرية عن موطنه[٤] فتدوينها في مصنفات جاء رغبة منه في حفظها من الضياع لقربها منه، ولكونه شاهد عيان عليها، أو رغبة منه في كسب مودة أصحابها من خلال تدوينه أخبارهم ومجريات حياتهم[٥]. لم يكن هذا اللون من التدوين مقتصراً على إقليم دون غيره، إنما شمل أنحاء الدولة الإسلامية كلها من مصر إلى الأندلس فالشام والحجاز والعراق[٦]. ومن أقدم التواريخ التي اختصت بالتاريخ لإقليم (تاريخ مصر وفتوح المغرب) لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ت٢٥٧هـ/٨٧١م[٧].

كما نشأ هذا اللون من التدوين نشأة بسيطة اهتمت بموضوعات معينة لفتت انتباه مؤلفها الذي عاش في محيط ضيق هو جزء من الدولة الإسلامية الناشئة، فشرع يكتب عنه وعن أحواله وأحوال رجاله وفئات مجتمعه[٨] لكن سرعان ما تطور هذا اللون وتخصص ليتفرع إلى فرعين أساسيين وهما :

١- فرع اختص بالتواريخ المحلية التي اهتمت بالدين الإسلامي، والتي نشأت مع ظهور الإسلام وانتشار مبادىء العقيدة الجديدة، لذا اهتم بالحديث عن الأماكن المقدسة المرتبطة بمشاعر المسلمين ألا وهي مكة والمدينة[٩]، ولم

---

(١)- الدولة الفاطمية: من الدول الناشئة في المغرب والتي اتخذت صفة دينية بادعاء أفرادها انتسابهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، مدت نفوذها إلى مصر وديار بكر وبلاد الشام وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت لطعن بنسبهم، انهارت دولتهم سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م على يد صلاح الدين الايوبي ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م؛ المقريزي(أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ج١، ص٣٢٢.

(٢)- روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع متقدم، ص ٢٠٦.

(٣)- روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع نفسه، ص٢٠٧.

(٤)- مصطفى(شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٢٨٩.

(٥)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع نفسه، ج١، ص٣٤٨.

(٦)- خضر(عبد العليم عبد الرحمن)، المسلمون وكتابة التاريخ، مرجع متقدم، ص٧٤.

(٧)- الوافي(محمد عبد الكريم)، منهج البحث في التدوين التاريخي، مرجع متقدم، ص٢٩١؛ أما ابن عبد الحكم فهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، اشتهر بسعة العلم، قاست أسرته من الاضطهاد في عهد الواثق ت ٢٣٢هـ/٨٤٦م لأنها رفضت الأخذ بمذهب خلق القرآن وقد نبذهم الناس فيما بعد لما ثبت عليهم من الاختلاس، توفي في الفسطاط سنة ٢٥٧هـ/٨٧١م، اعتنى بدراسة الحديث من أهم تصانيفه كتاب فتوح مصر والمغرب؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، مصدر متقدم، ج٢، ص ١٢٤.

(٨)- ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص١٥٢.

(٩)- روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، مرجع متقدم، ص٢٢٤.

تهتم بذكر أحداث سياسية أو شخصيات وجدت في تلك الأماكن بقدر ما اهتمت في البداية بالحديث عن مكانة المدينتين وأهميتهما الدينية وتخطيطهما العمراني، وجغرافية المناطق التي وجدت فيها، مع الإشارة إلى مرويات ارتبطت بأحداث عاشتها هاتين المدينتين في عصور ماقبل الاسلام[١]، وخير مثال على ذلك كتاب أخبار مكة لمحمد بن عبد الله الأزرقي ت٢٢٢هـ/٨٣٦م[٢]. لكن تتالت الحقب ومع تتاليها يلاحظ بأنه حدث تطور في التاريخ المحلي الديني فهو لم يكتف بذكر طبوغرافية المدن وأهميتها الدينية وإنما مع تطور مدارس الحديث وكثرة الفقهاء والمحدثين أخذ يهتم بعلماء الدين ممن سكن في تلك المدن، فأكثر من ذكرِ تراجمهم مولياً علوم الدين اهتمامه الكبير رغبة منه في تحري الصدق في هذه العلوم والابتعاد عن الأكاذيب التي أخذت تتسرب إليها[٣].

وأصدق مثال على هذا الأنموذج في العصر السلجوقي الخطيب البغدادي لكونه تاريخاً محلياً أوقفه مؤلفه على ذكر تراجم لرجال بغداد وعلمائها ذاكراً لما روي من أحاديث عنهم ومصدراً أحكامه عليهم لتبيان مدى صدقهم أو تجريحهم في رواية الحديث النبوي[٤]. ومن التطورات الأخرى التي أصابت التاريخ الديني المحلي، ظهور نوع من التأليف عرف باسم الفضائل أي المؤلفات التي اهتمت بذكر فضائل المدن والأقاليم من ذكر لصفات اتصفت بها، إلى آيات قرآنية وأحاديث تطرقت لها، إضافة إلى عقد مقارنات بينها وبين مدينة الرسول الكريم (ص)، ومن كتب الفضائل كتاب فضائل القدس، وفضائل بغداد لابن الجوزي[٥] لكن يلاحظ بأن هذا النوع من التأليف لم ينل إعجاب بعض الباحثين فهذا روزنثال يعدُّ كتب الفضائل شكلاً مبتوراً من التأريخ المحلي الديني، مرجعاً إياه إلى الشعور الذي كان سائداً لدى عرب ماقبل الإسلام من فخر واعتزاز وأحياناً هجاء، بالتالي فهو بنظره لون متطور عن الفخر بالقبائل والأماكن الذي كان سائداً قبل الإسلام[٦]. على الرغم من رد روزنثال لهذا الفن من التأليف إلى نزعة الفخر واتهامه له بالنقص إلا أنه احتوى معلومات كثيرة عن تلك المدن التي تناولها، مشيراً إلى تاريخها من خلال ذكر فضائلها ومحاسنها بالتالي فهو يمد القارىء بمعلومات مهمة عن تلك المدن وما احتوته من أماكن بعثت المؤرخ للفخر بها .لابد من الإشارة في نهاية الحديث عن التأريخ المحلي الديني بأنه لم يهتم فقط بتاريخ

---

(١)- سالم (السيد عبد العزيز)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٢١٩.

(٢)- الأزرقي: محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، ونسبته هذه تعود إلى جده أبو محمد أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي، أول من صنف تاريخاً حول مكة توفي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م؛ ابن الأثير الجزري(عز الدين بن الأثير ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب،تحقيق: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، بيروت، دار الفكر، ط١،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٣٦).

(٣)- الخطيب (نشأت نور الدين)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٢٤٥-٢٤٦؛ سالم (السيد عبد العزيز)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص١٢٠.

(٤)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص٢١٣-٢١٤.

(٥)- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصدر متقدم، ج١،ص٢١٣-٢١٤.

(٦)- روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، مرجع متقدم، ص٢٣٥.

المدن وجغرافيتها، و إنما لجأ للاهتمام بكل ما يمت للدين بصلة من رجال عملوا فيه، إلى مدارس دينية برزت وتطورت فيه، وعلى الرغم من الصبغة الدينية الواضحة إلا أنه أمد بمعلومات هامة عن تطور الحركة العلمية في تلك العصور، وعن نظرة المؤرخين للدين الجديد وكيفية تعاملهم معه واهتمامهم برصد أحوال مدنهم الدينية، وهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على محبتهم للإسلام دينهم الجديد.

٢- أما الفرع الآخر من التواريخ المحلية فهو تاريخ اهتم بكل ما هو دنيوي أي كل ماكان له علاقة بالأحوال السياسية للمدن والأمصار وأحوال الحكام وطبقات المجتمع المختلفة(١) من أقدم الأمثلة عليها تاريخ بغداد(٢) لأحمد ابن أبي طاهر طيفور ت ٢٨٨هـ-٩٠١م(٣) فهو تاريخ خاص ببغداد ضمنه مؤلفه معلومات عن المدينة وعمرانها، ليتحدث عن خلفائها في العصر العباسي الأول(٤). فبغداد باعتبارها مركزاً للخلافة العباسية جذبت اهتمام المؤرخين الذين أكثروا من التأليف عنها في الحقب الأولى، لكن سرعان ماأخذ هؤلاء يهتمون بأمصارهم الجديدة نتيجة لضعف بغداد سياسياً وبروز أمصارهم على الساحة السياسية، فظهرت بالتالي العديد من التواريخ الخاصة بمدنٍ بعينها كتاريخ آمد و ميافارقين أو التاريخ الفارقي لابن الأزرق الفارقي(٥) و تاريخ بخارى(٦) للنسفي عمر بن محمد بن اسماعيل ت ٥٣٧هـ-١١٤٢م(٧) وغيرها من التواريخ التي اهتمت بمدن سكنها هؤلاء المؤرخون فأعجبوا بها فأرادوا الحديث عنها وعن تواريخها مبتدئين بحال بنائها وما كانت عليه ليذكروا بعد ذلك من توالى على حكمها وما شهدته من أحداث سياسية وأحوال اقتصادية واجتماعية بروح المؤرخ الراصد للأحداث الباحث عن الحياد في نقل المعلومات(٨).

---

(١)- ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص١٥٢-١٥٣؛ الوافي(عبد الكريم)، منهج البحث في التدوين التاريخي، مرجع متقدم، ص٢٩٣.

(٢)- حققه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ونشره عزة العطار الحسيني، منشورات مكتب الثقافة الإسلامية، سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

(٣)- ابن أبي طاهر طيفور: محمد بن أحمد من أهالي جرجان ولد سنة ٢٠٤هـ-٨١٩م في بغداد، كان ملماً بالأدب، احترف نسخ الكتب واتخذ حانوتاً بسوق الوراقين من كتبه أبواب الخلفاء وتاريخ بغداد؛ النديم، الفهرست، مصدر متقدم، ج١، ص١٩٦.

(٤)-عثمان(محمد فتحي)، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص ٧٢٢.

(٥)- سيرد الحديث عن ابن الأزرق الفارقي بشكل موسع في الفصل الرابع.

(٦)-بخارى: أرض مستوية من خوارزم تجاور نهر جيحون، تشتهر بمتنزهاتها الكثيرة وبساتينها كثيرة الأشجار؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٤٨٩.

(٧)- النسفي: عمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي، روى عن اسماعيل بن محمد النوحي ومن بعده، وصف بأن له أوهاماً كثيرة ، قدم بغداد وحدث بها ومن كتبه تاريخ بخارى توفي سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص ١٨٩.

(٨)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص ٢٩٥/ج٢،ص ١٢٩-١٣٠.

تفرع عن التاريخ المحلي الدنيوي تاريخ اهتم بأخبار الخلفاء والحكام فيما عرف بتواريخ الخلفاء التي اهتمت بالخلفاء العباسيين ضمن حقب معينة كما اهتمت بذكر أصناف من الموظفين التابعين لهم ضمن مدة زمنية معينة ومكان محدد[١] كتاريخ الخلفاء للسرخسي زهير بن حسن بن علي ت ٤٥٥هـ-١٠٦٣م[٢]، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابىء[٣]. يلاحظ بأن التأريخ المحلي كفن من فنون الكتابة كثر في العراق في العصر السلجوقي فقد ألفت كتب اختصت ببغداد كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي فهو على الرغم من تصنيفه ضمن إطار التأريخ المحلي الديني إلاّ أنه حوى تراجم لخلفاء وشعراء ورجال سياسة مكنت على الرغم من قلتها من رسم صورة للحياة السياسية والعلمية ببغداد في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد[٤]. ومن المؤلفات الأخرى التي اهتمت ببغداد كتاب ديوان الإسلام الأعظم في تاريخ مدينة السلام لابن المارستانية ت ٥٩٩هـ-١٢٠٢م[٥]. كما وجدت كتب اهتمت ببغداد وجدت أخرى اهتمت بمدن أخرى في العراق كالموصل والكوفة وواسط منها تاريخ الموصل لابراهيم بن محمد بن يزيد الموصلي ت ٥٧٧هـ/١١٨١م[٦]. من خلال هذه المؤلفات تم رصد حال العراق في العصر السلجوقي وحال مدنه من الناحية العمرانية والاجتماعية والسياسية، ومكنت من التعرف على أنماط التأريخ المحلي الدنيوي والمدن التي اهتم بها، والتي برهن اهتمامه بها على المكانة التي شغلتها في تلك الحقبة من التأريخ الاسلامي.

٣- كتب التراجم والسير:

(تشغل السير والتراجم مكاناً مرموقاً في مدونات التاريخ، فإذا كان التاريخ هو البحث وراء الحقيقة وتمحيصها وجلاء غموضها في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية، فإن السيرة هي البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشتها والأحداث التي واجهتها في محيطه والأثر

---

(١)- الخطيب(نشأت نور الدين)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ص٢٣٥.

(٢)- السرخسي:ولد زهير بن الحسن بعد سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م، رحل إلى بغداد وسمع من أبي حامد الاسفرائيني ولزمه، وروى عن زاهر السرخسي، رجع إلى سرخس ودرّس بها إلى أن توفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، مصدر متقدم، ج١٥، ص ٧٩١.

(٣)- الصابىء (هلال بن المحسن ت ٤٨٨هـ/١٠٥٦م): تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتاب العربية، ط٢، سنة ١٩٥٨م، وسيأتي الحديث عنه بشكل مفصل في الفصل الثالث.

(٤)- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع متقدم، ج٣،ص ٥٦.

(٥)- ابن المارستانية: عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة، أحد الفضلاء المشهورين سمع الحديث وجمعه ، وكان طبيباً ومنجماً ، وعرف عنه علمه بعلوم الأوائل وأيام الناس وصنف ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ورتبه في ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يشتهر، كما وجمع سيرة ابن هبيرة؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، مصدر متقدم، ح١٦، ص ٧٢٤.

(٦)- ابراهيم بن محمد بن يزيد الموصلي من مؤرخي الموصل كتب تاريخاً عنها عاش في الموصل وتوفي فيها سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، مصدر متقدم، ج١، ص٣٠٧.

الذي خلفه في جيله)[١]، بهذه الكلمات بدأ حسين فوزي النجار كتابه التاريخ والسير مبيناً من خلالها العلاقة الوثيقة التي تجمع بين التاريخ والسير والتراجم. لكن ما المقصود بالتراجم؟ وماهي السير؟ وما الدوافع وراء نشأتهما ؟ وماهي المراحل التي مرا بها في العصور التاريخية المختلفة؟ وماهي أصناف التراجم والسير التي وجدت في العصر السلجوقي في العراق؟

فالترجمة بداية المفسر للسان، والترجمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع تراجم والتاء والنون زائدتان[٢]،تطور مدلول الكلمة فيما بعد ليدل على الكتابة عن كل من اشتهر بالعلم والمعرفة بالتالي فهو لون من ألوان الكتابة يتناول التعريف بحياة المشهورين في ميادين مختلفة سواء أكانت علمية أم سياسية، أو دينية، أو في أي ميدان آخر، بكلمات تطول أو تقصر، تتعمق أو تبقى بسيطة تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعاً لثقافة المؤرخ ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة ودقيقة عن مجموعة المعارف والمعلومات التي تمكن من جمعها عن الشخص المراد الترجمة له[٣]. أما إذا طالت الترجمة وتخصصت في شخصية محورية دون غيرها متناولة إياها من كافة جوانبها سواء الشخصية، أم الخلقية، أو الثقافية، أو أشياء أخرى تتعلق بحياة هذه الشخصية أطلق على هذه الترجمة اسم السيرة[٤]. ومن أوائل المؤلفات التي حملت اسم السيرة مؤلفات اهتمت بسيرة الرسول محمد (ص)، حيث أطلق على المهتمين بها أصحاب السير، وهؤلاء كثر تم التطرق إليهم عند الحديث عن مدرسة المدينة[٥] فقد شغفوا بالدين الجديد محور حياتهم وبشخصية الرسول الكريم (ص) فانكبوا على البحث والتأليف والجمع لكافة المعلومات المتعلقة بحياة الرسول محمد (ص) وغزواته التي قام بها والسرايا التي حدثت في عهده ومنهين حديثهم بوفاته عليه السلام[٦].

يلاحظ بأنه كان لهذه المؤلفات أهمية كبيرة عبّر المؤرخون من خلالها عن حبهم لرسولهم الكريم ولدينهم الجديد فأرادوا تدوين تعاليمه والعناية بكل ما اتصل به من شخصيات وعلوم مختلفة. أما فيما يتعلق بنشأة كل من التراجم والسير فقد جاءت نشأتهما طبيعية وداخلية، وأصلية داخل الجماعة الإسلامية، أفرزها في البداية ظهور دين جديد دفع المؤرخين نحو الاهتمام به وبرجاله، ثم بتعاقب السنوات وتطور المعارف والعلوم نشأت علوم أخرى منها ما ارتبط بالدين كعلم الحديث والفقه ومنها ما ارتبط بالأدب، وأخرى ارتبطت بالطب، فاهتم المؤرخ بدراسة رجال كل

---

(١)– النجار(حسين فوزي): التاريخ والسير، القاهرة، دار الثقافة والإرشاد القومي، ط١، ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م، ص١٤.

(٢)– ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج١، ص٤٢٦.

(٣)– حسن(محمد عبد الغني): التراجم والسير، القاهرة، دار المعارف، (د،ت)، ص٩.

(٤)– حسن(محمد عبد الغني)، التراجم والسير، مرجع نفسه، ص٦.

(٥)– تم التطرق إليهم عند الحديث عن نشاة الحركة التأريخية ص٥١

(٦)– ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص١٦٧.

علم على حده والتطرق للحديث عمن برع واشتهر فيه[١]، كما أنه مع نشأة الدول وظهور الأسر الحاكمة ظهرت الحاجة للترجمة للحكام وموظفيهم لتبيان الأثر الذي تركوه في المجتمع في تلك العصور[٢]، يضاف إليها رغبة بعض الشخصيات في تسطير حياتها على صفحات الكتب لتبقى هذه السير للأجيال القادمة يتعظون بها مدركين مدى أهمية تلك الشخصيات وما تركته من آثار وأعمال[٣]، بالتالي هذه الدوافع مجتمعة كانت السبب في ولادة فن التراجم والسير كلون من ألوان التصنيف التأريخي. يلاحظ بأن ذلك الفن لم يكتف بالاهتمام بشخصية الرسول الكريم وأعماله الجليلة فحسب، وإنما اتسع ليشمل رجال الحديث والسنة ملقياً الضوء على شخصياتهم ومقدار الأحاديث التي حفظوها ومقيّماً إياهم من حيث الصدق والكذب في رواية الحديث مما أدى إلى ظهور كتب خاصة بهذه التراجم من أقدمها تاريخ البخاري[٤] للإمام البخاري ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م[٥]. إن الاهتمام بالسنة وجه الأنظار أيضاً نحو الاهتمام بطبقة الصحابة والتابعين نظراً لمكانتهم الكبيرة في الإسلام ولكونهم من حفظة الحديث الشريف ومن المناصرين الأولين للرسول (ص)، ومن أقدم الكتب التي تحدثت عن الطبقات تاريخ خليفة بن خياط[٦]. لكن لابد من الإشارة إلى أنه مع تنوع العلوم الدينية وظهور الفقهاء والمفسرين والقراء والحفاظ عني المؤرخون المسلمون في كل عصر من العصور بتأليف كتب خاصة اهتمت بذكر البارزين في كل علم من العلوم ومتخصصين بعلماء منطقة معينة أو متطرقين لأرباب كل علم في مختلف الأمصار الإسلامية[٧]، فظهرت تراجم خاصة بالشعراء مترجمين لهم في كتب خاصة أو ضمن كتب التراجم العامة[٨] كما برزت تراجم لموظفي البلاط من وزراء وكتّاب مترجمين لهم وذاكرين نبذاً عن مهنهم والأعمال التي قاموا بها ضمن حقبة زمنية معينة[٩]. يلاحظ بالتالي بأن كتب التراجم بدأت بسيرة الرسول الكريم محمد (ص) لتتسع وتشمل ميادين

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، مصدر متقدم، ج١، ص١؛ لويس(برنارد)، ب.م . هولت: مؤرخو العرب والاسلام حتى العصر الحديث، نقله إلى العربية وقدم له: سهيل زكار، دمشق، دار التكوين، ٢٠٠٨م، ص٩١-٩٢.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، ص١-٥.

(٣)- روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، مرجع متقدم، ص٢٣٦.

(٤)- الخطيب(نشأت)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٢٥٤؛ حسن (محمد عبد الغني)، التاريخ عند المسلمين، القاهرة، دار المعارف، (د، ت)، ص٦١.

(٥)- الإمام البخاري: ولد محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م كتب بخراسان ورحل في طلب العلم فزار مدن العراق والحجاز والشام ومصر، سمع محمد بن عبد الله الأنصاري وطائفة أخرى، ورد بغداد دفعات وحدث بها فروى عنه أهلها ، برع في علم الحديث توفي سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٢، ص١١٣.

(٦)- عثمان(محمد فتحي)، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص١٥٠.

(٧)- سالم (السيد عبد العزيز)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٩٥.

(٨)- مصطفى(شاكر)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ج١،ص٣٩٣.

(٩)- الوافي(عبد الكريم)، منهج البحث في التدوين التاريخي، مرجع متقدم، ص٢٩٣.

واسعة لشخصيات وفئات مختلفة سكنت المجتمع الإسلامي سواء أكانوا رجالاً أم نساءً، نساءً نعم! فلم يغفل المؤرخ أن يترجم للنساء المشهورات من أديبات وشاعرات وعالمات وفقيهات وجاريات، وخير مثال على ذلك الجزء الأخير من تاريخ بغداد فقد أفرز الخطيب البغدادي باباً خاصاً بالشهيرات من النساء[١]، كما أن ابن الجوزي تحدث عن بعض النساء ضمن ثنايا كتابه المنتظم[٢]. وبما أن التراجم كانت متنوعة فإن هذا التنوع والتلون كان موجوداً في العصر السلجوقي، فظهرت مصنفات اعتنت بتراجم معينة كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي فعلى الرغم من تصنيفه ضمن نطاق التاريخ المحلي إلا أنه كان عبارة عن تراجم واسعة لرجال العلم في بغداد ولشخصيات كثيرة زارت بغداد وسكنتها[٣]. كما أن التراجم في العصر السلجوقي دخلت نطاق التاريخ الحولي فوجدت العديد من الكتب التي تضمنت أحداث سنواتها ذكراً لوفيات هذه السنة مترجمين لبعضهم[٤]، ولكن يلاحظ بأن هذه التراجم المذكورة في كتب الحوليات تم تنظيمها في هذا العصر من خلال تخصيص مجال محدد في نهاية السنة وخير مثال على ذلك كتاب المنتظم لابن الجوزي .[٥]كما ظهر الاهتمام بتراجم الفقهاء وطبقاتهم وخير مثال على ذلك كتاب الفقهاء لعبد الملك الهمذاني ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ، وبتراجم الصوفية ومن أشهر المؤلفات كتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي [٦]، وتراجم الصحابة وفئات أخرى ككتاب المرشد النظامي للسمناني ، كما ظهرت كتب تراجم خاصة بالوزراء ككتاب الوزراء لابن ماكولا، وتاريخ الوزراء للهمذاني[٧] إضافة إلى كتب التراجم المتنوعة ظهرت كتب السير ومن أبرز كتابها في هذا العصر ابن الجوزي والذي كتب العديد من السير التي اختصت بشخصيات معينة من المجتمع الاسلامي كسيرة الخليفة عمر بن الخطاب ت٢٣هـ/٦٤٣م، وسيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز ت١٠١هـ/٧١٩م [٨]

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤، ص٤٣٠-٤٤٧.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج٧، ص٣٢٨/ج١٠،ص٢٣٠.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، مصدر متقدم، ج١، ص٢١٤؛ فقد ذكر الخطيب في كتابه سبب تأليفه له وتضمينه للتراجم التي تمت لبغداد بصلة ومن خلال مطالعة الكتاب يستطيع القارىء ادراك العدد الكبير من التراجم التي احتواها.

(٤)- هلال الصابىء، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٤٠٤،٤٠٢،٤٠١؛ غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص ٩٩،١١٥،٤٩.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١،ص٤/ ج٤، ص١٣٥،١٨٥/ج٧، ص٣٢٨.

(٦)-حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصدر متقدم، ج١، ص٢٧.

(٧)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج٢، ص١٢٥.

(٨)- الخليفة عمر بن عبد العزيز: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية من الخلفاء الأمويين الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى، كانت خلافته سنتين وبضعة أشهر وتوفي سنة ١٠١هـ/٧١٩م ؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج٧، ص٦٩.

وكتاب المصباح المضيء في فضائل المستضيء[١].

لابد من الإشارة بأن المؤرخين تناولوا الترجمة بذكر تاريخ الوفاة وهو التاريخ الثابت والمعروف للشخصية المترجم لها، وفي بعض الأحيان قاموا بذكر تاريخ المولد، ثم التطرق للحديث عن بعض صفاتهم الخلقية، والشيوخ الذين تتلمذوا على أيديهم إذا كانوا من المحدثين والفقهاء، ومع التطرق للأحاديث التي رووها ذاكرين أحكام الفقهاء الصادرة بحقهم، ومتحدثين عن بعض الأعمال التي قاموا بها إذا كانت شخصيات الترجمة من رجال السياسة، ومزينين تراجمهم بذكر أشعار كثيرة وخاصة إذا كانت التراجم لشعراء وأدباء مع تعدادهم للمؤلفات التي قاموا بتأليفها[٢]. في النهاية لفن التراجم أهمية خاصة لكونه مرآة صادقة للمجتمع العباسي وأحواله فمن خلال هذه التراجم تَمكّن من رصد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذا المجتمع، كما رصدت الحركة الفكرية النشطة ومواقف رجالها من العلم ومراكزه المختلفة بشيء من الشفافية والحياد.

٤- المصنفات التأريخية حول الإدارة وسياسة الحكومة:

أُسست الدولة الإسلامية منذ زمن الرسول الكريم (ص)، ومرت بِمراحل من التطور ونشأت فيها العديد من المناصب والدواوين التي شكلت عنصراً مساعداً للخليفة في تسيير شؤون الدولة وإدارتها الإدارة الصحيحة. لم تبقَ مناصب الدولة ودواوينها دون تغيير وإنما كانت عرضة للتغيير والتطوير بين الفينة والأخرى شارك بهذا الأمر عدد كبير من الشخصيات. فرغبة من المؤرخ الذي عاش في رحاب هذه الدولة بحفظ أخبار هذه المؤسسات والحديث عن تجاربها واطلاع الأجيال القادمة عليها ظهرت العديد من المصنفات التأريخية التي اعتنت بهذا المجال[٣].

من المناصب الناشئة منصب الوزير[٤] الذي شغل دوراً هاماً في تسيير شؤون العباد والبلاد وفي إرسال المراسلات وعقد الاتفاقيات، لذا اهتم المؤرخ بهذه الشخصية وصفاتها، وأكبر دليل على هذا الاهتمام كثرة الكتب التي صنفت في هذا المجال من قبل شخصيات سياسية تولت هذا المنصب أو عملت في دواوين الدولة فاطّلعت على مهمة الوزير والواجبات الملقاة على كاهله[٥].

---

(١)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص ١٨٩.

(٢)- حسن (محمد عبد الغني)، التراجم والسير، مرجع متقدم، ص٨٢-١٠٠؛ أمين (أحمد): ضحى الاسلام، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨م، ج٢، ص٣٥٣.

(٣)- مصطفى(شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣١٣؛ الوافي(عبد الكريم)، منهج البحث في التدوين التاريخي عند العرب، مرجع متقدم،ص٣٠٩.

(٤)-الوزير: من أجّل الوظائف وأرفعها رتبة ، وربّها ثاني شخص بعد السلطان وهو المتحدث للملك في أمر مملكته ومعين له في انجاز شؤون الدولة؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٨.

(٥)-الصابىء، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، مقدمة المحقق، ص٢٠.

من أهم الكتب الباقية كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ت٣٣١هـ/٩٤٣م[١] ويعد من أقدم الكتب الباقية التي تتحدث عن الوزراء، تلاه كتاب الصولي ت٣٣٥هـ/٩٤٦م[٢] والذي تناول فيه مهنة الوزير في العصر الذي سبق العصر السلجوقي، أما المدونات الخاصة بالوزراء والتي ألفت في العصر السلجوقي فأهمها كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابىء [٣]، كما ألف ابن ماكولا كتاباً عن الوزراء ولكنه بحكم المفقود[٤]،وكذلك الهمذاني في كتابه الوزراء الذي فُقِد أيضاً[٥]. لم تنحصر اهتمامات المؤرخين بالوزارة فحسب، وإنما اهتموا بمناصب أخرى كالكتّاب[٦] والحجاب[٧] فأفردوا العديد من الكتب التي تناولت هذين المنصبين من حيث الصفات والواجبات الملقاة على عاتق أصحاب هذه المناصب، ومن أروع الكتب التي ألفت كتاب رسوم دار الخلافة لهلال الصابىء [٨]، فقد أفرد فيه فصلاً كاملاً شارحاً فيه عمل كل من الحاجب والكاتب ذاكراً لصفاتهم وواجباتهم اتجاه الخليفة[٩]، وهناك كتاب آخر لهلال الصابىء عن الكتّاب لكنه بحكم المفقود[١٠].

---

(١)- الجهشياري: محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري، وصف بالفضل والورع وكان حاجباً للوزير أبي الحسن علي بن عيسى ت٣٣٤هـ-٩٤٥م، لكنه استتر في آخر عمره هو وأولاده ليموت سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، ومن آثاره كتاب الوزراء؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٠٥.

(٢)- الصولي: محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول، من الشخصيات البارزة في الأدب والأخبار والشعر والتاريخ، حدّث عن جماعة من الفقهاء ونادم الخلفاء من مصنفاته: أخبار الخلفاء، وأخبار القرامطة، وكتاب الورقة، وأخبار الوزراء. توفي سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م؛الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر نفسه، ج٥، ص١٩٠؛ مصطفى(شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون ، مرجع متقدم، ج١، ص٣١٣.

(٣)- الصابىء، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٤ وما تلاها.

(٤)- الذهبي، سيرأعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص٥٦٩.

(٥)- مصطفى(شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣١٦.

(٦)- الكتّاب: مفردها كاتب من كتب يكتب كتابةً وكاتب وهو الناهض بصناعة الكتابة وتأليف الكلمات وترتيب المعاني للمكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان ؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر متقدم، ج١، ص٨٥.

(٧)- الحجاب: مفردها حاجب وهو من المناصب التي أحدثت في الدولة الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان ت ٨٦هـ/٧٠٥م ، وكان موضوعها إذ ذاك حجب السلطان عن العامة وإغلاق باب الخليفة دونهم أو فتحه لهم على قدرة مواقيته ثم استمر هذا المنصب في العصر العباسي على ذلك النحو؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر نفسه، ج٤، ص٢٠.

(٨)- ذكره كلاً من الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٠٧؛ وحققه ميخائيل عواد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩)- الصابىء، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٧١-٩٣-١١٠.

(١٠)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج٧،ص٢١٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٣.

من خلال ما تقدم يلاحظ بأن القصر العباسي لفت انتباه المؤرخين فألفوا كتباً متحدثين عنه وعن موظفيه، ذاكرين صفاتهم وواجباتهم اتجاه الخليفة والدولة التي تحكم وفق نظام معين.هذا فيما يتعلق بموظفي الدولة العباسية، أما الخليفة رأس الدولة العباسية والمشرف عليها وعلى كافة مؤسساتها وواجباته اتجاه الدولة وصفاته وسياسته التي مارسها كل هذه الأشياء وأكثر شغلت المؤرخ العباسي، فأراد البحث في السياسة وخاصةً فيما سمي بالأحكام السلطانية(١). ولكن بأسلوب مهذب وبشكل لطيف غير مباشر، ولكن لابد من الإشارة إلى أن اهتمامات المؤرخين أفرزت العديد من الكتب وخاصة في العصر السلجوقي الذي تميز بتمازج واسع بين العرب والفرس والترك وعناصر أخرى، وظهور مناصب جديدة كمنصب السلطان الذي أضعف نوعاً ما منصب الخليفة وحدّ من سلطانه، فعليه كثرت الكتب التي ألفت بهدف نصيحة هؤلاء الحكام الجدد، وإرشادهم إلى الصواب، وتوضيح واجباتهم اتجاه الرعية فكان كتاب الأحكام السلطانية للماوردي(٢) والذي تناول فيه حدود الإمامة والخلافة والوزارة مستخرجاً العديد من المبادىء الإسلامية المنظمة لعمل هؤلاء(٣). كماألف كتاباً آخر عنوانه نصيحة الملوك(٤). لم يتوقف الأمر على الماوردي وإنما اهتم الغزالي بهذا المجال تاركاً العديد من الكتب التي رسم فيها صورة واضحة لطبيعة العلاقة بين الحاكم والرعية وأسلوب الحكم وواجبات الفئات جميعها في الدولة موجهاً كتابه هذا للسلطان السلجوقي ملكشاه وجاءت كلماته بلغة بسيطة و أسلوب ناصح(٥) كما أن ابن الجوزي ترك كتاباً في هذا المجال وهوحسن السلوك إلى مواعظ الملوك(٦) بالتالي فإن المؤرخ الإسلامي لم يكن بمعزل عن أحداث مجتمعه، وإنما اندمج في طبقات المجتمع ومؤسساته مراقباً لهذه المؤسسات ومتحدثاً عنها وعن رجالها، ومتناولاً تاريخهم وصفاتهم وواجباتهم وداعياً إلى سياسة أساسها المثل والأخلاق الإسلامية العليا.

تم التطرق إلى ألوان عديدة من فنون الكتابة التأريخية التي نشأت في التاريخ الإسلامي بدأت مع مراحل بداية تدوين التاريخ وتطورت في عصور مختلفة، فمن التأريخ الحولي الذي نشط في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد متصفاً بسمات واضحة استمرت في العصور اللاحقة ومؤرخاً للعديد من الدول والأحداث السياسية، إلى التواريخ المحلية التي نضجت في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد والتي أعطت صورة واضحة عن المدن

---

(١)- الأحكام السلطانية: حكم الشريعة المطهرة وما يشترط في كل ولاية من الشروط، وما يلزم ربّ كل وظيفة من أرباب الوظائف وما يندب له فيورده في وصاياه، من الإمامة والوزارة وولاية المظالم، وولاية النقابة ووضع الجزية والخراج ؛القلقشندي، الصبح الاعشى في صناعة الانشا، مصدر متقدم، ج٢، ص٣.

(٢)- مصطفى(شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج٢، ص١٠٦؛ حقق كتاب الأحكام السلطانية دار الكتب العلمية وعنه صدر، بيروت، ١٩٨٢م-١٤٠٢هـ.

(٣)- الماوردي، الاحكام السلطانية، مصدر نفسه، ص ٣٠وماتلاها.

(٤)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص٦٩.

(٥)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص١٤٧،٨٩،٨٦.

(٦)- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصدر متقدم، ص٤٨٠.

التي وجدت في هذا القرن وما احتوته من عمران وحركات فكرية، إلى فن التراجم والسير الإنتاج العربي الإسلامي الأصيل والذي من خلاله حفظ المؤرخ ذكر شخصيات شهيرة في تاريخ دولته والتي برزت في مجالات متعددة راصداً لها ولنشاطاتها، إلى مصنفات اهتمت بالإدارة والسياسة وأخيراً مصنفات اهتمت بالأنساب والذي هو من العلوم الهامة التي تعود بإصولها إلى الموروث القبلي الذي وجد في حقبة ما قبل الاسلام، ولكن مع ظهور الإسلام هذب هذا العلم وجذبه وشجعه نتيجة الانفتاح الواسع وتشكل الأمصار والبدء في البحث والتعمق في الأصول والأجداد، والتمسك بالنسب العائد للقبائل الأولى التي شكلت النواة الأولى للدولة الإسلامية، كل ذلك مع ما داخله من شعور بالفخر والاعتزاز[١] ومن أشهر النسابة العرب الذين تركوا كتباً هامة محمد بن السائب الكلبي ت١٤٦هـ/٧٦٣م[٢] وابنه هشام ت٢٠٤هـ/٨١٩م[٣]، ومن النسابة أيضاً الهيثم بن عدي ت٢٠٦هـ/٨٢١م[٤]. استمر الاهتمام في العصر السلجوقي بالأنساب ولكن ليس بالدرجة نفسها، من أشهر الرجال الذين اهتموا به في هذا العصر وفق مفاهيم معينة اعتمدت على تصنيف الأسماء والاهتمام بأنسابها وفقاً للمدينة التي ينتمي إليها صاحب النسب السمعاني ت٥٦٣هـ/١١٦٧م في كتابه الأنساب[٥]، ولابد من الإشارة بأن هناك مصنفات أخرى اهتمت بالجغرافية والتاريخ على حد سواء وغيرها الكثير التي لونت التأريخ الإسلامي في عصره الوسيط.

رابعاً– المادة التأريخية: مصادرها وتصنيفها:

تعد المادة التأريخية أساساً لأي عملٍ ومؤلفٍ في التاريخ وعليه فإن هذه المادة تنوعت مصادرها كما اختلفت طرق الحصول عليها وتدوينها وتباينت بإختلاف الحقب التي عاشتها الخلافة الإسلامية.فيما يتعلق بمصادر المادة التأريخية فقد تنوعت وتشعبت ما بين روايات شفهية عدت من خصائص الذهن العربي الذي جبل على الحفظ

---

(١)– الخطيب (نشأت نور الدين)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٢٧٤؛ الدوري(عبد العزيز)، نشأة علم التاريخ عند العرب، مرجع متقدم، ص٣٤.

(٢)– محمد بن السائب الكلبي: محمد بن السائب من قبيلة كلب سكن الكوفة، اشتهر بعلم الأنساب وترك مؤلفات كثيرة في التفسير والأخبار والأنساب، لكنه أتهم فيما بعد بالرفض والكذب توفي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٢،ص٢١١.

(٣)– هشام بن محمد: عرف بلقب النسابة والأخباري لإشتهاره بعلم الأنساب، روى عن والده محمد وغيره، كان علامة في الحديث، ترك مصنفات تزيد على مائة وخمسين مصنفاً منها كتاب الجمهرة في النسب توفي سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر نفسه، ج٣، ص٢.

(٤)– هيثم بن عدي أبو عبد الرحمن من الكوفة ولد ونشأ فيها ، روى عن ابن اسحاق وجماعة غيره، وصفه بعضهم بالكذب فيما يتعلق برواية الحديث الشريف إلاّ أنه كان من الاخباريين والنسابة المشهورين في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد توفي سنة٢٠٦هـ–٨٢١م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٠، ص١٠٣.

(٥)– الأنساب حققه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ونشره في بيروت، سنة١٩٨٠م–١٤٠٠هـ؛ ورد ذكره لدى السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٧، ص١٨٠.

والتذكر منذ عصور ما قبل الإسلام ومع قدوم الإسلام فقد شذب هذه الموهبة ودعمها بكثير من القواعد والإرشادات التي عرفت فيما بعد بالسند[١]، فنشوء السند مرتبط بالإسلام حرصاً منه على التأكد من الروايات قبل تداولها من قبل الناس، لذا تعد الروايات الشفهية من أقدم المصادر وأكثرها اتساعاً. فمع كثرة حلقات العلم والرحلة في طلب العلوم المختلفة والدينية منها بشكل خاص كثر سماع طلاب العلم لمعلوماتهم ومصادر كتاباتهم من شيوخ حرصوا على تزويد طلابهم بها [٢]كما أن كثراً سمعوا كثيراً من الروايات من شخصيات التقوا بها، لذا كثرت في المؤلفات التأريخية كلمات من قبيل (حدثني، سمعت، بلغني، قيل، ورد الخبر الى، وصلني الخبر، قال)[٣] وغيرها من المفردات التي تدل على أن مصدر المعلومة هي روايات متداولة في محفل من محافل العلم أو غيره .

في البداية لوحظ بأن هذه الروايات الشفهية دعّمت بمجموعة واسعة من الأسانيد تذكر رواياتها واحداً بعد آخر[٤]، ولكن مع تتالي الحقب وظهور علماء ومؤرخون جدد قلَ الاهتمام بهذه الأسانيد فاقتصرت على ذكر سندين، وفي أحيان أخرى تم إهمالها وذلك في القرنين الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد[٥]، هذا وإن دل على شيء فإنه يبرهن على عدم الرغبة في الاحتفاظ بأسلوب الإسناد الطويل ولجوئهم إلى ذكر المعلومات مجردة رغبة في الاختصار والابتعاد عن إسلوب علماء الحديث المطول.أما المصدر الآخر للمادة التأريخية فهي الآثار القلمية التي تركتها أقلام المؤرخين على مر الحقب والعصور، فبعد أن نشأ فن التدوين التاريخي وتطور في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد ظهرت مؤلفات كثيرة لمؤرخين عدة حفظت هذه المؤلفات وتم تداولها بين جمهور العلماء[٦]، لذا كانت فيما بعد المصدر والملهم الذي استلهم منه المؤرخون وساعدهم في صياغة كتبهم وجمع معلومات عن عصور لم يعيشوها ويشهدوها و إنما كتبوا عنها بالاعتمادعلى تلك المصادر التي كتبت بدورها بالاعتماد على مصادر سابقة أو على مشاهدات شخصية[٧].

ترد عبارات كثيرة في المؤلفات التاريخية تشير إلى اسم المصدر الذي استعان به المؤرخ في مادته التأريخية، في

---

(١)–عثمان (محمد فتحي)، مدخل إلى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص١٩٠.

(٢)–الوافي (عبد الكريم)، منهج البحث في التدوين التاريخ، مرجع متقدم، ص٢٣٦؛ خضر(عبد العليم عبد الرحمن)، المسلمون وكتابة التاريخ، مرجع متقدم، ص٢١٩.

(٣)–الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ص١١٧،١١٤؛ ابن الأزرق الفارقي، تاريخ ميافارقين، مصدر متقدم، ص٢٨٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، ص١٢٠/ ج٢، ص٢٧٠/ ج٧، ص٢٠١/ ج١٨، ص١٦٦.

(٤)–سيزكين، تاريخ التراث العربي، مرجع متقدم، ج٢، ص٥، ٦.

(٥)– الصابيء، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٣٨، ٤٠٠.

(٦)– ماجد (عبد المنعم)، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م،ص٣١.

(٧)– كاشف(سيدة اسماعيل): مصادر التاريخ الاسلامي، مرجع متقدم، ص١٠٩.

أحيان كثيرة كان يلجأ لذكر اسم صاحب المصدر فقط دون ذكر اسم المصدر[١]، بينما في أحيان أخرى ذكر عنوان المصدر دون المؤلف[٢]، بينما في بعض الحالات لم يتطرق لذكر اسم المؤرخ ولا كتابه وإنما يقول(وقع لي بعض الكتب التي وجدت فيها.....)[٣]. بالتالي فإن المؤلفات السالفة من مصادر التأريخ المهمة التي يعتمد عليها في صياغة المادة التأريخية، وفي الكتابة عن أحداث لم يعاصرها المؤرخ، إنما استعان بهذه المؤلفات لجمع مادة منها تلك المادة التي أخضعها في كثير من الأحيان للنقد والتمحيص مبدياً رأيه في صحتها ومحكماً العقل فيها[٤]. ومن مصادر المادة التاريخية المشاهدة والملاحظة التي أعطت المؤلف التاريخي قيمته العالية فهي عبارة عن مشاهدات وملاحظات ولقاءات قام بها المؤرخ[٥] استطاع من خلالها رصد أحداث سياسية معاصرة له فكتابات غرس النعمة محمد مكنت من رصد تحركات السلاجقة كقوة جديدة بارزة في الدولة العباسية[٦]، كما أنه رسم صورة واضحة عن مراسيم الاحتفالات الدينية والرسمية والاجتماعية مصوراً الطريقة التي عبّر بها الناس عن فرحهم، وطريقة ممارسة طقوس معينة في كل مناسبة[٧]، كما كانت للرحلات التي قام بها أحمد بن يوسف المعروف بابن الأزرق الفارقي دور في إعطاء صورة واضحة عن حال مدن العراق وأرمينة في زمانه[٨]، ليس هذا فحسب بل إن كثراً من المؤرخين تحدثوا عن لحظات عايشوها بأنفسهم متحدثين عنها وعن حياتهم ضمن ثنايا مؤلفاتهم[٩]، بالتالي فهذه المشاهدات تعبر عن نبض العصر الذي عاش فيه المؤرخ فهي ترسمه بصورة عفوية من غير تكلف، راصدة شخصياته وسير الحياة فيه ومشيرة إلى موقف المؤرخ من كل هذه الأشياء المحيطة به.أما المصدر الأخير الذي اعتمد عليه المؤرخ في جمع مادته التأريخية فهو الوثيقة الرسمية، التي تعد من الأهمية بمكان لكونها تحتوي مادة تاريخية حية غير قابلة للتغيير لأنها صادرة عن جهات رسمية وحاملة لتواقيع وأختام معينة، ومنها الرسائل والمنشورات وسجلات الدواوين، والأوامر الصادرة عن الجهات القضائية، والفتاوى، والمعاهدات المعقودة بين الدول والإمارات،إضافة إلى تقاليد الولاة والموظفين[١٠]

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، ص١٢٣/ ج٣، ص٢٨٨ / ج٧، ص٣٠٤.

(٢)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٤٤؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ص٣٩.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٤، ص٦٤.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص٢٠٠.

(٥)- عثمان(محمد فتحي)، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص١٩٠.

(٦)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص ٣٩٠-٤١٥.

(٧)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص ١٨٥-١٥٣، ١٥٧.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ ميافارقين، مصدر متقدم، ص٢١٤ ، ٢٩٥ ،٢١٣.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢١١.

(١٠)- ماجد (عبد المنعم)، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص١٧.

ولقد حوت المؤلفات في العصر السلجوقي الكثير من الوثائق التي أغنت المؤلفات التي وردت فيها، وزادت من قيمتها فمن خلالها تم التعرف على الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي كانت تعيشها الخلافة العباسية[1]. كثرت هذه الوثائق في مؤلفات آل الصابىء وهما هلال وابن محمد غرس النعمة فكلاهما عملَ في دواوين الإنشاء ومن خلال عملهما تمكنا من الإطلاع على وثائق مهمة ضمناها كتابيهما بعبارات مهدت لها بقوله (ورد من ميافارقين كتاب نسخته)[2]، (خرج الجواب الشريف ما نسخته)[3]. بالتالي لم يكن باستطاعة أي مؤرخ مشاهدة الوثائق ورصدرها، وتضمينها في مؤلفاته باستثناء المؤرخين الذين عملوا داخل القصر العباسي وكتبوا هذه الوثائق بأنفسهم فرغبة منهم في حفظها من الضياع وتركها للأجيال اللاحقة قاموا بتدوينها في مؤلفاتهم. ومع الوثائق ينتهي الحديث عن مصادر المادة التأريخية، ولكن لابد من التذكير بأن بعض المؤرخين اعتمد على مصادر رديفة متمثلة بالآثار من مبانٍ ومساجدٍ ومشاهدٍ حوت العديد من النقوش الإسلامية. كما كان للعملة المستخدمة في الدولة دور في التعرف على كثير من الحكام، وعلى المستوى الاقتصادي في تلك العصور لذا لابد من الإشارة إلى أهمية هذين المصدرين وعدم اهمال أهميتهما العلمية[4].

تصنيفها:

التصنيف لغة تمييز الأشياء بعضها عن بعض[5]، أما اصطلاحاً فهي مرحلة من مراحل صنع العمل التأريخي، فبعد أن جمع المؤرخ مواده المختلفة من حلقات العلم التي شارك فيها ومن إجازات شيوخه له[6]، ومن رحلاته التي قام بها إلى مشارق الأرض ومغاربها ومن مجالس حكامه التي شارك فيها[7]، لجأ إلى صياغة هذه المادة وإخراجها بشكلها النهائي على شكل مؤلف. اعتمد بداية في صياغة مواده على عنصر الوقت فقد تتالت مواده والأحداث التي تناولها في مؤلفه بشكل متسلسل سنة تلي الأخرى، جاعلاً أساس عمله التصنيفي هذا كلمة (وفي سنة كذا)[8]. ولكن يلاحظ بأن نظرته للوقت اتسعت لتشمل ليس فقط السنة وإنما أجزاء السنة من أشهر وأيام فرتب أحداثه بالتالي على أساس هذه الأجزاء الجديدة وخير مثال على ذلك أعمال العصر السلجوقي في العراق

(١)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج٢، ص٩٤-٩٥.

(٢)- هلال الصابىء، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص٢٤٩.

(٣)- الصابىء، التاريخ، مصدر نفسه، ج٣٤، ص٢٢٩.

(٤)- ماجد(عبد المنعم)، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي، مرجع متقدم، ص٢١ ،٢٧.

(٥)- ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ص٢٥١١.

(٦)- السمعاني(عبد الكريم بن محمد بن منصور ت٥٦٣هـ/١١٦٧م): أدب الاملاء والاستملاء، تحقيق : سعيد محمد اللحام، منشورات دار مكتبة الهلال، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م،ص١٤-١٦.

(٧)- ماجد(عبد المنعم)، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي، مرجع متقدم، ص١٢-٣٨.

(٨)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ص٤ ،٣٧.

مثال (وفي يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان لسنة تسع وثلاثين وأربعمائة للهجرة)[١]. لم يكن الوقت الأساس الوحيد الذي اعتمد عليه في تصنيف المادة و إنما تم الاستعانة بأسس أخرى منها التصنيف على أساس الموضاعات فظهرت في البداية مؤلفات اهتمت بالتراجم سواء منها التراجم الدينية التي عبرت عن نظرة المؤرخ وحبّه لدينه الإسلام والتعمق فيه والبحث عن أصول رجاله والعمل على الكتابة عنهم وعن شخصياتهم فظهرت كتب الطبقات المختلفة[٢]، ولكن هذه النظرة الدينية التي اتسمت بها التراجم بداية سرعان ما أخذت في التغير لأشياء أثرت بها من متغيرات سياسية ومفاهيم جديدة دخلت المجتمع الإسلامي وعليه أخذ الكاتب يهتم بتراجم أخرى لأدباء وأطباء وشعراء وغيرهم[٣].وبعد أن اعتنى بتراجم عامة ومختلفة لبلدان كثيرة، أخذ يصنف مادته انطلاقاً من ارتباطه بشخصية معينة كخليفة، أو سلطان، أو وزيرٍ تشارك معهم أحداثاً سياسية وعاصر مدد حكمهم، فأراد الكتابة عنهم وعن أحداث الدولة الإسلامية ضمن إطار حكم تلك الشخصيات فكان يبدأ حديثه بقوله(وفي عهد الوزير كذا)[٤] أو (وفي خلافة فلان)[٥]، و في أحيان أخرى لجأ لتصنيف مواده على أساس المدن والأقاليم التي سكنها وشغف حباً بها فأراد الحديث عنها وعن عمرانها، وعن ساكنيها سواء أكانوا رجال علم أم سياسة فجاء مؤلف تاريخ بغداد وغيره من المؤلفات التي حصرت موادها ضمن إطار جغرافي محدد[٦]. كما أنه رتب مواده وصنفها على أساس السير أو على أساس الأنساب فجاءت متناسقة متوائمة مع تتالي الحروف في الأبجدية العربية[٧]. لابد من الإشارة بأن المؤلف كتب مواده بأسلوب بسيط سلس مائل إلى الإيجاز[٨]، حيناً وأحياناً إلى الإطناب[٩]، كما أنه استخدم مفردات بسيطة في البداية ولكن مع تتالي العصور واتساع علوم اللغة ومعارفها مال إلى استخدام السجع[١٠]

---

(١)- هلال الصابىء، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص١٧٢.

(٣)- مصطفى(شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٩٩.

(٢)- عثمان (محمد فتحي)، مدخل إلى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ج١، ص٣٩٩.

(٤)- هلال الصابىء، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص١٠ ،٣٠١.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج٤، ص١٣٥/ ج٩، ص٢١٨.

(٦)- الخطيب (نشأت نور الدين)، التاريخ والمؤرخون العرب، مرجع متقدم، ص٢٤٩.

(٧)- عثمان (محمد فتحي)، المدخل إلى التاريخ الاسلامي، مرجع متقدم، ص١٣٧.

(٨)- الإيجاز: جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة وعليه ورد أكثر آيات القرآن الكريم ؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر متقدم، ج٢، ص٣٥٩.

(٩)- الإطناب: الإشباع في القول وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وقد وقع منه الكثير في الكتاب العزيز؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٠.

(١٠)- السجع: مشتق من الساجع وهو المستقيم لإستقامته في الكلام واستواء أوزانه وقيل سمي بذلك من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حد واحد؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر نفسه، ج٢، ص١٠٣.

والمحسنات اللفظية البديعية[١]، التي اتسع استخدامها في العصر السلجوقي في العراق فظهرت مؤلفات تأريخية أدبية كثرت فيها الصنعة البديعية كالمؤلفات التي تعود لآل الصابىء وخاصة مؤلف هلال الصابىء ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م غرر البلاغة[٢] ورسوم دار الخلافة وغيرها من المؤلفات التي ظهرت فيها الصنعة البديعية بشكل واضح[٣]. لذا يلاحظ بأن أسلوب تدوين المادة وتصنيفها اختلف باختلاف ثقافة المؤلف وبإختلاف غاياته وأهدافه التي أراد التعبير عنها من خلال مؤلفاته هذه، ولكنها في النهاية أساليب عبرت بوضوح عن مدى الجهد المبذول في العناية بالتأريخ ومصادره تلك العناية التي أدت إلى ظهور أمهات الكتب التي أغنت المكتبة العربية.

من خلال ما تقدم فإن للحركة التأريخية الإسلامية مزايا مختلفة ولدت مع نشوئها وظهورها وتطورها المتلاحق، وأخرى كانت موجودة في المجتمع العربي ولكن قامت الحركة بتشذيبها وإعادة صياغتها لتلائم الدين الجديد.تلونت بألوان وفنون كتابية مختلفة من تأريخ حولي اعتمد على عنصر الوقت، إلى تأريخ محلي مرتبط بمناطق النشأة والولادة ، إلى تأريخ تناول حياة أشخاص شغلوا دوراً في حياة الدولة الإسلامية سواء بعلمهم وفقههم ، أم بدورهم السياسي والحربي ، إلى تاريخ اهتم بالنسب المتأصل في نفوس، وآخر اهتم بمؤسسات الدولة الناشئة والمتطورة مع تعاقب العصور. وفي العصر السلجوقي في العراق فإن بعض الفنون قويت على حساب الأخرى ولكن يلاحظ بأن أنماط التدوين التاريخي تنوعت فيه فظهرت مؤلفات شملت مختلف الأنماط لتعكس بالتالي مقدار المعارف الواسعة التي اكتسبها المؤرخ في ذلك العصر والتي ساهمت في صقل شخصيته ودفعه نحو الإبداع التأريخي.

---

(١)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٣٩.

(٢)- الصابىء (هلال بن المحسن ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م): غرر البلاغة، تحقيق: محمد الديباجي، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٤١ وما تلاها.

(٣)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٤٠٠.

الفصل الثالث:

رواد الحركة التأريخية في العراق.

أولاً- تأريخ مدن: الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ/١٠٠٢-١٠٧١م).

ثانياً- تأريخ حولي: هلال الصابئ (٣٥٩-٤٤٨هـ/٩٦٩-١٠٥٦م).

غرس النعمة محمد (٤١٦-٤٨٠هـ/١٠٢٥-١٠٨٧م).

ثالثاً- تأريخ حولي و تراجم: عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ أو ٥١٠هـ-٥٩٧هـ/١١١٤ أو ١١١٦-١٢٠٠م).

رابعاً- الفكر السياسي: من خلال مؤلفات محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م) التبر المسبوك في نصيحة الملوك، قواصم الباطنية، و فضائح الباطنية.

رواد كثر برعوا في مجال التأريخ في العراق في العصر السلجوقي و صنفوا في فنونه المختلفة منهم من عمل في التأريخ المحلي و آخرون اهتموا بالحوليات و كثر نبغوا في العمل في مجال التراجم و أدب مخاطبة الملوك لذا لا بدّ من إلقاء نظرة على بعض هؤلاء الرواد لرسم صورة واضحة عن الحركة التأريخية في العصر السلجوقي.

أولاً- تاريخ مدن: الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ/١٠٠٢-١٠٧٠م)

١- حياته:

ولد أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م[١]. في قرية من قرى العراق تعرف بهنيقيا[٢]. من أعمال نهر الملك[٣]. بينما تسمى عند بعض المؤرخين باسم درزيجان[٤]، جنوب غرب بغداد حيث تولّى والده الخطابة و إمامة جامعها لمدة عشرين سنة[٥]. كان لوالده دورٌ كبيرٌ في حضه على تعلم علوم القرآن و سماع الحديث على يد شيوخ بغداد كأبي حامد الاسفرائيني[٦] ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م، و بعد اكتفائه من السماع على يد علماء بغداد آثر الارتحال في أرجاء المعمورة طلباً للعلم فزار في العشرين من عمره مدن البصرة و الكوفة و نيسابور و بعد مضي سنتين زار مدن الشام كما رحل في كهولته إلى مكة[٧] آخذاً العلم من علمائها[٨].

---

(١)- السمعاني، الأنساب، مصدر متقدم، ج٥، ص١٥١/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١، ص٩٢/ السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١هـ/١٥٠٥م): طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٤٣٤.

(٢)- بهنيقيا: أو باقيا أرض بالنجف دون الكوفة؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص٧٦.

(٣)- نهر الملك: كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى قيل بأنه يشتمل على ثلاثمئة و ستين قرية على عدد أيام السنة، و أول من حفره سليمان بن داود؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٧٤.

(٤)- درزيجان: قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي و كانت احدى المدن السبع التي كانت للأكاسرة و أصلها درزنيدان ثم عرب إلى درزيجان؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر نفسه، ج٢، ص٥١٣.

(٥)- ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر متقدم، ج٥، ص٣١. السبكي، طبقات الشافعية، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٥٩.

(٦)- أبي حامد الاسفرائيتي: ولد أحمد بن محمد بن أحمد سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، قدم بغداد صبياً، تفقه على يد مجموعة من الفقهاء، صنف التصانيف الكثيرة توفي سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م ؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٧.

(٧)- مكة في واد غير ذي زرع بين الجبال و بها الكعبة في وسط المسجد الحرام من أراضي الجزيرة العربية ؛أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٨٧.

(٨)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٧٠؛ ابن الدمياطي (أحمد بن أيبك بن عبد الله ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصر أبو الفرج، دار الكتب العالمية، بيروت، (د، ت)، ج١٩، ص٥٥.

بعد ترحاله استقر في بغداد واعظاً، و حظي بحماية الوزير أبي القاسم ابن المسلمة ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. ولكنه جلب على نفسه كراهية فئات مختلفة[١]، فلما وقعت فتنة البساسيري ت٤٥١هـ/١٠٥٩م سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م و التي أدت إلى مقتل أبي القاسم ابن المسلمة واستلام البساسيري لزمام السلطة في بغداد فقد حاميه مما أدى إلى تعرضه للأذى فغادر إلى دمشق[٢] و حدّث بها و تردد إلى صور[٣] آخذاً من علمائها ومحدثاً بها أيضاً و لكن مكوثه في بلاد الشام لم يستمر لمدة طويلة بل عاد إلى بغداد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ليبقى فيها إلى حين وفاته[٤]. مرض الخطيب البغدادي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م فأوصى بتوزيع ثروته و قدرها مائتي دينار على الفقهاء و الفقراء، كما أوقف كتبه على المسلمين و أوصى أن يتصدق بجميع ما عليه من الثياب بعد وفاته و كان يقول شربت ماء زمزم لثلاث (أن أحدث بتاريخ بغداد، و أن أملي الحديث بجامع المنصور، و أن أدفن إذا مت عند قبر بشر الحافي[٥])[٦]، و لقد رزقه الله أمانيه الثلاث، توفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م و دفن بباب حرب[٧] إلى جانب بشر الحافي[٨].

---

(١)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٧، ص١٩١؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع متقدم، ج٣، ص٤٢٢.

(٢)- دمشق: مدينة أولية، قاعدة الشام و غوطتها، إحدى الجنان الأربع المفضلة، في شمالها جبل يعرف بقاسيون؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٣٥٣.

(٣)- صور: بلد من أحصن الحصون على ساحل بحر الروم، كان بها مرسى يدخل إليه من تحت القنطرة و تبعد عن عكا اثنا عشر ميلاً ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر نفسه، ص٣٤١.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٢٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٠؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧.

(٥)- بشر الحافي: بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المعروف بالحافي وصف بالورع و الزهد، و استقامة المذهب و حسن الطريقة، توفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم ، ج٧، ص٦٧.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٧، ص١٩٢.

(٧)- باب حرب: خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربل فيها قبر أحمد بن محمد بن حنبل و بشر بن الحارث ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١٢١.

(٨)- ابن عساكر (علي بن الحسن ت ٥٧١هـ/١١٧٥م): تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، ص٢٦٨؛ الذهبي(محمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام، حوادث و وفيات (٤٦١ ،٤٧٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،بيروت،دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٨٥؛ ابن الغزي(محمد بن عبد الرحمن ت١١٦٧هـ/١٦٥٦م): ديوان الإسلام، تحقيق محمود فاخوري، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٢، ص٢١٥، ٢١٦؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، مصدر متقدم، ج١، ص٤٥٣، ٤٥٤؛ الشكعة (مصطفى)، مناهج التأليف عند العلماء المسلمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص٥٤٧.

٢- شيوخه:

تلقى العلم على يد علماء عصره ممن عرفوا بسعة العلم و الأفق، و حضر مجالسهم و حلقاتهم و سمع منهم في بغداد و في غيرها من المدن التي زارها طلباً للعلم و حباً بالتزود من أهمهم.

أ- أبو سعد الماليني ت ٤١٢هـ/١٠٢١م

أحمد بن محمد بن اسماعيل بن حفص بن الخليل، الملقب بطاووس الفقراء. سمع من عدد كبير من الشيوخ و جال في طلب العلم بين مدن الشام و العراق و الجزيرة[١]، عرف بالصلاح. توفي في أثناء رحلته إلى مصر[٢] سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م[٣].

ب- أبو بكر البرقاني: (٣٣٦-٤٢٥هـ/٩٤٧-١٠٣٣م):

ولد أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب في بغداد، سمع الكثير و رحل طلباً للعلم، كان عالماً بالقرآن و الحديث و الفقه و النحو[٤]، صنّف كتباً عديدة و وصف بالثقة و الورع و التدين و توفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م و دفن في بغداد[٥].

ج- أبو علي البزاز: (٣٣٩-٤٢٦هـ/٩٥٠-١٠٣٤م):

ولد الحسن بن أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م، بكر به والده في سماع الحديث فأسمعه إياه و له خمس سنين أو نحوها من أئمة الحديث في بغداد[٦]. وصفه الخطيب بقوله (كتبنا عنه كان صحيح السماع صدوقاً يفهم الكلام و يشرب النبيذ على مذهب الكوفيين ثم تركه بآخره، كتب عنه جماعة من شيوخنا و توفي في آخر يوم من محرم من سنة ٤٢٥هـ و دفن في أول يوم من سنة ٤٢٦هـ)[٧].

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص١٤٦؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٥، ص٥٨٨.

(٢)- مصر: في الإقليم الثالث مجاورة لجزيرة العرب من جهة تيه بني اسرائيل، فهي تقع في غربي جزيرة العرب، جنوبي ديار مصر و بلاد السودان و سميت بذلك نسبة إلى مصر بن مصرايم بن حام بن نوح و هي من فتوح عمرو بن العاص ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٠.

(٣)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣٠١١، ٣٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٧، ص٣٣٠.

(٤)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٧، ص٤٦٤، ٤٦٥؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٥، ص٦٥٠.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٢٤٢، ٢٤٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٧، ص٣٣١.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٢٥٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٧، ص٤١٥؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٥، ص٦٤٠.

(٧)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٧، ص٢٧٩.

٤ً- أبو عبد الله الصوري: ت ٤٤١هـ/١٠٤٩م

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد من أهالي مدينة صور، وصف بأنه أحد أركان الحديث سمعه على كبر من العمر حتى صار عالماً فيه، انتقل إلى بغداد سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م بعد أن طاف البلاد زائراً كلاً من مصر و مدن الشام و الكوفة طالباً للعلم من علمائها و محدثيها وصف بالخير و الصلاح و كثرة الصوم[١]. وصفه الخطيب بقوله (قدم علينا سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م و أقام ببغداد يكتب الحديث و كان من أحرص الناس عليه و أكثرهم كتباً له، و أحسنهم معرفة به لم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث، كان صعب المذهب فيما يسمعه ربما كرر قراءة الحديث الواحد على شيخه مرات، كتبت عنه و كتب عني شيئاً كثيراً و لم يزل ببغداد حتى توفي بها سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م)[٢]. ارتبط اسم الصوري بالخطيب من خلال التهمة التي وجهها له بعض العلماء و على رأسهم تلميذه المبارك بن عبد الجبار أبو الحسن بن الطيوري ت ٥٠٠هـ /١١٠٦م[٣]، بقوله بأن أكثر كتب الخطيب سوى تاريخ بغداد مستفادة من كتب الصوري ابتدأ بها و كان قد قسم أوقاته في نيف و ثلاثين شيئاً و كان له أخت بصور و خلف عندها اثنا عشر عدلاً من الكتب فحصّل الخطيب من كتبه أشياء، و ربما لما خرج إلى الشام أعطته أخته شيئاً منها[٤].

هذه التهمة باطلة فبما أن الصوري قدم بغداد و أقام بها حتى نهاية حياته فمن غير الممكن أن يترك كتبه بصور عند أخته، بل كان حرياً به أن يأخذها معه و هي كتبه و من غير الممكن أن يستغني عنها، كما أن الخطيب قد أكمل معظم مؤلفاته قبل خروجه لدمشق[٥].

و مما يبرهن على هذا قول الذهبي ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م (ما الخطيب بمفتقر إلى الصوري، هو أحفظ و أوسع رحلة و حديثاً و معرفة)[٦]. و لكن يبقى الصوري من الشيوخ الذين تتلمذ الخطيب على يديهم و كان له دور في صقل معارفه و تزويده بمعارف كثيرة.

٣- تلامذته:

نال الخطيب البغدادي نصيباً وافراً من العلم و هذا أهله لعقد مجالس العلم في مساجد بغداد ومكنته من مناظرة و محاورة أقرانه من العلماء سواء أكان ذلك في بغداد أم في المناطق التي زارها و قطن فيها فكثر عدد تلامذته

(١)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٣، ص٤٩٢؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٥، ص٧١٣.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٣، ص١٠٣.

(٣)- أبو الحسن بن الطيوري: المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفي، كان مكثراً صالحاً، أميناً، صحيح الأصول، كثير الكتابة توفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م عن عمر يناهز ٨٩ عاماً ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٤٢٧.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٣٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص٨٩.

(٥)- العش (يوسف)، الخطيب البغدادي، مؤرخ بغداد و محدثها، المكتبة العربية، دمشق، ط١، ١٩٤٥م، ص١٥٧.

(٦)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٨٣.

الذين أخذوا عنه و أجاز لهم برواية عنه و منهم:

ً١- أبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي ت ٥٢١هـ/١١٢٧م.

أحمد بن أحمد بن عبد الواحد الهاشمي العباسي المتوكلي، عرف عنه صلاحه، تتلّمذ على يد الخطيب البغدادي و غيره من فقهاء عصره، و رحل طلباً لسماع الحديث النبوي[١]. وصفه ابن الجوزي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م بقوله (كان سماعه صحيحاً، و سمعت منه الحديث و كتب لي إجازة بخطه، فذكر فيها نسبه الذي ذكرته)[٢]. توفي مترديباً عن سطح منزله سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م[٣].

ً٢- ابن الأكفاني (٤٤٤-٥٢٤هـ/١٠٥٢-١١٢٩م)

ولد هبة الله بن أحمد بن محمد سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م سمع و هو ابن تسع سنين من والده و بعد ذلك من الخطيب البغدادي و روى عنه ابن عساكر ت ٥٧١هـ/١١٧٥م. كان ثقة فهماً شديد العناية بالحديث والتاريخ. كتب عدة مؤلفات[٤]، توفي سنة ٥٣٤هـ/١١٢١م عن عمر يناهز الثمانين عاماً[٥].

ً٣- أبو منصور القزاز المعروف بابن زريق: ت ٥٣٥هـ/١١٤٠م

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن مبارك، كان من أولاد المحدثين سمع من الخطيب البغدادي و روى عنه تاريخ بغداد سوى الجزء السادس والثلاثين لم يروه لغيابه عن سماع مجلسه بسبب وفاة أمه وسمع من طائفة من مشايخ بغداد[٦]، كانت له مشيخة عرف عنه صلاحه و قلة كلامه و صبره على العزلة و حسن أخلاقه و كثرة مروياته توفي سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م[٧].

---

(١)- الذهبي(محمد بن أحمد ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد وآخرون، الكويت، وزارة الإعلام، ط٢، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ،ج٤، ص٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٢٦.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٤٦.

(٣)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٠٥.

(٤)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٥٧٦.

(٥)- اليافعي، مرآة الجنان و عبرة اليقظان،مصدر متقدم، ج٣، ص١٨٥؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص٦٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٢.

(٦)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٦٩.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص١١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص٩٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٧٦.

٤- أبو يعقوب الهمذاني: ت ٥٣٥هـ/١١٤٠م

يوسف بن أيوب بن الحسن بن وهرة قدم إلى بغداد في صباه بعد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م. سمع الخطيب البغدادي و غيره[١]. لكنه ترك السماع و الدراسة و زهد في سماعه و اشتغل بالزهد و العبادة حتى صار علماً من أعلام الدين و المتصوفة قدم إلى بغداد سنة ٥٠٥هـ/١١١٠م، و عقد فيها مجلساً للوعظ في المدرسة النظامية حيث لاقى قبولاً حسناً[٢]، توفي سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م[٣].

٤- مؤلفاته:

أكثر الخطيب من التأليف في شتى الفنون و العلوم من حديث و فقه و أصول و أدب فوصفه ابن عساكر بقوله (أحد الأئمة المشهورين، و المصنفين المكثرين و الحفّاظ المبرزين و من ختم به ديوان المحدثين)[٤]. يدل هذا القول على كثرة مصنفاته، فقد اختلف المؤرخون حول عددها فالبعض قال ستة و خمسون مصنفاً[٥]، وآخرون قالوا ستة و سبعون[٦] و البعض جعلها ستة و ثمانين مؤلفاً[٧]. مهما بلغ عددها فإنها مؤلفات مهمة أمدّت جمهور القراء بالكثير من المعلومات في شتى فنون الحديث و الفقه و التاريخ و منها:

١- الكفاية في علم الرواية[٨]:

من كتب الخطيب الهامة في مصطلح الحديث يقع في ثلاثة عشر جزءاً[٩].

٢- السابق و اللاحق في تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد[١٠].

كتاب نفيس لم يسبق الخطيب إلى مثله في هذا الباب أحد لكونه يبحث في تراجم راويين اشتركا في رواية خبر واحد مع تباين وقت وفاتهما تبايناً شديداً و تأخر موت أحدهما عن الآخر بالتالي سماه كتاب السابق و اللاحق

(١)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر نفسه، ج٦، ص١٨١.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٦٦.

(٣)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص٩٧.

(٤)- ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر متقدم، ج٥، ص٣١.

(٥)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٨٩.

(٦)- العش (يوسف)، الخطيب البغدادي، مرجع متقدم، ص١٥١.

(٧)- العمري (أكرم): موارد الخطيب في تاريخ بغداد، الرياض، دار طيبة، ط٢، ١٩٨٥م، ص٥٥.

(٨)- طبع في حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، و أعيد طبعه في القاهرة بعناية عبد الحليم محمد عبد الحليم، و عبد الرحمن حسن محمود، مطبعة السعادة، سنة ١٩٧٢م.

(٩)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٨٩؛ ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٩، ص٥٨.

(١٠)- حققه محمد بن مطهر الزهراني، الرياض، دار طيبة، سنة ١٩٨٢م.

إشارة منه إلى لحاق المتأخر بالمتقدم في روايته[1].

ً٣- تقييد العلم[2].

عالج فيه الخطيب التعارض الظاهر بين الأحاديث و الآثار التي تنهى عن كتابة الحديث و الأحاديث و الآثار التي تسمح بكتابته[3].

ً٤- الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع[4].

من أهم كتبه في آداب الرواية يبين فيه آداب أهل هذه الصناعة و طرائقهم المختارة[5].

ً٥- البخلاء:[6]

اهتم فيه الخطيب بجميع الأخبار و تنسيقها عن البخلاء و ضمنها في أبواب تاركاً الروايات و النصوص تعبر عن مقاصد الكتاب دون تدخل منه بالشرح و التحليل[7].

ً٦- التطفل و حكايات الطفيليين[8]

أورد الخطيب فيه حكايات عن الطفيليين الذين يقتحمون موائد الناس دون دعوات عارضاً الحكايات دون تحليل لها [9].

و هناك كتب كثيرة لا مجال لعرضها هنا بل تم التطرق لبعضها. أما مؤلّفه الأهم و الذي نال شهرة واسعة في مجال التأريخ فهو:

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٧، ص١٩٨.

(٢)- حققه يوسف العش و نشره المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٤٩م و يقع في (١٢٢) صفحة سوى مقدمة المحقق و الفهارس.

(٣)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٩.

(٤)- طبع في الكويت، مطبعة الفلاح، سنة ١٩٨١م.

(٥)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٩١.

(٦)- حققه أحمد مطلوب، و خديجة الحديثي و أحمد ناجي القيس، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٤م.

(٧)- الذهبي(محمد بن أحمد ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص١١٤٠/ السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر متقدم، ص٤٣٥.

(٨)- نشره حسام الدين، بدمشق، سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

(٩)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٧، ص١٩٨؛ العش، الخطيب البغدادي، مرجع متقدم، ص١٣٤.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام:

و نظراً لأهميته ستتم دراسة الكتاب للتعرف من خلاله على منهج الخطيب في التدوين التاريخي كنموذج عن تأريخ المدن.

١- صفة الكتاب:

كتاب جامع لتاريخ بغداد يشتمل على روايات منذ قيامها و حتى زمن المؤرخ و سبب تسميتها و تخطيط مناطقها، و ما تحويه من أنهار و جبال و وديان، و ذكر أعيانها و فضائلها و أخبارها و ما ورد على لسان شعرائها من أشعار.

٢- الخطة العامة للكتاب:

صنف الخطيب كتابه في عشرة مجلدات(١)، موجودة كلها و لكن في النسخة المتوفرة الآن في المكتبات لم يذكر من قام بتحقيقها و تاريخ ذلك، فقط ذُكر دار الكتب العلمية، بيروت، أما النسخة المعتمدة في التحقيق فذكر في الجزء الرابع عشر ما يلي: (ذلك برسم من أحيا مآثر ما اندرس من محاسن السنّة النبوية و شيد أركان هذه الدولة الخاقانية المحمدية أجلّ الوزراء العظماء، أعظمهم نجدة و علماً حضرة مولانا ابراهيم باشا كافل الديار المصرية حالاً حرر هذا الكتاب في السادس من صفر سنة ١٠٨٤هـ)(٢).

يفهم بالتالي بأنها نسخة تعود لكاتب عاش في الحقبة العثمانية في مصر، ربما يوجد نسخ أقدم و لكن لم يتسنَ الإطلاع عليها من قبل الباحثين.

يقدم المؤرخ أوصافاً و معلومات طبوغرافية عن المدينة، بالإضافة إلى أخبار هامة أخرى عنها عن طريق تراجم رجال المدينة من خلفاء و وزراء، و قضاة و فقهاء و محدثين و قراء و زهاد و مؤدبين و شعراء و سائر طبقات حملة العلم، إضافة إلى الشهيرات من النساء و غيرهم من الفئات التي سكنت المدينة أو زارتها أو حتى مرت بها في طريق رحلاتها(٣).

بلغ عدد التراجم التي احتواها الكتاب (٧٨٣١) ترجمة.

بدأ المؤلف كتابه بإفراد فصل غير قصير تحدث فيه عن بغداد منذ أن كانت أرضاً من أراضي السواد(٤)، ثم

---

(١)- السخاوي، الاعلان بالتوبيح لمن ذم أهل التاريخ، مصدر متقدم، ص١٥٤.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤، ص٤٤٧.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٤)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه،ج١، ص٤.

يشرح معنى كل من العراق و بغداد ذاكراً المسميات الأخرى التي أطلقت عليهما(١)، مفصلاً في نهريها دجلة والفرات و تفرعاتهما في ذلك الزمان(٢)، بعد ذلك ينتقل للحديث عن بنائها من قبل أبي جعفر المنصور من لحظة تحديده للموقع إلى فراغه من عمارتها مع حديثه عن كل من الكرخ(٣) و الرصافة(٤) و دار الخلافة(٥)، والقصر الحسيني(٦)، و غيرها من الأماكن و لم ينس طبعاً الحديث عن مساجدها و مسجد المنصور بشكل خاص ليختم حديثه بذكر كل ما يتعلق بها و بأماكنها و ساكنيها و ما اشتهر عنهم و عرفوا به(٧).

ليترجم بعدها للأعلام ممن ولد فيها أو سكنها أو زارها أو حتى مرّ بها في طريقه منطلقاً بذكر الصحابة أولاً ممن ورد العراق ذاكراً إياهم بحسب مكانتهم في الإسلام من الخليفة علي بن أبي طالب(٨)، ليتلو الواحد الآخر حتى تصل التراجم إلى الخمسين ترجمة(٩). قائلاً بعدها (سنورد أسماء التابعين في جملة البغداديين عند وصولنا إلى ذكر كل واحد منهم إن شاء الله تعالى)(١٠).

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم،ج١، ص٢٤-٥٨.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه،ج١، ص٥٤.

(٣)- الكرخ: بالفتح ثم السكون و خاء معجمة و ليست بكلمة عربية، إنما هي نبطية،كانت أولاً محلة وسط بغداد أما فيما بعد أصبحت محلة وحدها مفردة في وسط الخراب و حولها محال إلّا أنها غير مختلطة؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٤، ص٥٠٨.

(٤)- الرصافة: محلة بشرقي بغداد فيها اختط المهدي ت ١٦٩هـ/٧٨٥م إلى جانب المسجد الجامع الذي في الرصافة و حفر نهراً يأخذ من النهروان سماه نهر المهدي و فيها تربة الخلفاء العباسيين؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص٢٦٩.

(٥)- دار الخلافة: قصر المنصور ت ١٥٨هـ/٧٧٤م و في صدره ايوان طوله ٣٠ ذراعاً و عرضه ٢٠ ذراعاً و فيه القبة الخضراء و على رأسها تمثال فرس عليه فارس، سماه بقصر الخلد تشبهاً بجنة الخلد موضعه وراء باب خراسان لكنه اندثر فيما بعد؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص٧٣، ٧٥.

(٦)- القصر الحسيني: دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر معلى قديماً للحسن بن سهل ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٩٩.

(٧)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه،ج١، ص٧٩-١١٨.

(٨)- الخليفة علي بن أبي طالب: علي بن عبد مناف بن عبد المطلب و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلم و هو ابن سبع سنين و يقال تسع و شهد المشاهد كلها مع الرسول (ص) باستثناء يوم تبوك. كان الخليفة الراشدي الرابع، تولى الخلافة في جو مشحون و مليء بالتوترات السياسية، حاول جاهداً حل الخلافات الناجمة عن حركة الخوارج و الفئات الأخرى لكنه قتل سنة ٤٠هـ ؛ ابن الجوزي(عبد الرحمن بن الجوزي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): صفة الصفوة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٢، ص١٣٠.

(٩)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١٣٣-٢١١.

(١٠)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢١٢.

لينتقل بعدها لذكر التراجم الأخرى حيث استن سنة البداية بالترجمة للمحمديين من الأعلام تبركاً بالرسول محمد (ص)، و ليبتدىء بعدها بحرف الألف انتهاء بباقي الأحرف ذاكراً بالجزء الأخير بابين متميزين أحدهما لمن عرف بكنيته دون اسمه(١).

و الآخر للنساء من أهل بغداد اللائي عرفن بالفضل و الرواية للحديث و عددهن إحدى و ثلاثون امرأة(٢)، ولا بد من الإشارة بأنه كان مراعياً في تراجمه لسلاسل الإسناد المتسلسلة و هذا لا يخفى عنه فهو محدث بالدرجة الأولى.

كان الخطيب لا يذكر خبراً إلا و جاء باسم المصدر الذي أخذ عنه إلافي ما ندر(٣)، و لا يورد شعراً إلا وذكر قائله(٤)، أما عندما يسرد حديثاً أو حكاية فكان دائماً يقول موثقاً (أنبأنا، أخبرنا، حدثني، قال لي، كتب إليّ، بلغني، أجاز لي)(٥).

بعد التعرف على مضمون الكتاب بشكل مبسط، يا ترى ما هي الدوافع التي حدت بالخطيب لتأليف كتابه؟

فهل هي الرغبة في تأليف كتاب شامل لتاريخ مدينة و بما أن بغداد في ذلك الوقت كانت مقراً لسكناه فاختارها لتكون موضوعاً للكتابة، لما احتوته من أطياف بشرية متنوعة، أم هي الرغبة في إيجاد كتاب يشمل تراجم المحدثين و الفقهاء من أهل العراق.

لم يضع القارئ في حيرة واسعة و إنما صرح عن سبب التأليف بقوله: (لا بد لطالب الحديث أن يبدأ بكتب حديث بلده و معرفة أهله و تفهمه و ضبطه حتى يعلم الصحيح من القيّم و يعرف أهل التحديث به و أحوالهم معرفة تامة، إذا كان في بلده علم و علماء قديماً و حديثاً ثم يشتغل بعد ذلك بحديث البلدان و الرحلة فيه)(٦). لكن يلاحظ بأنه لم يكتف بفئة المحدثين فقط، و إنما ذكر كل من نبغ فيها أو ورد عليها من غير أهلها ليكون بالتالي شاملاً لتاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى منتصف القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

كما أن هناك سؤالاً أخيراً يطرح نفسه يا ترى ما هي الأشياء التي أعطت تاريخ بغداد أهميته و ميزته عن غيره من المؤلفات؟ هل ضخامته؟ أم كونه كتاباً تراثياً غنيّاً بمعلومات عن بغداد؟ أم اختصاصه بذكر تاريخ مدينة؟

تنبع أهميته من:

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤، ص٣٦٣-٣٨٨.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١٤، ص٤٣٠-٤٤١.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٣٨٣، ٢٥٢، ٢٨٤/ ج٥، ص١٧٠.

(٤)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٣، ص٣٠، ١٠١/ ج٤، ص٦٨/ ج٥، ص٤٧.

(٥)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٤، ٥، ١٣٨، ١٩٣، ٦٩/ ج٤، ص٦٦/ ج١١، ص١٦٧.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢١٤.

ً١- أهم مصدر مختص بتاريخ بغداد الثقافي منذ تأسيسها حتى منتصف القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد.

ً٢- أفاد بمعلومات عن خطط بغداد و منشآتها العامة من مساجد و حمامات و جسور و غيرها من المرافق التي تعطي صورة عن مدى الازدهار العمراني و الرقي الحضاري الذي عاشته بغداد في ذلك الزمان و عن التغييرات التي رصدها المؤرخ في تخطيطها منذ بنائها و حتى منتصف القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد(١).

ً٣- عرض صورة واضحة عن الحياة الثقافية و التعليمية من خلال عرض مظاهر التدريس و مناهج العلماء في استقاء المعلومات و علاقاتهم مع تلامذتهم و التعريف ببعض المساجد التي كانت تعنى بالتدريس(٢)، كما يعكس نشاط العلماء و مدى اتصال الحركة الفكرية في المدن الإسلامية ببعضها و ذلك عن طريق ذكره لرحلة العلماء في طلب العلم إما تصريحاً أو عند ذكره لنسبهم و أسمائهم، أو عند التحدث عن رحلاته التي قام بها، و العلماء الذين قابلهم و استقى معلومات منهم أغنت معارفه بكل ما هو جديد(٣).

ً٤- أورد تراجم لرجال السياسة في بغداد من خلفاء و وزراء(٤)، كما يلاحظ بأن اهتمامه بهم ضعيف فلم يذكر إلاّ من اشتهر منهم.... لكنه تطرق لبعض الأحداث السياسية في أثناء ترجمته لبعض الشخصيات، كحديثه عن دخول الغز لهمذان(٥) سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م، في معرض حديثه عن محمد بن عيسى البزاز(٦).

ً٥- تكمن أهميته الكبرى في نطاق الحديث فقد ذكر فيه ترجمة لخمسة آلاف محدث بالتالي فهو يقدم خدمة

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، من ص ٤ و ما تلاها.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص١٠٧-١٠٨.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٦، ص١٦٠/ ج٥، ص٢٦٧/ ج١٠، ص٣٣٨.

(٤)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢٧٩/ ج٢، ص١١٩/ ج٥، ص٨٤/ ج١٠، ص١٠، ٩٨/ ج١٤، ص٥.

(٥)- همذان: مدينة كبيرة من مدن فارس الجبلية، بلغت مساحتها أربع فراسخ، انهدمت أجزاء منها، لكنها بقيت مدينة عظيمة ممتدة على رقعة واسعة، اشتهرت بهوائها اللطيف و مائها العذب و تربتها الطيبة و لم تزل محل سرير الملوك و لا حدّ لرخصها و كثرة أشجار الفواكه فيها؛القزويني(زكريا بن محمد ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد و أخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٤٥٧.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٢، ص٤٠٤؛ أما محمد بن عيسى البزاز من أهالي همذان، سمع جماعة من الشيوخ، وصف بالصدق و قدم بغداد، و كان من شيوخ الخطيب الذين أخذوا العلم عنهم في أثناء رحلته إلى أصبهان و خراسان، قتله الغز لما دخلوا همذان سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م ؛الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٤-٤٠٥.

كبيرة لعلم الحديث بالدرجة الأولى، من خلال التعريف بهم و بيان حالهم من الجرح و التعديل بالتالي فإن يوسف العش صدق حين وصفه بقوله (بأنه قبل كل شيء، تاريخ محدثيها و أنه بالجملة تاريخ علماء الدين فيها أما سواهم فلهم فيه مكان لا يعادل أهميتهم و أثرهم)(١).

٦ً- احتوى على معلومات أخذها الخطيب عن علماء و شيوخ التقى بهم في بغداد أو أثناء رحلاته المختلفة إلى بلاد الشام و الحجاز و خراسان، كما أنه ضم الكثير من الأجزاء من مؤلفات هي بحكم المفقود في الحاضر(٢)، لذلك فهو حفظ شيئاً من تلك الكتب و لم يستطع أحد الاطلاع على أجزاء منها إلا من خلاله.

٧ً- أول كتاب اهتم بتراجم النساء بشكل كبير فقد كان للنساء من سياسيات و مؤدبات و عابدات و صوفيات حظوة فيه من خلال إفراد جزء منه للحديث عنهم(٣)، مشيراً إلى الأدوار المختلفة التي شغلتها المرأة البغدادية، أو التي عاشت في بغداد في ذلك العصر و منبهاً إلى دورها في مجالس العلم كيف لا و الخطيب تتلمذ على يد كريمة المروزية ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م(٤) عند زيارته لمكة المكرمة.

و بما أن الكتاب حظي بهذا القدر من الإهتمام فلا بد من دراسة إسلوبه و منهج الخطيب من خلاله في التدوين التاريخي.

١ً- اتبع الخطيب أسلوباً سردياً، بسيطاً، سلس العبارات، خالياً من الزخرفة اللفظية و المحسنات البديعية.

٢ً- مال في مؤلفاته إلى تقسيم كتابه إلى أبواب و الباب إلى فصول يبدأ الفصل بعنوان يتوسط الصفحة مثال (ذكر من اسمه فلان، و اسم أبيه فلان، ذكر مثاني الأسماء في هذا الباب، ذكر مفاريد الأسماء في هذا الباب)(٥).

٣ً- أعرب عن رغبته في الاختصار و عدم الإطالة رغبة في عدم إضجار القارئ(٦). كما أنه لم يلجأ للتكرار بل إنه اكتفى بذكر الحادثة في موضع واحد، دون التطرق لذكرها في موضع آخر حتى و إن كانت هناك

---

(١)- العش، الخطيب البغدادي، مؤرخ بغداد و محدثها، مرجع متقدم، ص١٨٠.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٢، ص٥، ١٠٢، ١١٧، ٢٠١/ ج٦، ص١٦١.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١٤، ص٤٣٠-٤٤١.

(٤)- كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية، كاتبة وصفت بالفضل و العلم و حسن الخط، حدثت بالصحيح مرات، لم تتزوج و طال عمرها و علا اسنادها توفيت سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١٤، ص٦٧.

(٥)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٢، ٢٣٢.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢٠٦.

حاجة ماسة لذلك بل اكتفى بقول (و قد سقنا الخبر بذلك في أول الكتاب)[١].

٤ً- أما أسلوبه في تناول التراجم:

١- فقد حدده بقوله (ما انتهى إليه معرفته من كناهم، أنسابهم، و مشهور مآثرهم، و أحسابهم و مستحسن أخبارهم و مبلغ أعمارهم و تاريخ وفاتهم و بيان حالاتهم و ما حفظ فيهم من الألفاظ عن أسلاف أئمتنا الحفاظ من ثناء و مدح قدح و ذم، قبول و طرح، تعديل و جرح جمعت ذلك كله و ألفته أبواباً مرتبة على نسق حروف المعجم)[٢]، ولكن ليس محتماً عليه أن يتناول في ترجمته كل الأشياء التي أشار إليها إنما قد يورد جزءاً منها في بعض الأحيان و أحياناً يقوم بإيرادها كلهاوذلك وفقاً لتوفر المادة التاريخية.

٢- تباينت المساحة التي عرض عليها تراجمه، و يعود ذلك إلى أهمية الشخص الذي يترجم له فإن كان من الأئمة المعروفين في علم الحديث احتلت الترجمة صفحات عديدة[٣]، أما إذا كان من العلماء و المحدثين و ليس بذائع الصيت و لم يترك مؤلفات كثيرة فإن ترجمته لم تتجاوز بضعة أسطر[٤].

٣- أما الشخصيات التي ترجم لها فهي مقسمة إلى أربع فئات:

أ- المحدثون: احتلوا نصف التراجم. ب- أهل الأدب و الإخباريين من شعراء و مغنين و كتاب و غيرهم. ج- علماء الدين و الزهاد و المتصوفة. د- أرباب الحكم من خلفاء و وزراء و هو في تراجمهم محسن منصف لا يتقرب بالمديح و لا يخشى الحق. لم يتطرق لتراجم الفلاسفة و الحكماء طبعاً لأن الصفة الدينية غالبة عليه و على مؤلفاته.

٥ً- لجأ إلى إبداء الرأي في الروايات التي يذكرها عن الشخصيات التي ترجم لها و إلى تصحيح روايات أخرى بالتالي فإنه اتبع أسلوب النقد في معظم المواقف فهو لم يذكر الحادثة فقط كما جاءت في كتب من سبقه وإنما عبر عنها و ذكر مواضع الوهن فيها معللاً هذا الأمر مثال (هذا وهم و الصواب ما أخبرنا به فلان)[٥]، و في موضع أخر يقول (بأن فلان كان على قضاء الرصافة و المحفوظ بأنه كان على قضاء الشرقية و الله أعلم)[٦].

بالتالي يصحح الرواية و عندما يقول الله أعلم بالتالي يترك الحكم للقارئ بعد أن ذكر ما يعرفه عن الحادثة.

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٨، ص٤٨٧.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢١٢.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٩، ص١٥١-١٦٥؛ ج٢، ص١٢، ٤٠.

(٤)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٧، ص٢١٣.

(٥)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٢٧.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١١، ص١٩٨.

أما فيما يتعلق بأحكامه و ابداء رأيه بالشخصيات فقد اختلف بين أحكام ايجابية، و أخرى سلبية، أما فيما يتعلق بالإيجابية فقد كان يذكر في نهاية كل ترجمة كلمة تدل على رضاه و ثقته بصاحب الترجمة مثال (كان صدوقاً، كان أحد المذكورين بالعلم و الموصوفين بالفهم، ذلك لا يوجب ضعفه، لم أسمع فيه إلا خيراً)(١).

أما فيما يتعلق بأحكامه السلبية فقد كان يصف صاحب الترجمة بكلمات تدل على عدم ثقته به و بأهليته كما في المثال الآتي (كان كذباً خبيثاً، في حديثه مناكير و غرائب كان سيء الحال في الحديث)(٢).

٦ً- الشعر أهم نشاط ثقافي اهتم به العرب بوصفه الأداة الحيوية التي تفهم من خلالها طبيعة الأفكار، لذلك فإن الخطيب اعتنى به وذكر الكثير من الأبيات الشعرية في سياق تراجمه و في معظم مؤلفاته فيلاحظ إكثاره من عبارة (مما أنشدني لنفسه، أنشدني فلان)(٣).

٧ً- اهتم بذكر تاريخ الولادات و الوفيات للشخصيات التي يترجم لها و ذكر التاريخ للأحداث السياسية التي يتحدث عنها، ولأحداث حياته مفصلاً ذلك التاريخ بذكر اليوم و الشهر و السنة، بالتالي تعد معلوماته موثقة وعلى درجة من الدقة(٤).

٨ً- أما موارده التي اعتمد عليها في كتاباته و التي ميزت أسلوبه فقد تباينت ما بين:

١- رواية شفهية: تميزت بالدقة في معظم الأحيان فضلاً عن كونها منهجاً تقليدياً لكبار العلماء و لا سيما المحدثين و الخطيب واحد منهم، لذلك يُرى يستخدم الأسانيد بكثرة مراعياً في استخدامها الدقة و التسلسل في الرواية(٥). وبما أنها مورد هام في التدوين فقد اعتمد عليها بشكل كبير في مؤلفاته التي احتوت على روايات كثيرة ابتدأت بـ (حدثني، قال فلان، بلغني، حكى لنا، أخبرنا، حدثني لفظاً، أملى علينا من حفظه)(٦).

٢- الإجازات من الشيوخ الذين استمع لهم: كان المؤرخون يتلقون العلم في حلقات شيوخهم سواء أكانت في المساجد أم الزوايا، و لم يكن يسمح لهم بالرواية عنهم إلا بعد التأكد من جاهزيتهم لهذا الغرض، و الإجازة لهم بقول أجزت لك بالرواية، بلغ الخطيب تلك المرحلة و استمع لعدد كبير من الشيوخ بلغ تعدادهم الكثير وفقاً للدراسات التي تناولت الخطيب و التي تم الإشارة إليها و لا مجال لتكرارها هنا، بالتالي فإنه تلقى علماً واسعاً من هؤلاء سواء في الفقه أم علوم اللغة و علوم القرآن و غيرها، ولقد أشار الخطيب إلى الإجازات من شيوخه

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص٥١، ٢٩١/ ج٩، ص١١٤/ ج٧، ص٣٠٨.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٩، ص٣٣٨/ ج١، ص٣٦٠، ٣٦٢.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٤، ص٦٨/ ج٥، ص٤٧/ ج٦، ص٦٠/ ج٧، ص٣٩٣.

(٤)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢٨١، ١٦٦/ ج٧، ص٢١٣.

(٥)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٤، ٤٩.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٤، ص٢٢/ ج١، ص١٣٨، ١٩١، ٢٩٦/ ج٥، ص١٤٠، ٩٤/ ج٦، ص١٦٩.

بقوله (أجاز لي، حدثنا،... إملاءً، حدثني مذاكرة، كتب إليّ، أخبرناه في كتابه إلينا، كتب لي.... من مكة، أخبرني... إجازة)[1].

٣- المعارف التي حصل عليها من رحلاته: كان للرحلات التي قام بها الخطيب إلى نيسابور و مدن خراسان و الشام و الحجاز أثرها الكبير بتزويده بكثير من المعارف من خلال التقائه برجال العلم في تلك الأماكن وحضوره لمجالس علمهم و زيارة منازلهم و مكتباتهم و لقد أشار إلى معلوماته في أثناء حديثه عن تراجمه بذكر مكان سماعه للرواية[2].

٤- المشاهدة و الملاحظة التي قام بها بنفسه: إضافة إلى اعتماده على معارف من سبقه و على الإجازة من شيوخه فيلاحظ بأنه أغنى مؤلفاته بموارد شاهدها بنفسه و سمعها أو سأل عنها من أشخاص كثر قابلهم وتعد هذه من الموارد المهمة لأنها دليل على مدى نشاط صاحبها و سعيه في الحصول على المعلومات بنفسه كما تشير إلى طبيعة تفكيره و رصده لأوجه الحياة التي عاشتها بغداد من خلال ذكره لهذه الأخبار المختلفة في سياق تراجمه مثال: (زرت قبره، لقيته فكتبت عنه، كتبت عنه و كان ثقة، سألته عن مولده)[3].

٥- مؤلفات من سبقه: اعتمد الخطيب على مؤلفات من سبقه من تراجم للمحدثين و خلفاء و أدباء و شعراء كما أنه اطّلع على مؤلفات حولية و غيرها من المؤلفات التي انتشرت و تناقلتها الأجيال، يلاحظ بأنه عندما كان يستخدم هذه المؤلفات في كتبه و يقتبس منها كان يلجأ في بعض الأحيان إلى ذكر اسم الكتاب و مؤلفاته في معظم الأحيان مثال: الطبقات لابن سعد[4]، و أحياناً أخرى ذكر اسم مؤلف الكتاب فقط مثال: (قرأت في كتاب أبي سعد الماليني)[5]، وفي حالات أخرى لم يذكر اسم الكتاب ولا مؤلفاته إنما أشار بقوله (رأيت في بعض الكتب، ذكر من قرأت بخط يده)[6]، بالتالي فإن اعتماده على مؤلفات من سبقه أغنى موارده وكان مورداً مهماً له ساعده في إتمام مؤلفاته.

---

(١)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٧، ص١٢٤/ ج١، ص٢٥٨/ ج٧، ص٢٠١/ ج٨، ص١١١/ ج١٠، ص٣١٦/ ج٩، ص٤٦٦/ ج١١، ص٣١٤.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج٤، ص٤٥، ٥٧، ٢٧١/ ج٨، ص٢٧٢، ٩٨/ ج١٠، ص٣٦٣، ٣٧٦/ ج٦، ص٢٢٥.

(٣)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٣٤٨/ ج٨، ص٤١٣/ ج٣، ص٣٨.

(٤)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص١٣٠، ٣٢٠/ ج١٠، ص٣٠٢.

(٥)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٢٥٢، ٢٨٤، ٢٨٣/ ج٥، ص١٧٠.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر نفسه، ج١، ص٦٩/ ج٧، ص٤٩.

من خلال ما تقدم تم التطرق إلى منهج الخطيب البغدادي في تدوين التاريخ الذي تميز به عن غيره من المؤرخين الذين تناولوا التاريخ في مؤلفاتهم في حقب تاريخية مختلفة، لكنه لم يشذ عنهم إنما خطا الخطوات نفسها التي في مدوناتهم و لكن باختلاف بسيط، فهو يُعدّ من الشخصيات الأولى التي استتنت تأريخ المدن، التأريخ المحلي و عملت على تطويره و تدعيم منهجه.

ثانياً- تأريخ حولي: هلال الصابىء (٣٥٩-٤٤٨هـ/٩٦٩-١٠٥٦م)

وابنه غرس النعمة محمد (٤١٦-٤٨٠هـ/١٠٢٥-١٠٨٧م)

برز في العراق في ذلك العصر إضافة للخطيب البغدادي روّاد آخرون عملوا في ميدان التأريخ، ولكن اتخذت كتاباتهم منحىً حولياً ليؤرخوا للأحداث وفقاً لمنهج السنين . أسرة آل الصابىء كانت واحدة من هؤلاء فهي أسرة من الكتاب قضوا حياتهم في خدمة الخلافة العباسية ليستغلوا قربهم منها في التأريخ لأحداثها وحفظ وثائقها ومراسلاتها في كتبهم[١] ، بقيت الأسرة في البداية على دينها الأول ثم اعتنق هلال الصابىء الإسلام وفق قصة رواها معظم من ذكره من المؤرخين[٢]، ليتابع ابنه غرس النعمة محمد من بعده التمسك بالدين الإسلامي وممارسة شعائره . أما الصابئة[٣] فإنهم أقوام جذبت شعائرهم وطقوسهم ومذهبهم اهتمام المؤرخين فهذا ابن العبري ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م يقول عنهم (أما دعوتهم فهي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها)[٤]، ووصفهم المسعودي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م قائلاً(هم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين)[٥]، بنوا هياكلهم على أسماء الجواهر العقلية والكواكب ورتبوا الكهنة فيها[٦]، أما صلواتهم فكانت ثلاثة في اليوم الواحد، وصومهم ثلاثين يوماً في السنة، دعوا وتضرعوا للكواكب وقدموا لها القرابين، ولهم عاداتهم الاجتماعية وطقوسهم الدينية في المأكل والأعياد والطهارة والذبائح والزواج والطلاق، كذلك لهم فلسفتهم الخاصة حول الثواب والعقاب[٧]. ولابد من الإشارة بأنهم لم يعرفوا

---

(١)- مصطفى(شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٢٨١.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٣-٣٧٤.

(٣)- تجدر الإشارة بأن هذا الاسم أطلق على فرقتين متمايزتين تماماً، أما الأولى فهي المندية أو الصبوة، وهي فرقة يهودية تمارس شعيرة التعميد في العراق، أما الثانية فهي صابئة حران، فرقة وثنية بقيت أمداً طويلاً في ظل الإسلام ولها أهميتها بحكم مبادئها، ولها أيضاً شأنها لما خرج من بين صفوفها من العلماء؛ كاراده فو، الصابئة، دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة عن الأصلين الانكليزي والفرنسي، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي وأخرون، بيروت، دار المعرفة، ١٩٣٣م، ج١٤، ص٨٩.

(٤)- ابن العبري(غريغوريوس بن أهرون الملطي ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٢٦٦.

(٥)- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر متقدم، ج١، ص١٠٩.

(٦)- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر نفسه، ج٢، ص٣٩١.

(٧)- النديم، الفهرست، مصدر متقدم، ج١، ص٦٣٩ ،٦٤٧؛ الشهرستاني(محمد بن عبد الكريم ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، بيروت، دار الفكر، (د،ت) ، ص٢٥٨ ،٢٨٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مصدر متقدم، ص١٩١.

بهذا الاسم بشكل رسمي قبل عهد الخليفة العباسي المأمون ت ٢١٨هـ/٨٣٣م[١] الذي فرض على الذين سكنوا حران[٢] منهم اعتناق الإسلام أو إحدى الديانات السماوية فاعتنق بعضهم الإسلام وآخرون المسيحية، أما الذين بقوا على مذهبهم فإنهم انتحلوا لأنفسهم اسم الصابئة للتخلص من الاضطهاد[٣]. عاش الصابئة في بغداد وشكلوا أسرة عريقة برز عدد كبير من رجالها في الطب والتاريخ والسياسة، ولقد استعان بهم الخلفاء على الرغم من بقائهم على دينهم إلاّ أنهم سرعان ما اعتنقوا الدين الإسلامي لمّا اقتضت الحاجة . ومنهم:

هلال بن المحسن الصابىء(٣٥٩-٤٤٨هـ/٩٦٩-١٠٥٧م):

على الرغم من وفاة هلال بعد سنة واحدة من دخول السلاجقة إلى العراق وذلك سنة ٤٤٧هـ-١٠٥٦م ، بالتالي فإنه عاش معظم حياته زمن وجود الأسرة البويهية واستلام مقاليد السلطة في بغداد إلاّ أنه سيتم تناوله في هذه الدراسة لدوره المهم في كتابة التاريخ ولمنصبه الهام الذي شغله، ولكونه أول شخص أسلم من الصابئة وأسس لأسرة مؤرخة ورثه ابنه فيما بعد.

١- حياته:

ولد أبو الحسين، وقيل أبو الحسن[٤] هلال بن المحسن بن أبي اسحق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيون الحراني الصابىء سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م[٥] كان لبيئته التي عاش فيها أثر كبير في توجيه مساره منذ طفولته، فقد احتضنه جده أبو اسحاق[٦]وحرص على تربيته التربية الصالحة وتعليمه على يد كبارعلماء عصره في الأدب

---

(١)- المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، وأمه أم ولد اسمها مراجل ، ولد سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، قدم دمشق عدة مرات، وأقام بها مدة وتولى الخلافة في سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، استمر في الخلافة عشرين سنة عرف عنه تشيعه وميله إلى الإعتزال وتوفي بطرسوس سنة٢١٨هـ-٨٣٣م؛ ابن كثير البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٤، ص٢١٤.

(٢)- حران: مدينة مشهورة من ديار مضر بالضاد المعجمة، مدينة الصابئيين وبها سدنتهم وبها تل عليه مصلى للصابئة يعظمونه، قليلة الماء والشجر وتربتها حمراء، شرب أهلها من قناة تجري من عيون خارج المدينة ومن الأبار؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٣٧٦.

(٣)- النديم، الفهرست، مصدر متقدم، ج١، ص٦٤٢-٦٤٣.

(٤)- وردت كنيته لدى معظم من ترجم له بأبي الحسين للمزيد ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤،ص٧٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام وفيات سنوات٤٤١/٤٥٠هـ، مصدر متقدم، ص١٩٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص٦١؛ لكنها وردت أبي الحسن لدى ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج٧، ص٢١٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٠١.

(٥)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر نفسه، ج٦، ص١٠١.

(٦)- سيرد الحديث عن أبي اسحاق بشكل وافٍ ضمن شيوخ المؤرخ لذا لن يتم ذكره هنا حرصاً على عدم التكرار.

والنحو[١]. فمال إلى طلب الأدب و اقتدى بالطريق التي سلكها جده ووالده[٢] ، فكان له ما أراد فأصبح كاتباً بليغاً و أديباً فاضلاً امتهن مهنة الأدب والإنشاء مقتفياً خطا جده أبي اسحاق الذي كان كاتباً للإنشاء[٣]في عهد معز الدولة ت٣٥٦ھ/٩٦٦م[٤]، وولده عز الدولة بختيار ت٣٦٧ھ/٩٧٧م[٥]، فعمل في ديوان الإنشاء مساعداً لجده في البداية الذي دربه وأهّله[٦] ، غير أن مكانته ارتفعت مع مرور الزمن فتولى ديوان الإنشاء نظراً لفصاحة لسانه وأمانته في العمل وإلمامه بمهنة الكتابة حيث كان أحد كتاب فخر الملك ت٤٠٧ھ/١٠١٦م[٧]، وبعد عزل الوزير كان له قصة مشهورة مع من خلفه في الوزارة[٨] رواها ابن الجوزي في كتابه وهي التي سببت غنى ابنه غرس النعمة محمد فيما بعد ودفعته إلى التأليف في التاريخ[٩]. نال هلال شهرة كبيرة بين المؤرخين لأنه عدّ أول شخصية أسلمت من الصابئة فلم يتم العثور في المصادر على أسماء قد تكون أسلمت قبله، بل إن هذه

---

(١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج٧، ص٢١٨.

(٢)- أما والده أبو علي المحسن بن ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون الصابىء، كان أديباً فاضلاً ، بارعاً أخذ العلم والأدب من كبار علماء عصره، وكان يقول الشعر، عرف بين الناس بصاحب الشامة لوجود شامة حمراء على وجهه توفي سنة٤٠١ھ/ ١٠١٠م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٣٨١/٤٠٠ھ، مصدر متقدم، ص٧٥؛ الزركلي(خير الدين): الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٤، ١٩٩٩م، ج٧، ص٢٨٥.

(٣)- كاتب الإنشاء: الشخص الذي نهض للعمل في ديوان الإنشاء، فقام بترتيب المعاني وتأليف الكلام لتحويله إلى مراسيم ومناشير وكل ما يتعلق بدواوين الدولة ومؤسساتها؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر متقدم، ج١، ص٨٤.

(٤)- معز الدولة: أحمد بن بويه الديلمي كان في صباه يحتطب وأبوه يصيد السمك، فمازال إلى أن ملك بغداد نيفاً وعشرين سنة، كان حاكماً حازماً مهيباً، وصف بالجور والظلم، وكان أقطع قطعت يده اليسرى، توفي بالإسهال سنة ٣٥٦ھ/٩٦٦م؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٩٠.

(٥)- عز الدولة بختيار: بختيار بن الملك معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي، ولي مملكة أبيه بعد وفاته، كان ملكاً قوياً، نشبت بينه وبين ابن عمه عضد الدولة ت٣٧٢ھ/٩٨٢م منافسات في الممالك أدت إلى تنازع وانتهت بالحرب بينهما حيث التقيا سنة ٣٦٧ھ-٩٧٧م وانتهت المعركة بقتله عن عمر يناهز ست وثلاثين عاماً ؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر نفسه، ج٤،ص٣٥٨.

(٦)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١، ص٢٦٦-٢٦٨.

(٧)- ولد فخر الملك محمد بن علي بن خلف سنة ٣٥٤ھ/٩٦٥م، كان من أعظم وزراء بني بويه بعد ابن العميد ت٣٦٠ھ/ ٩٧١م، والصاحب بن عباد ت٣٨٥ھ/٩٩٥م. كان يقال له ابن الصيرفي لأن أباه كان صيرفياً، وكان ذا فضائل جمة وزر لبهاء الدولة ت ٤٠٣ھ-١٠١٢م، ثم وزر لسلطان الدولة ت٤١٥ھ-١٠٢٤م الذي قتله في سنة ٤٠٧ھ/١٠١٦م؛ الصابىء، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٤٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٩٠-٩١.

(٨)- الوزير أبو علي مؤيد الملك الحسن بن الحسين الرخجي وزر لآل بويه، ثم عزل وكان عظيم الجاه توفي سنة ٤٣٩ھ/ ١٠٤٨م؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٢٦٩.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٥، ص٢٦٩-٢٧٠.

المصادر تشير في بداية الترجمة أو في نهايتها بأن الشخص المترجم له مات على دين آبائه[١] ، يذكر الخطيب البغدادي الذي عاصر هلال الصابىء بأنه(أسلم بآخره)[٢]، أما بقية المصادر والمراجع فقد انقسمت إلى قسمين: القسم الأول يذكر (بأنه أسلم في آخر عمره)[٣]، بينما القسم الثاني يذكر (بأنه أسلم متأخراً)[٤]، والفرق واضح بين العبارتين لكن من الممكن استخلاص السنة التي أسلم فيها من خلال قراءة قصة اسلامه التي انفرد بذكرها ابن الجوزي من خلال القصة فإن هلالاً قد رأى في منامه الرسول محمد (ص) ثلاث مرات: الأولى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م، والثانية بعد الأولى بمدة ، أما الثالثة فكانت سنة ٤٠٣هـ-١٠١٢م وفيها أسلم وحسن اسلامه وتزوج بعدها بإمرأة مسلمة أنجبت له ولده غرس النعمة محمد [٥].

بالتالي فإن هلالاً قد ولد سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وأسلم سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وتوفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وعمره تسع وثمانون سنة، فيكون قد أسلم وعمره أربع و أربعون سنة، أي أسلم في أواسط عمره، مما يدعم هذا القول ما جاء في البداية والنهاية لابن كثير ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م حيث قال (توفي في هذه السنة وله تسعون سنة منها في الإسلام نيف وأربعون سنة)[٦]. بعد الحديث عن إسلامه لابد من الإشارة بأن هلالاً عرف بميله إلى كتابة التاريخ فلقد اندفع إلى هذه الكتابة بناءً على نصيحة الوزير الرخجي ت٤٣٩هـ/١٠٤٨م، بعد الحادثة الشهيرة التي وقعت إثر نكبة فخر الملك والتي ذكرها ابن الجوزي في المنتظم[٧]، ولقد ساعده على ذلك عمله في ديوان الإنشاء والذي استطاع بوساطته أن يطّلع على أحداث عصره ولأهمية عمله بالتاريخ فقد عرف به لدى المؤرخين فقد ذكره كثيٌر من المؤرخين أثناء ترجمة لثابت بن سنان ت٣٦٥هـ-٩٧٥م[٨]

---

(١)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج١، ص٢٦٦-٢٧١.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤،ص٧٦.

(٣)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج٧، ص٢١٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،مصدر متقدم،ج٦، ص١٠١؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥،ص٢٠٧؛ كحالة(عمر رضا)، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ،ج١٣، ص١٥١.

(٤)-ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص٦١.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣-١٥.

(٦)- ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم، ج١٥، ص٧٤٠.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥،ص٢٦٩ ،٢٧٠.

(٨)- ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة اشتهر بالطب وبرع فيه، كان يتولى تدبير المارستان ببغداد وخدم الخليفة المقتدر بالله ت٣٢٠هـ-٩٣٢م، والخليفة الراضي بالله ت ٣٢٩هـ-٩٤١م، والخليفة المستكفي بالله ت ٣٣٨هـ-٩٤٩م، والخليفة المطيع بالله ت٣٦٣هـ-٩٧٤م إلا أن شهرته في التاريخ كانت أكثر لأنه الف كتاباً في التاريخ توفي سنة ٣٦٥هـ-٩٧٥م؛ القفطي(علي بن يوسف ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، مكتبة المثنى، (د، ت)، ص١١٠-١١١؛ ابن أبي أصيبعة،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر متقدم، ص٣٠٤-٣٠٧؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، مصدر متقدم، ص١٧٠.

وأثنوا على عمله الذي لولاه لفقد شيء كثير من التاريخ[1].لا بد من الإشارة بأنه عند قراءة ترجمة ثابت بن سنان يذكر فيها بأنه خال هلال كما جاء في كتاب ابن أبي أصيبعة ت٦٦٨هـ-١٢٦٩م حيث قال(كان ثابت بن سنان المذكور خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء الكاتب البليغ)[2]، لكنه في تراجم أخرى وصف بأنه ابن أخته كما جاء لدى كل من القفطي ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م[3]، وابن العبري [4]، لكن عند المقارنة بين عمر ثابت الذي عاش بين سنوات ٢٩٥-٣٦٥هـ/٩٠٧-٩٧٥م، وعمر هلال الذي عاش أيضاً بين سنوات ٣٥٩-٤٤٨هـ/٩٦٩-١٠٥٦م فإن ثابت ليس خاله لأن هناك فارق زمني كبير إنما من المعتقد بأنه خال ابراهيم بن هلال الذي عاش بين سنوات٣١٣-٣٨٤هـ/٩٢٥-٩٩٤م.بالتالي فإن عمر جده يتناسب مع كونه ابن أخت ثابت أكثر من عمر هلال. بعد أن عاش هلال حياة حافلة بالتأليف والعمل في دواوين الإنشاء تعرض لعلة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م كانت شديدة عليه ووصل إلى الحد الذي فقد فيه وعيه وبقي على هذه الحالة عشرين يوماً حتى تمت معالجته[5]، وشفي من مرضه ليعيش مدة من الزمن وليموت بعدها سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[6]. لابد من الإشارة بأن هلال كان من المؤرخين المكثرين الذين اهتموا بالتاريخ وأخذ عنهم الكثير فقد قال الخطيب عنه(كتبنا عنه وكان صدوقاً)[7].

٢- شيوخه:

تتلمذ هلال الصابىء على يد العديد من شيوخ عصره فقد تحدث معظم المؤرخين عن مرحلة اكتسابه العلم بقولهم(سمع في حال كفره من جماعة من مشايخ وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب فلما أسلم نفعه ذلك)[8] لذلك لابد من الحديث عن هؤلاء الشيوخ الذين كان لهم الفضل الكبير في صقل معارفه وهم:

---

(١)- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، مصدر متقدم، ص١٧٠؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصدر متقدم، ص٢٩٠.

(٢)- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر متقدم، ص٣٠٤.

(٣)- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر متقدم، ص١١٠.

(٤)- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، مصدر متقدم، ص١٧٠.

(٥)- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر متقدم، ص٢٦٠-٢٦١.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤، ص٧٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣-١٥؛ زيدان(جروجي): تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م، ج٢، ص٣٥٥؛ عثمان(محمد فتحي)، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، مرجع متقدم، ص٤٩.

(٧)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤، ص٧٦.

(٨)- ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر متقدم،ج١٥،ص٧٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٣.

١- أبو علي الفارسي(٢٨٨-٣٧٧هـ/٩٠١-٩٨٧م):

ولد الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي في مدينة فسا[١] سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م[٢]، دخل بغداد سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م، وكان إمام وقته في النحو. جال في البلاد وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان ت٣٥٦هـ/٩٦٦م[٣] سنة ٣٤١هـ/٩٨٢م[٤]، وانتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه ت٣٧٢هـ/٩٨٢م[٥] وتقدم عنده حتى إن عضد الدولة ت٣٧٢هـ/٩٨٢م تكلم عن نفسه بقوله(أنا غلام أبي علي النحوي الفسوي في النحو)[٦]. تصانيفه كثيرة منها الإيضاح في النحو، الحجة في علل القراءات، المسائل المنثورة[٧]. توفي في بغداد سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م[٨].

٢- أبو بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخزاز ت ٣٨١هـ/٩٩١م:

أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الجراح أبو بكر الخزاز ، روى عن جماعة من الفقهاء[٩]، وصفه الخطيب البغدادي بقوله (كان ثقة صدوقاً فاضلاً ديناً كثير الكتب، حسن الحال، ظاهر الثروة)[١٠]كان من الفرسان الذين يلبسون أدوات الحرب و يركبون خيولهم ويخرجون لميدان المعارك توفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م[١١].

---

(١)- فسا: بالفتح والقصر كلمة أعجمية وعندهم بسا وأصلها في كلامهم الشمال من الرياح ، مدينة بفارس بينها وبين شيراز أربع مراحل، مفترشة البناء، واسعة الشوارع تقارب في الكبر مدينة شيراز إلاّ أنها أصح هواءً منها وهي كورة من دارابجرد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم،ج٤،ص٢٦١.

(٢)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج، ص٤٠٧.

(٣)- سيف الدولة الحمدانية: ملك واسط بنواحي العراق في البداية، ثم تقلبت به الأحوال وانتقل إلى الشام وملك حلب سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م والكثير من بلاد الشام والجزيرة وغزا بلاد الروم وغزواته مشهورة توفي سنة ٣٥٦هـ-٩٦٦م بحلب ونقل إلى ميافارقين ودفن في تربة أمه داخل البلد؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣،ص٤٠١.

(٤)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر نفسه، ج٢، ص٨٠-٨٢.

(٥)- عضد الدولة بن بويه: فناخسرو بن الملك ركن الدولة الحسن بن بويه، من سلاطين بني بويه ولي سلطنة فارس ودانت له العراق والجزيرة، وصف بأنه أول شخص خوطب بلقب شاهنشاه في الإسلام، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة قام بإصلاحات كثيرة منها حفر الأنهار وإصلاح طريق مكة. توفي سنة ٣٧٢هـ-٩٨٢م؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٧، ص٢٧٥.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٧، ص٢٧٥.

(٧)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١١، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٨)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٤٠٨.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٤، ص٣٥٧.

(١٠)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٥، ص٨١-٨٢.

(١١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٤،ص٣٥٧-٣٥٨.

٣- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني(٢٩٦-٣٨٢هـ/٩٠٨-٩٩٢م):

ولد علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي في بغداد سنة ٢٩٦هـ-٩٠٨م[١]، كان متقناً لعلوم شتى منها القراءات[٢] والفقه والنحو والكلام والتفسير واللغة وتتلمذ على يد العديد من مشاهير عصره، وروى عنه هلال الصابىء وآخرون[٣]. له كتب كثيرة بلغت نحو مئة مصنف[٤]، وصفه الذهبي بقوله(أصله من سر من رأى وكان من أوعية العلم على بدعته)[٥]. توفي سنة ٣٨٢هـ-٩٩٢م بعد أن ترك آثاراً كثيرة[٦].

٤- جده أبو اسحاق الصابىء(٣١٣-٣٨٤هـ/٩٢٥-٩٩٤م):

ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيون الحراني الصابىء[٧]، كاتب الإنشاء لمعز الدولة بن بويه ، ثم لعز الدولة بختيار ، تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩هـ-٩٦٠م، وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة بن بويه ت٣٧٢هـ-٩٨٢م، بما يزعج عضد الدولة فحقد عليه فلما قتل عز الدولة بختيار سنة ٣٦٧هـ-٩٧٧م وملك عضد الدولة بغداد اعتقله في سنة ٣٦٧هـ-٩٧٧م ولكن شفع له فأطلق سراحه في سنة ٣٧١هـ-٩٨١م، وطلب منه أن يؤلف له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية فعمل الكتاب التاجي[٨]، عرضت عليه الوزارة مقابل اسلامه لكنه أبى وبقي على دين أجداده، لكنه كان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن الكريم[٩]عُرفت من مؤلفاته كتاب الرسائل وهو مشهور نحو ألف ورقة، كتاب التاجي في أخبار أهل بويه، كتاب أخبار أهله، كتاب اختيار شعر المهلبي، وديوان شعره[١٠].

---

(١)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٩٩.

(٢)- القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو الناقلة، ويهدف علم القراءة إلى الحرص على كلام الله تعالى والنطق به على الكيفية الصحيحة الكاملة كما أنزل، وصون اللسان عن الخطأ فيه، والاحتراز عن التحريف أو التبديل أو التغيير في القرآن الكريم صورة بالرسم ونطقاً باللفظ وكتابة بالخط؛ الزحيلي(محمد): مرجع العلوم الإسلامية، دمشق، دار المعرفة، (د،ت)، ص١٤٩.

(٣)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤،ص٤٤٢.

(٤)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر نفسه، ج٤، ص٤٤٢.

(٥)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٦،ص٥٣٤.

(٦)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٧، ص٤٦٥.

(٧)- الذهبي، تاريخ الاسلام حوادث ووفيات٣٨١-٤٠٠هـ، مصدر متقدم، ص٧٤.

(٨)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١، ص٥٢-٥٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٤٣٧-٤٣٨.

(٩)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج١،ص ٢٦٦.

(١٠)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر نفسه، ج١، ص٣١٩.

توفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م[١]، لازمه هلال الصابىء مدة طويلة وأخذ عنه الكثير فقد علمه مهنة الإنشاء كما أن معظم مرويات هلال أخذها عن جده أبي اسحاق لذلك كان له دور كبير في تزويده بالكثير من المعارف.

٣- تلامذته:

تذكر كتب التاريخ بأن لهلال تلميذين وهما ابنه غرس النعمة محمد الذي سيرد الحديث عنه في الصفحات القادمة، وتلميذه الآخر هو الخطيب البغدادي حيث أشار إلى ذلك إشارة صريحة في مؤلفه بقوله (كتبنا عنه)[٢]، ولقد تم تناول الخطيب بشكل وافٍ لذا تلافياً للتكرار تم ذكر اسمه واسم غرس النعمة فقط في هذا الموضع.

٤- مؤلفاته:

لهلال الصابىء العديد من المؤلفات تناولت مواضيع شتى سواء أكانت في التاريخ أم الأدب، ضاع بعضها وبقي البعض وفيما يلي نبذة عنها:

١- كتاب أخبار بغداد:

تناول فيه تاريخ بغداد وخططها، ذكره الصفدي ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م في كتابه عند ترجمته لهلال باسم أخبار بغداد[٣]، أما ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م سماه كتاب بغداد ونقل عنه في أكثر من موضع في كتابه معجم البلدان[٤]، ولقد ذكره الزركلي ضمن كتب هلال الصابىء[٥]، لكن الكتاب بحكم المفقود.

٢- الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان:

ذكره ياقوت بقوله(صنف كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكي عن الأعيان والأكابر وهو كتاب ممتع ومما يستحسن فيه)[٦]، كذلك ذكره ابن خلكان ت٦٨١هـ/١٢٨٢م عندما ترجم لهلال قائلاً عن الكتاب(رأيت له تصنيفاً جمع فيه حكايات مستلمحة وأخباراً نادرة سماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان وهو مجلد واحد)[٧]،

---

(١)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٧، ص٤٦٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٤٣٩.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٤، ص٧٦.

(٣)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٥.

(٤)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١،ص٩٠ ،٥٥٨؛ ج٤، ص١٢٣.

(٥)- الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٨، ص٩٢.

(٦)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج٧، ص٢١٩.

(٧)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١،ص١٠١.

كذلك ذكره ابن العماد ت١٠٩٨هـ/١٦٧٨م حيث قال: (له كتاب الأماثل و الأعيان و منتدى العواطف و الإحسان و هو مجلد)[١]، يستخلص من هذه العبارات بأن هلالاً سلك فيه مسلك التنوخي ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م[٢]. في نشوار المحاضرة حيث أورد حكايات مستطرفة و آثاراً و نوادر لجملة من المشايخ و العلماء و الأمراء و غيرهم، لكنه بحكم المفقود.

٣- كتاب الرسالة أو الرسائل:

مجموعة رسائل رسمية أنشأها عن الملوك و الوزراء، ذكره الصفدي بقوله (الرسالة أنشأها عن الملوك و الوزراء تقارب رسائل جده أبي اسحاق)[٣] و هو مفقود.

(١)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٠٧.

(٢)- التنوخي: ولد المحسن بن علي بن محمد أبو علي التنوخي في البصرة سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م سمع جماعة من العلماء كان اخبارياً، أديباً، شاعراً، ولي القضاء بالأهواز و عدة نواح توفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م من تصانيفه الفرج بعد الشدة، نشوار المحاضرة، ذيله على غرس النعمة محمد ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، و من كتبه أيضاً المستجاد من فعلات الأجواد؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٥، ص١٧٢.

(٣)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر نفسه، ج٢٧، ص٣٧٥.

٤- كتاب السياسة:

ذكره الصفدي ضمن كتب الصابئ و هو مفقود[١].

٥- كتاب الكتّاب:

مفقود أيضاً، لكن على ما يبدو من عنوانه بأنه على غرار كتاب أدب الكتّاب لأبي بكر الصولي[٢]، و ذكره الصفدي [٣]. و ميخائيل عواد في مقدمة تحقيق رسوم دار الخلافة[٤].

٦- كتاب مآثر أهله:

مفقود و لكن يعتقد بأنه يتكلم عن تاريخ أهل بيته و لا شك أنه ضمنه معلومات مستطرفة كثيرة عمن نبغ منهم ذكره كلٌ من الصفدي [٥] و ميخائيل عواد[٦].

٧- غرر البلاغة:

كتاب في الرسائل في واحد و عشرين باباً، يتضمن فصولاً في الكتابة و أساليبها و العهود و البيعات و التهاني و التعازي و العتاب مع جملة رسائل من كلامه و ربما وضع هلال هذا الكتاب ليكون نموذجاً لموظفي ديوان الإنشاء، ذكره الصفدي ضمن قائمة كتب هلال[٧].

٨- رسوم دار الخلافة[٨]:

كتاب هام، حفظه الزمان ليبقى حتى الوقت الحاضر، ذكره الصفدي ضمن قائمة كتب هلال باسم (رسوم دار الخلافة)[٩]، كما ذكره الزركلي أيضاً[١٠]، حققه ميخائيل عواد بالاعتماد بداية على نسخة نسخها بخط اليد

---

(١)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٥.

(٢)- أبي بكر الصولي: محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول، أحد الأدباء المتقدمين في الأدب و الأخبار و الشعر و التاريخ، حدث عن جماعة من العلماء و نادم الخلفاء و صنف أخبار الخلفاء، و أخبار القرامطة، و كتاب الورقة، و أخبار الوزراء، كان أوحد زمانه في لعب الشطرنج توفي سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر نفسه، ج٥، ص١٩٠.

(٣)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر نفسه، ج٢٧، ص٣٧٥.

(٤)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٣٢.

(٥)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٥.

(٦)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٣٢.

(٧)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٥.

(٨)- حققه ميخائيل عواد، القاهرة، دار الأفاق العربية، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

(٩)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٣.

(١٠)- الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٨، ص٩٢.

الأب انستاس ماري الكرملي في بغداد عن نسخة كانت لديه مصورة عن مخطوطة الأزهر ثم استعان بأخذ نسخة عن مخطوطة خزانة كتب الأزهر محفوظة برقم ٢٧٤١، بعد أن اطلع عليها لاحظ بأنها مكتوبة بخط ديواني قديم وعر، قليل التنقيط و كل صفحة تحوي ما بين ٨–١٤ سطراً[١] و ختمت بقول الناسخ (كان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء التاسع من رجب سنة خمس و خمسين و أربعمائة، من الأصل بخط الأستاذ أبي الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم رحمه الله)[٢]. بالتالي فهي نسخة في غاية الأهمية لأنها نسخت بعد وفاة المؤرخ بسبع سنوات.

يفهم من اسم الكتاب بأنه يتناول موضوع العادات المتبعة في مجالس الخلفاء و كل ما يتصل بهم، فهو جامع للقواعد التي يجب اتباعها عند دخول دار الخلافة و كيفية التعامل مع الخليفة في مجلسه، أو على مائدته، أو أثناء نزهته[٣].

كما يتطرق للحديث عن كل ما يحيط بالخليفة بدءاً من الوزير ذاكراً مرتبته و ألقابه[٤]، بعد ذلك يتحدث عن الكتّاب و الكتابة[٥]، و ألقابهم و كيفية الكتابة في ديوان الإنشاء مفصلاً في شرح أنواع الرسائل بحسب الجهة المرسلة لها أو الصادرة عنها[٦]. لينتقل للحديث عن الحجاب و وظائفهم و لباسهم و كيفية آدائهم لخدماتهم[٧]، خاتماً كتابه بمدح الخليفة القائم بأمر الله مهدياً الكتاب له[٨].

كل ذلك من خلال تقسيمه الكتاب إلى فصول و الفصول إلى أبواب، مفصلاً في العناوين التي يذكرها داعماً إياها بقصة، أو حكمة لإعطاء صورة أوضح للقارئ[٩]، وفق أسلوب سردي مبوب بسيط و ألفاظ سهلة في المعظم و لكنها في بعض الصفحات تميل إلى الصنعة البديعية، مائلاً إلى الاختصار من غير حشو و لا

---

(١)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٤٠.

(٢)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص١٤٣.

(٣)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٧، ٣١، ٨١.

(٤)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٦٦.

(٥)– الكتابة: في اللغة مصدر كتب يقال كتب، يكتب، كاتباً و كتابة و مكتبة و كتبة فهو كاتب و معناها الجمع، سمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض. و في الإصطلاح: صناعة روحانية تظهر بآلة جسمانية دالة على المراد بتوسط نظمها. ؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصدر متقدم، ج١، ص٨١، ٨٥.

(٦)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص١١٠، ١٢١، ١٢٨، ١٢٦.

(٧)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٧١–٨١.

(٨)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص١٤٠–١٤٢.

(٩)– الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٦.

تطويل ذاكراً في المعظم مصدر رواياته بقوله: (ما يذكر في أواخر الكتب، حدثني جدي، قال فلان، شاهدت، قرأت)[١].

لكل سبب مسبب فلا بد أن يكون هناك أسباب دفعت الصابئ إلى تأليف كتابه هذا و ربما أهمية مركز الخلافة و علو شأنها و مكانتها، و ربما أنه تزود بعلوم كثيرة من جده إبراهيم ، و من عمله في ديوان الإنشاء، فأراد أن يدونها في كتابٍ خوفاً عليها من الضياع يذكر سبب تأليفه كتابه بقوله (و لما كانت الخلافة من النبوة و كان لها من جلالة القدر و فخامة الأمر أعلاها مراقب و أَشرفها دعائم، و من شروط المكاتبات، و رسوم الترتيبات أحسنها طرائق و أحكمها وثائق...... و ليس كل من مرّ على عهد اختار أخباره أو أمر شاهده فألفه و وجدتني قد سمعت من ابراهيم بن هلال جدي فيه ما لم يكن بقي في وقته من يشاركه في كثير من علمه وعلل ما وقع الإصلاح عليه منه و لا بقي الآن من يشاركني في إسناده و روايته عنه و خفت أن تلحق هذه البقية بتلك المواضي المنية و رأيت حقوق النعمة التي غمرتني و غمرت أسلافي للدولة العباسية تقتضي العناية بها أن أنشر أعلام سننها القديمة و أوضح آثار سيرها القويمة جمعت من ذلك ما ضبطته بالتأليف وحفظته بالتصنيف)[٢]، بالتالي فهو قد جمع في هذا الكتاب حصيلة علمه في ديوان الإنشاء و حصيلة علومه التي استمدها من جده و خاف عليها من الضياع ليحفظها للناس و للأجيال القادمة من خلال كتابه هذا الذي تبرز أهميته بأنه صادر عن مؤلف معاصر للأشياء التي يكتب عنها. فهلال كان من موظفي ديوان الإنشاء، رصد هذه المهنة و كل ما يجري فيها و شرح طريقة كتابة الرسائل و أنواعها و أنواع الكراريس[٣] و كيفية وضع التواقيع بدقة و لم يكتف بذكر حالها في زمانه إنما تطرق لشرح مفصل عن الحال التي كانت عليه وكيفية تطورها حتى وصلت إلى ما هي عليه في زمانه[٤].

كما أنه رصد عادات العصر العباسي المتبعة في البلاط و خاصة طريقة التعامل مع الخليفة و موظفي القصر الآخرين و كيفية تبادل الهدايا و منح الخلع[٥] للموظفين و لشخصيات الدولة إكراماً لهم[٦]، إضافة إلى رسمه صورة واضحة للتسلسل الوظيفي متناولاً الخليفة كرأس للهرم، يليه الوزير، فالحاجب، متناولاً كل شخصية

---

(١)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٢٠، ٤٩، ١٤، ٢٤، ١٢٤.

(٢)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٥، ٦.

(٣)- الكراريس: مفردها كراسّة واحدة الكرّاس و الكراريس سميت بذلك لتكرس العلم فيها كما يزدحم العلم في قلب الرجل فيسمى كراسة من الكتب؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ص٣٨٥٤.

(٤)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص١١٠، ١٢١، ١٢٦، ١٢٨.

(٥)- الخلع: ما يخلع أي يمنح من الملابس الخاصة التي ينعم بها ؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا، مصدر متقدم، ج٤، ص٥٣.

(٦)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٣١-٤٠، ١٠٠، ٩.

من حيث اللباس و الواجبات و طريقة التصرف و الأخلاق و الصفات الواجب الاتصاف بها[١].

أمدّ هلال القراء بمعلومات عن الحياة الاجتماعية من خلال رصده لأنواع الألبسة التي ارتدتها كل فئة في الخلافة العباسية، كما أشار إلى الاهتمام بالنظافة بشكل كبير من خلال رصده لعدد الحمامات في بغداد في عهد معز الدولة و في عهد الخليفة القائم بأمر الله[٢].

كما أنه كان راصداً لكل من الحياة العمرانية و الإقتصادية، العمرانية من خلال حديثه عن القصر العباسي مقر الخلافة من لحظة بنائه و ما أصابه من تغييرات في عهد كل خليفة و الحال التي آل إليها في عهده[٣]. أما رصده للوضع الاقتصادي فيتجلى في تسجيل النفقات المرصودة لكل من الخليفة و أسرته و الوزراء وسائر الموظفين و نفقات القصر و المبالغ التي أنفقت في كل شهر أو في السنة كلها[٤]، بالتالي فهي تعطي صورة واضحة عن مقدار الغنى أو الفقر الذي تحياه الدولة، كل ذلك وفق أسلوب منهجي راعى فيه مؤلفه ذكر مصادر معلوماته و مضمناً إياه الكثير من الوثائق التي حصل عليها بحكم عمله و لم يذكرها أحد غيره من المؤرخين الذين عُنوا بالحديث عن تلك الحقبة[٥].

٩- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء[٦]:

كتاب هام للصابئ ذكره الصفدي بقوله (كتاب الوزراء ذيّله على كتاب الصولي)[٧]، كما ذكره كل من الزركلي و ميخائيل عواد في مقدمة رسوم دار الخلافة و جورجي زيدان في كتابه أيضاً[٨]، حققه عبد الستار أحمد فراج بالاعتماد على أول نسخة تحقيق للكتاب[٩]، لكنه وجدها مليئة بالأخطاء فأعاد التحقيق بالإعتماد على نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر تتألف من (٩٧) ورقة و لا يعرف عنها شيء سوى أنها وقف ورثة سليمان أباظة سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م و يوجد فيها نقص كما أنه اعتمد على نسخة المكتبة الأهلية بباريس[١٠].

---

(١)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٣٥-٧١-٧٨، ٤٠.

(٢)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٨١، ٣٤، ٢٠.

(٣)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٦، ١٠.

(٤)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه، ص٢٢.

(٥)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر نفسه ، ص١٢٢، ٢٤، ١٠٨، ١١٣، ١١٤.

(٦)- حققه عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتاب العربية، ط٢، ١٩٥٨م.

(٧)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٣.

(٨)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٣٢؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٨، ص٩٢؛ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع متقدم، ص٣٥٥.

(٩)- حققها آمدروز و طبعت سنة ١٩٠٤م.

(١٠)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص١-١٠.

يفهم من اسم الكتاب بأنه شامل لأخبار الوزراء في العصر العباسي من سنة ٣١٠-٤٤٠هـ/٩٢٢-١٠٤٨م، فهو في مقدمة الكتاب التي تحدث فيها عن الكتّاب الذين ألفوا في تاريخ الوزراء، أشار بأنه سيترجم لكل من أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ت ٣١٢هـ/٩٢٤م(١)، و علي بن عيسى بن داود بن الجراح ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م(٢)، و أبي محمد بن علي بن مقلة ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م(٣)، و من تولى بعدهم من أمثال الحسن بن محمد المهلبي ت ٣٥٢هـ/٩٦٣م(٤).

و محمد بن الحسين بن العميد ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م(٥)، و أبي القاسم اسماعيل بن عباد ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م(٦)، وأبي غالب محمد بن علي بن خلف ت ٤٠٧هـ/١٠١٦م و غيرهم من وزراء العراق و فارس و من الكتّاب أيضاً في الأيام الديلمية(٧)، لكن الكتاب لا يحوي سوى وزارة كل من ابن الفرات(٨)، و محمد بن عبيد الله بن

---

(١)- علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزر ثلاث مرات للخلفاء الأولى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م إلى سنة ٢٩٩هـ/٩١١م، و نكب ونهب داره و أمواله ثم عاد للوزارة في المرة الثانية سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م و قبض عليه سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، ثم عاد للوزارة سنة ٣١١هـ/٩٢٣م و قبض عليه سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، قتل هو و ابنه المحسن قتله نازوك صاحب الشرطة سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، كان كاتباً كافياً خبيراً، كثير الأموال؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص٤٢١.

(٢)- علي بن عيسى بن داود بن الجراح، وزر عدة مرات للمقتدر بالله ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م ثم للقاهر ت ٣٢٠هـ/٩٣١م كان محدثاً، عالماً، ديّناً خبيراً، كبير الشأن، عالي الإسناد، عاش تسعين سنة و توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص١٨٦.

(٣)- محمد بن علي بن حسن بن مقلة الكاتب، صاحب الحظ المنسوب و قد وزر للخلفاء غير مرة ثم قطع يده و لسانه و سجن حتى هلك و له ستون سنة ولي الوزارة ثلاث مرات لثلاث خلفاء، وسافر ثلاث مرات كما أنه دفن ثلاث ولد سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م و توفي سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر نفسه، ج٤، ص١٤٤.

(٤)- الحسن بن محمد الأزدي المهلبي من ذرية المهلب بن أبي صفرة، وزر لمعز الدولة ابن بويه ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م، كان من رجال الدهر حزماً و عزماً، و كان شاعراً، حليماً، فاضلاً، توفي في سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م و قد نيف على الستين؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر نفسه، ج٤، ص٢٧٤.

(٥)- محمد بن الحسين بن محمد الكاتب بن العميد وزر لركن الدولة، الحسن بن بويه صاحب الري، كان آية في الترسل و الإنشاء، فيلسوفاً مهتماً بالحكمة توفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٢، ص٣٢٣.

(٦)- الصاحب بن عباد، اسماعيل بن عباد بن العباس وزر لآل بويه و صحب الوزير ابن العميد ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م أخذاً عنه الأدب و الشعر و الترسل و لصحبته له لقب بالصاحب، عرف بالنبل و الفضل و السخاء، صنفت العديد من الكتب منها كتاب المحيط و الكافي في الرسائل و كتاب الإمامة توفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م بالري ثم نقل إلى أصبهان؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٤٤٩.

(٧)- هلال الصابئ، تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٥.

(٨)- هلال الصابئ، تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص١٠-٢٨٤.

خاقان ت ٣١٤هـ/٩٢٦م[١]، و علي بن عيسى بن داود بن الجراح[٢].

عارضاً لأخبارهم من غير تسلسل زمني للأحداث إنما متناولاً الوزير ذاكراً أخباره منثورة من غير ترتيب زمني ذاكراً جملة من الطرائف و النوادر التي لم يتطرق إليها أحد قبله على حد قوله[٣]. مبتدئاً بأخبار الوزير ابن الفرات معللاً هذا البدء بقوله (لأنه تلا أبا أحمد العباس ابن الحسن[٤]، و نجعل ذكر وزاراته الثلاث متصلاً غير منقطع و مجتمعاً غير متقطع، و تجري على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم إذ كان الغرض سياقة أخبارهم و مجاري أمورهم إلى غاية مددهم، و انقضاء أيامهم، لا ترتيب خلفائهم و أمرائهم و أوقاتهم و أزمانهم)[٥].

كانت كتاباته وفق أسلوب سردي بسيط مبوب، بجعله استلام شخص جديد للوزارة عنواناً لأبوابه و فصوله، سارداً معلوماته بلغة بسيطة سهلة لا تخلو من الصنعة البديعية كقوله (أما بعد فإن أول ما افتتح به القول فأفلحت مصادره، و أعمل به النطق فأنجحت مقاصده، و توجني به الخير فأصابت مواضعه)[٦]، مهتماً بذكر مصدر معلوماته و مضمناً كتابه الكثير من الوثائق التي حصل عليها[٧].

كما أنه اعتنى أيضاً بذكر سبب تأليفه لكتابه هذا حيث قال معللاً عمله هذا (و لما رأيت المتقدمين من أهل المعرفة قد أشركوا من بعدهم فيما وصلوا إليه من الفائدة بعلوم أدركوها قبلهم، فخلفوها بالجمع و التأليف لهم، و أحاديث سمعوها عمّن تقدمهم، فخلدوهم بالتسطير و التصنيف لمن لحقهم، إذ لولا هذه الطريقة لما عرفت فضائل الأخلاق فاستحسنت و رذائل الأفعال فاستهجنت، و عوائد الخير فطلبت، و عواقب الشرّ فاجتنبت،... الهدف من ذكرها..... يهتدي بذاك مهتدٍ، و يقتدي مقتدٍ، ويستفيد مستفيد، و يستزيد مستزيد)[٨].

---

(١)- ابن خاقان: محمد بن الوزير أبو الحسن عبيد الله بن خاقان ذا لسان و بلاغة و آداب و حسن كتابة ، ولي الوزارة للمقتدر ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م بإشارة من مؤنس الخادم سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، قبض عليه بعد (١٨) شهراً و رسم عليه، ثم تعلل و مات سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٤، ص٤٧٤.

(٢)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٣٠٥-٣٩١.

(٣)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٢٩.

(٤)- العباس بن الحسن بن أيوب بن سليمان الجرجرائي وزر للخليفة المكتفي ت   و بعد وفاته أمر الناس بالبيعة للمقتدر بالله ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م و ملك الأمور له، كان ذا كرم و تحرٍ للحق، و كبر، قتل سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م غدراً، وزر أربع سنوات و عاش نيفاً و أربعين سنة؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٤، ص٥١.

(٥)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٣.

(٦)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٣.

(٧)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٧٣، ٢٥٥، ٣٦٣، ١١٨، ١٦٩.

(٨)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٣-٤.

يفهم من هذه العبارات بأنه رغب في تدوين العلوم و الأخبار اقتداءً بالسلف و رغبة في اطلاع الناس عليها لأخذ العظة، أو للاقتداء أو لزيادة المعارف، كما أنه يذكر في موضع آخر بأن هدفه من تأليف كتابه إكمال عمل الجهشياري لأنه لم يجد أحداً قد أكمل العمل الذي بدأه باستثناء كتاب الصولي الذي وجد مليئاً بالحشو و لم يقم بالتطرق إليه(١).

بالتالي تبرز أهمية الكتاب برسمه صورة واضحة لنظام الوزارة في العصر العباسي من خلال حديثه عن العقوبات التي كانت تحل بهم و بأتباعهم في حال النقمة عليهم و عزلهم عن مناصبهم(٢)، كما أنه احتوى وثائق كثيرة أمدت القارئ بمعلومات وافرة عن منظومة القصر العباسي و ذلك بما احتوته من تفاصيل عن الموظفين و مقدار الأموال التي يتقاضونها بحسب الفئة التي يتبعون لها بالإضافة إلى حديثها عن طرق اختيار الخلفاء لموظفيهم(٣)، من خلال عرضه لأخبار الوزراء تم استنتاج مدى المكانة التي شغلتها المرأة العباسية سواء أكانت جارية، أم أمّاً للخليفة و التي مكنتها من التدخل في شؤون الحكم و الصراعات الداخلية المختلفة(٤)، كل ذلك من خلال عرضه لطائفة من النوادر و القصص و الأخبار يتخللها ذكر لكثير من الأشعار التي أغنت الكتاب و زادته أهمية و جمالاً(٥).

لم يصل كتاب تحفة الأمراء كاملاً، إنما بقيت منه أجزاء و التي تمت دراستها و هناك أقسام أخرى تناولت الوزراء الذين ذكرهم الصابئ في مقدمته(٦)، و لكنها بحكم المفقود.

١٠- كتاب التاريخ:

لأهميته لقب به فكان يسمى بصاحب التاريخ(٧)، كما ذكره القفطي في كتابه مبيناً مدى أهمية محتواه بقوله (ثم كتاب هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابئ فإنه داخل كتاب خاله ثابت و تمم عليه إلى سنة ٤٤٧هـ، و لم يتعرض أحد في مدته إلى ما تعرض له من أحكام الأمور و الاطلاع على أسرار الدول و ذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كاتب الإنشاء و يعلم الوقائع و تولى هو الإنشاء أيضاً فاستعان بعلم الأخبار الواردة على جمعه)(٨).

---

(١)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٤.

(٢)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٣٤-٣٧، ٨٨، ٢٥٩، ٣١١.

(٣)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٢٥، ١٦-١٨، ٤٧.

(٤)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٤٣، ٥٤، ١١١، ٣٢١.

(٥)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٨٦-٨٧، ٢٩٧-٢٩٨.

(٦)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر نفسه، ص٥.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٤؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٥، ص٧٣٩.

(٨)- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر متقدم، ص٧٧.

أما البغدادي فقد قال عنه (ذيل على تاريخ ثابت بن قرة من وقائع سنة ٣٦٤هـ إلى سنة ٤٤٧هـ)[١]، بالتالي فهو عمل أكمل به عمل ثابت بن سنان الذي أكمل بدوره عمل الطبري ، يتحدث عن ثلاث و ثمانين سنة و لكن للأسف لم يعثر على هذا التاريخ بشكل كامل إنما عثر على الجزء الثامن و الذي يتناول حوادث خمس سنوات من ٣٨٩ إلى ٣٩٣هـ/٩٨٨ إلى ١٠٠٢م[٢]، و على الجزء الرابع و الثلاثين الذي تناول سنتي ٤٣٩هـ/١٠٤٧م و ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[٣].

لم يذكر أمدروز على أي مخطوطة اعتمد في تحقيقه للجزء الثامن، بينما ذكر رضوان أحمد مصلح الليث اعتماده على مخطوطة بلغ عدد أوراقها مئة و ثمان و عشرون صفحة ذات حجم متوسط و لون واحد، كتبت كلها بخط قديم تذكر بأن المخطوطة هي الجزء الرابع و الثلاثين من كتاب التاريخ للصابئ بينما كتب إلى جانبها كتابات حديثة تقول (هذا الجزء الرابع و الثلاثون من أملاك السيد محمد بن شرف الدين الوادعي حفظه الله)[٤]. لكن يلاحظ بأن اسم الناسخ و سنة النسخ تم إغفال ذكرهما في المخطوطة.

اتبع هلال المنهج الحولي بشكل أساسي و اتباعه هذا دفع المؤرخين إلى تصنيفه في إطار الكتّاب الحوليين للتاريخ فهو لم يكتف بذكر أحداث كل سنة على حده إنما رتب أحداثه بحسب الأشهر و الأيام التي وقعت فيها.

يدور الجزء الثامن من تاريخه حول أحداث سنوات ٣٨٩/٣٩٣هـ و٩٩٨/١٠٠٢م و فيها كانت الخلافة العباسية تعيش نوعاً من الاضطراب السياسي فالخليفة في بغداد لا يملك من السلطة إلا اسمها بينما استبد به آل بويه الذين ضعفوا بدورهم[٥]، و ضعفهم ناتج عن بروز قوة جديدة في المنطقة أثرت عليهم كالدولة الغزنوية بزعامة محمود بن سبكتكين ، يضاف إليها تحركات الديلم في منطقة خراسان[٦]، و تحركات العامة في بغداد[٧]، مع ما أصاب المنطقة من كوارث طبيعية و جفاف[٨].

أما الجزء الرابع و الثلاثون فيلاحظ بأنه شمل سنتين فقط ٤٣٩-٤٤٠هـ/١٠٤٧-١٠٤٨م، استمر على نسقه

(١)- البغدادي، هدية العارفين، مرجع متقدم، ج٥، ص٥١٠.

(٢)- حققه آمدروز و من بعده د.س مرجليون، نشر في القاهرة سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م ملحقاً بذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب بالروذراوري ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م .

(٣)- حققه رضوان أحمد مصلح الليث، ضمن رسالة نال بها درجة الماجستير، جامعة صنعاء سنة ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.

(٤)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص١٣١.

(٥)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٤٨، ٣٩٢.

(٦)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٤٠، ٣٧٥، ٣٨٦.

(٧)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٤١٨.

(٨)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٥، ٣٩٢، ٤١٩.

الحولي حيث جاء هذا الجزء متفرعاً إلى فصلين كل فصل يحوي أخبار سنة واحدة، تدور أحداث جزئه هذا عن بروز السلاجقة على الساحة السياسية كقوة أضعفت الدولة البويهية و عملت على القضاء عليها[١]، إضافة إلى حديثه عن تحركات السلاجقة برئاسة ابراهيم ينال[٢]، و أعمالهم في منطقة فارس و زحفهم نحو بلاد الروم[٣] ، وما رافق ذلك من أعمال قام بها الغز، والتي أثرت على المنطقة بشكل مباشر[٤].

مغنياً جزئيه بذكر العديد من التراجم التي جاء ذكرها متداخلاً مع أحداث السنوات التي تحدث عنها[٥]، كل ذلك وفق أسلوب خبري، بلغة عربية فصحى داخلتها الكثير من المصطلحات السائدة في ذلك العصر، لكنه كان سلس العبارات واضح الكلمات و المعاني، مع ذكره لمصدر معلوماته بقوله (ورد الخبر، حمل إليّ نسخة، كتب إليّ في هذه السنة ، ورد، وجدت له رقعة، رأيت)[٦].

لم يصل تاريخ هلال بشكل كامل، إنما عثر على جزأين منه فقط، كما سلفت الإشارة إلى ذلك أحدهما من أجزائه الأولى و الآخر من الأجزاء المتأخرة و عليه لم يعرف السبب الذي دفع المؤرخ للكتابة في التاريخ ولكن أشير سابقاً بأنه ألّف في التاريخ نتيجة لحادثة مرّ بها و التي كانت المسبب له في الكتابة في ميدان التأريخ[٧]، بينما يذكر معظم المؤرخين الذين تناولوا تاريخه بأنه ألفه رغبة منه في التذييل على تاريخ ثابت بن سنان [٨]، و مهما كان السبب ففي النهاية تم تأليف كتابٍ رائع رصد الأوضاع السياسية و الاقتصادية والاجتماعية للدولة العباسية في حقبة من أحفل حقبها حيث داخلتها كثير من الدول و دخلت أرضها فئات أثرت فيها بشكل ما.

لا بد من الإشارة بأن كتاب التاريخ لهلال الصابئ تم التذييل عليه و إكماله إلى سنة ٥٥٥هـ/١١٥٩م من قبل

(١)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص٢٠٨، ٢١٤، ١٩٤.

(٢)- ابراهيم بن ميكائيل السلجوقي، أحد الأبطال المذكورين حارب أخاه طغرلبك ت ٤٥٥هـ/١٠٦٣م و قهره و جرت له فصول، ثم نقل جيشه و أخذه أسيراً و خنقه بوتر مع إخوته سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م بنواحي الري؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص١١٢.

(٣)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٤)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٣٤، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٥)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٦، ٣٦٧، ٣٩٨/ ج٤، ص١٦٩، ١٨٠، ١٩٧.

(٦)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٣٤، ص١٥٤، ١٥٦، ٢٤٢/ ج٨، ص٣٣٤، ٤٠٤، ٤٥٥.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٢٧٠.

(٨)- القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر متقدم، ص٧٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٢٧، ص٣٧٤؛ زيدان (جورجي)، تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع متقدم، ص٢٥٥.

ابن القلانسي ت ٥٥٥هـ/١١٥٩م[١] و لقد تم التوصل إلى هذه النتيجة من خلال عدة مقارنات قام بها عدد من الباحثين في التاريخ[٢] أكدوا فيها بأن ابن القلانسي اعتمد على أعمال آل الصابئ و أتمها فكانت بمثابة ذيل دمشقي على الذيل العراقي الذي نهض به آل الصابئ لإكمال عمل الطبري .

أما أهمية كتاب التاريخ بالإضافة إلى ما ورد سابقاً من أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث التي دونها في تاريخه في معظمها فهو قد روى الكثير من الأخبار، و رصد الكثير من التحركات مبدياً رأيه فيها و مشيراً إلى أحوال بغداد في عصره و التغييرات التي طرأت عليها[٣]. كما أنه كان ملاحظاً للظواهر الطبيعية راصداً لحركة الرياح و مقدار البرد و الجفاف و الفيضانات مراقباً لحركة الكواكب[٤]، و بالانتقال إلى الحياة الاجتماعية فقد رصد تحركات العامة فصور احتفالاتهم بالمناسبات الدينية و كيفية ترقبهم لهلال شهر رمضان و متحدثاً عن قوافل حجهم في كل سنة[٥]، مع إشارته إلى ما كان يصيبهم من أوبئة و أمراض و ما كان يدفعهم للثورة و إقامة الفتن[٦]، و ما كان يسبب لهم المجاعة من غلاءٍ للأسعار و جفافٍ و اجتياحٍ للجراد لبساتينهم و حقولهم[٧]، إضافة إلى حديثه عن أنواع العملات التي استعملوها[٨].

لم ينس الحديث عن البناء و التجديد و لكن ليس ببغداد و إنما في شيراز[٩]، حيث سرد تاريخ بناء سورها و ما لحقه من تعديلات و مقدار طوله و عرضه و من قام بأعمال الإصلاح فيه[١٠]، و لا ينس رصده للوفيات في كل سنة من فقهاء و قضاة و شعراء و أمراء بالتالي فقد أمدّ القارئ بمعلومات عنهم و عن الشخصيات التي

---

(١)- حمزة بن أسد بن علي بن محمد كان فاضلاً أديباً، من أعيان دمشق ولي رئاسة ديوانها مرتين، جمع تاريخاً عن دمشق سماه الذيل ذيّل به على تاريخ هلال الصابئ ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م توفي بدمشق سنة ٥٥٥هـ/١١٥٩م و دفن بقاسيون؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٣٨٨.

(٢)- تحدث عن ذلك د.سهيل زكار في مقدمة التحقيق لمخطوطة تاريخ دمشق لابن القلانسي، دمشق، دار حسان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٠ و ما تلاها. كارادفو، دائرة المعارف الإسلامية، مرجع متقدم، ج١، ص٢٥٦.

(٣)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٤١، ٣٥١، ٣٩٢/ ج٣٤، ص١٤١، ١٤٩، ١٥٠.

(٤)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٥، ٣١٩/ ج٣٤، ص١٤٥، ١٥٣، ١٧٣.

(٥)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٩/ ج٣٤، ص١٦٦، ١٤٨.

(٦)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٣٤، ص١٩٧، ١٨١، ١٩٥/ ج٨، ص٣٨٧.

(٧)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٩٢/ ج٣٤، ص١٥١، ٢١١، ٢٠٥.

(٨)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٨/ ج٣٤، ص١٦١.

(٩)- شيزار: بالكسر و أخره زاي، بلد عظيم مشهور معروف، قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث، تقع وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور ٢٢٠ فرسخ، عذبة الماء صحيحة الهواء، كثيرة الخيرات و تجري في وسطها القنوات، أحكم بنائها آل بويه حيث اتخذوها مركزاً لهم؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٣، ص٣٨٠.

(١٠)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص٢٤٤-٢٤٥.

صنعت تاريخ بغداد في تلك الحقبة[١].

و بكتاب التاريخ ينتهي الحديث عن مؤلفات هلال الصابئ، لكن يا ترى ما هو المنهج الذي اتبعه هلال الصابئ في التدوين التاريخي؟ منهج حولي، أم سردي، أم تراجم، أم ماذا؟

١- اختلف أسلوبه ما بين سردي مبوب إلى فصول يختص كل فصل بموضوع معين يشرحه بشكل مفصل ثم ينتقل للحديث عن غيره[٢]، و حولي مرتب ترتيباً زمنياً دقيقاً وفقاً للسنة و الشهر و اليوم الذي وقعت فيها وأحياناً بذكر الساعة[٣].

٢- عباراته واضحة، سلسة، مختصرة في معظمها و لم يكرر فيها إنما كان حريصاً في الابتعاد عن الحشو والإعادة ما يبرهن ذلك قوله (و قد ذكرنا ذلك، و لقد ذكرنا من أخبارهما ما لا فائدة في تكرارها)[٤].

٣- ناقداً لرواياته و مبدياً رأيه في الحوادث و الشخصيات التي يتناولها موازياً بين الأمور فهو ليس بناقلٍ أوكاتبٍ مقلدٍ إنما حرص على توضيح حوادثه و تكذيب أو تصديق بعضها و عرض موازنات بينها[٥].

٤- كان حريصاً على ذكر تواريخ أحداثه و وفياته فهو عندما يبدأ بسنة جديدة يذكر تاريخها ليس فقط التأريخ الهجري، إنما الرومي و الفارسي، مثال (سنة أربعين و أربع مائة للهجرة يوافق يوم الخميس ١٦ من حزيران سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة ألف للإسكندر[٦]، روزد بهمن من ماه نير سنة سبع عشرة و أربعمائة ليزدجرد[٧])[٨]، أما داخل السنة فهو يحرص على ذكر الأحداث بالشهر و اليوم سواء للوفيات أو الولادات أو

---

(١)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص٢٠٠، ٢٥١، ٢٧٥/ ج٨، ص٣٨٩، ٣٩١، ٤٠٩.

(٢)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص٣٠، ٦٠؛ الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٢٨٤، ٣٠٥.

(٣)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٣٥، ٣٤٥/ ج٣٤، ص٢١٨.

(٤)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٨٩؛ الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٤٤، ٣٠٥.

(٥)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص١١٠؛ الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٣٠٤، ١٦٧، ٢٤٥.

(٦)- الإسكندر/ ملك اليونان منهم من ينسبه إلى فيليوس و أخرون إلى بيبلوس بن مطريوس ملك اليونان و سائر المناطق في سوريا، و مصر و بلاد ما بين النهرين و أسقط حكم ملك الفرس و سيطر على فارس و بنى فيها الكثير و هدم الكثير من المدن فيها، ملك كلاً من الهند و الصين، و تنسب إليه الكثير من المدن، أدبه أرسطاطاليس الذي أصبح مستشاراً له، عاش ستة و ثلاثون سنة ملك منها ١٣ سنة توفي في بعض قرى بابل؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، ص٤٢٤.

(٧)- يزدجرد بن بهرام من ملوك الفرس الساسانيين، حكم إيران تسع عشرة سنة بنى سوراً من الطين عند باب الأبواب في عاصمته و نسبت إليه الكثير من الإنجازات؛ المسعودي، مروج الذهب، مصدر متقدم، ج١، ص٢٢٧.

(٨)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص٢١٨.

حتى الأحداث السياسية[١]، لكنه عندما يكون غير متأكد من تاريخ الحادثة فإنه لم يلجأ لتحديد كقوله (و قد سقنا سياقة لم نذكر فيها أيام ما جرى و شهوره لإشكال ذلك علينا)[٢].

٥- أما أسلوبه في الحديث عن تراجمه فهو إما تناول صاحب الترجمة بشكل كامل متحدثاً عنها منذ ولادتها

وأعمالها حتى وفاتها كما فعل في ترجمة ابن الفرات وغيره[٣]. أو تناولهم بشكل مختصر ضمن أحداث السنة غير مراعٍ لترتيب الأبجدي إنما للقدم في الوفيات و لم يخصص لهم موضعاً في نهاية السنة إنما بعثرهم ضمن أحداثها فكانت تراجمه متنوعة من قضاة و شعراء و نساء و رجال سياسة و كتّاب[٤].

٦- لا بد لإكمال الحديث عن منهج هلال من التعرض لموارده في الكتابة التأريخية، هل كانت محددة أم متنوعة؟

بالنظر إلى موارد الصابئ فهي متنوعة، تراوحت مابين كتب سابقة لمؤرخين آخرين سبقوه زمنياً فنقل عنهم واستفاد من كتاباتهم كثابت بن سنان و جده ابراهيم و التنوخي ، و غيرهم[٥].

و روايات شفهية سمعها في مجالس مختلفة و لكن يلاحظ بأنه لم يكن مكثراً من سلاسل الإسناد إنما كان مائلاً إلى الاختصار فيها فيقول مشيراً إلى هذه الروايات (حكي، حدّث فلان، سمعت، ورد الخبر)[٦].

و وثائق شاهدها و تعامل معها بل قام بحفظها و تدوينها و إرسالها إلى جهات مختلفة بنفسه و ذلك بحكم عمله في ديوان الإنشاء لذا فهي تعتبر من الموارد الهامة و لولا كتابات هلال لجهل الشيء الكثير عنها مثال (حمل إليّ نسخة، ورد كتاب، قُرأ كتاب، وجدت ثبتاً، وقع بيدي ثبت)[٧].

و أخيراً مشاهداته الخاصة و تجواله في بغداد مكنه من رصد كثير من الظواهر و مشاهدتها بل المشاركة في كثير من الحوادث و الحديث عنها في كتبه بالتالي فهو رصد العصر العباسي و تحدث عنه بنفسه فمعلوماته

---

(١)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٧١، ٣٩١؛ الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٣٠٥، ٣٣٦.

(٢)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٧٥.

(٣)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص١-٢٨٤.

(٤)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٦٤، ٣٧٥، ٤٠٤/ ج٣٤، ص١٦٩، ٢٢٠.

(٥)- الصابئ، التاريخ، مصدر نفسه، ج٨، ص٣٩٤؛ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٢٨، ٨٩، ٢٤١؛ رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص١٠٨، ١٨.

(٦)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص١٥١، ٢٢٣/ ج٨، ص٣٦٣.

(٧)- الصابئ، رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص١٠٨، ١١٣؛ الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص١٦٦؛ التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص١٥٦، ١٤٦.

لها قدر كبير من الأهمية مثال (شاهدت، كنت أراهم، قرأت عليهم، شاهدت أسواق)[1].

هذا هو المنهج الخاص بهلال الصابئ الذي ظهر واضحاً من خلال مؤلفاته التي تنوعت مواضيعها يتناولها أحداثاً تاريخية مختلفة، ذلك المنهج الذي قلد فيه من سبقه من المؤرخين و لكنه لم يغالِ في هذا التقليد و إنما لجأ إلى التغيير و التعديل فيه ليترك بصمته في التدوين التاريخي و في المدرسة العباسية.

---

(١)- الصابئ، التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص٢٠٥/ ج٨، ص٣٩٢؛ رسوم دار الخلافة، مصدر متقدم، ص١٤؛ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٣٤٦.

غرس النعمة محمد (٤١٦-٤٨٠هـ/١٠٢٥-١٠٨٧م)

من الشخصيات المهمة التي عاشت في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، و التي تنتسب إلى الأسرة الصابئية على الرغم من ولادته على الدين الإسلامي و اعتناقه له.

١- حياته:

ولد محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيون الصابئ الملقب بغرس النعمة محمد سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م في بغداد(١). كان أول مولود على الإسلام لهلال الصابئ و ذلك بعد أن أعلن إسلامه و تزوج من إمرأة مسلمة كما تقدم الإشارة إلى ذلك(٢)، يحيط الغموض بمراحل كثيرة من حياته فلم يذكر المؤرخون سوى شذرات من أخباره، هذا الغموض اكتنف مرحلة طفولته و صباه، فلم يذكر سوى أنه نشأ في كنف والده و رعايته، و عليه تخرّج في الإنشاء و الأدب و الكتابة، و سمع عدداً من الشيوخ بحكم مكانة والده العلمية(٣)، كما أشار الصفدي بأنه عمل في مرحلة من مراحل حياته بديوان الإنشاء في عهد الخليفة القائم (٤).

يعود الفضل الأكبر في تكوين شخصيته لوالده، فقد ذكره بشكل دائم في كتبه ناقلاً عنه مرويات كثيرة و محيطاً إياه بهالة من التقدير كقوله (حدثني الرئيس الأجل أبو الحسن والدي)(٥)، و (حدثني والدي أبو الحسين رضي الله عنه قال)(٦).

تميز غرس النعمة بكثيرٍ من الصفات دفعت المؤرخين لوصفه بصفات كثيرة، فهذا ابن خلكان

---

(١)- الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنوات ٤٧١-٤٨٠هـ/١٠٧٨-١٠٨٧م، مصدر متقدم، ص٢٩٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٨؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٧، ص١٣٢/ كحالة (رضا)، معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ و التراجم و الجغرافيا و الرحلات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م/١٤٠٧هـ، ص٥٩٨.

(٢)- انظر هلال الصابئ و إسلامه ص٩٨.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧٥؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص٩٣؛ ابن ماكولا (علي بن هبة الله ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف و المختلف في الأسماء و الكنى و الأنساب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م/١٤١١هـ، ج٥، ص٢١٤.

(٤)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٨.

(٥)- غرس النعمة (محمد بن هلال ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م)، الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشتر، دمشق، مجمع اللغة العربية، ط١، ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ، ص١٤.

(٦)- غرس النعمة، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٤١، ٢٧١، ٢٩٥.

يقول عنه (كان ذا فضائل جمة و تآليف نافعة)[1]، أما الصفدي فيقول (من بيت مشهور بالرياسة و الفضل و التقدم و الوجاهة و الكتابة و البلاغة)[2]، أما ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م فوصفه بقوله (كان غرس النعمة هذا فاضلاً أديباً مترسلاً و له صدقة و معروف محترماً عند الخلفاء و الملوك و الوزراء)[3]، إضافة إلى أخذه العلم عن والده فقد ورث عنه أموالاً كثيرة و أملاكاً على نهر عيسى[4]، فلم يحتج إلى أحدٍ من الحكام أو غيرهم بل كان بطبعه معطاءً مكثراً من العطاء في وجوه الخير[5]، فقد وقف داراً أنشأها بالجانب الغربي من بغداد بحسب رواية ابن الجوزي جاعلاً إياها خزانة للكتب و ناقلاً إليها نحو ألف كتاب[6] وافقه على قوله الصفدي حيث قال (وقف فيها نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلوم)[7]، لكن ابن كثير زاد في عدد الكتب جاعلاً إياها أربعة آلاف مجلد[8]. مهما يكن عدد كتب هذه الدار فإنه أوقفها بعد أن احترقت الدار التي أوقفها الوزير سابور بن اردشير[9] بين السورين[10]، و نهب أكثر ما فيها فبعثه خوفه على ذهاب العلم بأن قام بوقف دارٍ جديدة[11].

---

(١)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٦، ص١٠١.

(٢)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٨، ١٦٩.

(٣)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص١٢٤.

(٤)- نهر عيسى بن علي: يحمل من الفرات و يمر جارياً يسقي على جانبيه قرى و ضياع حتى إذا انتهى إلى المحوّل تفرع منه الأنهار التي كانت تخترق مدينة السلام ثم يمر إلى قرية الياسرية و عليه هناك قنطرة ثم يمر بالروعية و يمر بأماكن أخرى لينتهي في دجلة أسفل قصر عيسى؛ الخطيب ابغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١١١.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٢٧٠.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص٦١.

(٧)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٩.

(٨)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١١٠.

(٩)- سابور بن اردشير: وزر لبهاء الدولة أبي النصر بن عضد الدولة ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م ثلاث مرات كان كاتباً جيداً، عفيفاً عن الأموال، كثير الخير،ابتاع داراً بين السورين في سنة ٣٨١هـ/٩٩١م و حمل إليها كتب العلم من كل فن و سماها دار العلم، وجد فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، بقيت سبعين سنة و احترقت عند دخول طغرلبك ت ٤٥٥هـ/١٠٦٢م بغداد سنة ٤٥٠هـ /١٠٥٨م، توفي في بغداد سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م و قد تجاوز السبعين؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص١٧٠.

(١٠)- بين السورين: تثنية سور المدينة، اسم محلة كبيرة، كانت بكرخ بغداد من أحسن محالها و أعمرها و بها كانت خزانة كتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير ت ٤١٦هـ/١٠٢٥م، وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١، ص٥٣٤.

(١١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٦١.

نقل كلٌ من الصفدي و ابن الجوزي رواية على لسان هبة الله بن المبارك السقطي ت ٥٠٩هـ/١١١٥م(١) مفادها بأن غرس النعمة محمد ابتنى داراً و رتب فيها خازناً، و تردد العلماء إليها سنين كثيرة، ثم صرف الخازن و حكّ ذكر الوقف من الكتب و بيعت الكتب فأُنكر ذلك لعدم جواز بيع ما هو موقوف، لكن الخازن المناط بها علل عمله ذلك بأنه قد استغني عنها بدار الكتب النظامية و أنه أنفق الأموال في أعمال الخير وتصدق بها على الفقراء(٢)، بالتالي فإن الدار كانت مكاناً لتجمع العلماء و الدارسين تباحثوا فيها في أمور شتى أغنت الحركة العلمية في ذلك الزمان(٣)، توفي غرس النعمة محمد سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م عن عمر يناهز أربعة و ستين عاماً(٤).

ترك ثروة تقدر بسبعين ألف دينار(٥)، غير أن ابن الجوزي في موضع آخر يقول (أنفق مقتصداً في النفقة وعمّر الأملاك و لم يطلع أحد من أولاده على حاله و ظن أولاده أن تركته تقارب الألف دينار، فوجدوا له تذكرة تشتمل على دفائن في داره فحفروها فكانت (١٢) ألف دينار و كان ما خلفه من القماش و غيره لا يبغ خمسين ديناراً و أنفق أولاده التركة في أسرع الزمان)(٦).

مهما كان مقدار ثروته فإنه كان من المؤرخين المهمين الذين عملوا بالتاريخ و ذيلوا على الطبري و اشتغاله بالتاريخ لم يكن بطلب من أحد و إنما بدافع من حب المعرفة و عشق علم التاريخ.

٢ً- شيوخه:

لم تذكر كتب التاريخ سوى ثلاثة شيوخ لغرس النعمة محمد، و هم والده هلال الذي كان له دور بارز في صقل مواهبه، و لقد تم الإشارة إلى هلال بشكل مفصل في الصفحات السابقة لذا ليس هناك من داعٍ لإعادة الحديث عنه أما شيخه الثاني فهو:

---

(١)- السقطي: هبة الله بن مبارك بن موسى البغدادي السقطي، ولد في بغداد سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م سمع من أبي بكر الخطيب و غيره، رحل إلى أصبهان، الكوفة، البصرة ، و الموصل، و بالغ في بحثه عن الشيوخ حتى كتب عمن هو دونه، من كتبه المعجم، توفي سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٢٨٢.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٦٩.

(٣)- عواد (كوركيس)، حزائن الكتب القديمة في العراق، بيروت، دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٣٧-٢٣٩.

(٤)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٣١٨؛ البغدادي، هدية العارفين، مرجع متقدم، ج٥، ص٧٥؛ كحالة (عمر رضا)، معجم المؤلفين، مرجع متقدم، ج١٢، ص٩٣؛ زكار (سهيل)، التاريخ عند العرب نشأته و تطوره، دمشق، دار الفكر، (د، ت)، ص٢٢٦.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصد متقدم، ج٥، ص١٦٩.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٧٠.

أبو علي بن شاذان (٣٣٩-٤٢٦هـ/٩٥٠-١٠٣٤م):

ولد الحسن بن أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران أبو علي البزاز سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م في بغداد[١]، سمع من شيوخ بغداد و وصفه الخطيب البغدادي بقوله (كتبنا عنه و كان صدوقاً صحيح الكتاب، و كان يفهم الكلام، و كان مشتهراً بشرب النبيذ إلى أن تركه بأخره)[٢]، كان ثقة، توفي سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م[٣]، و دفن في مقبرة باب الدير[٤].

الحسن بن محمد بن الخلال (٣٥٢-٤٣٩هـ/٩٦٣-١٠٤٧م):

ولد الحسن بن محمد بن الحسن بن علي أبو محمد الخلال البغدادي سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م[٥]، سمع طائفة من شيوخ بغداد، تحدث عنه الخطيب البغدادي بقوله (كتبنا عنه و كان ثقة له معرفة و تنبيه و خرّج المسند على الصحيحين و جمع أبواباً و تراجم كثيرة)[٦]، توفي سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م بعد أن بلغ عمره سبعاً و ثمانين عاماً[٧]، و لقد حضر الصلاة عليه الخطيب البغدادي و دفن في مقبرة باب حرب[٨].

هؤلاء كانوا شيوخ غرس النعمة محمد الذين يعود الفضل إليهم في تزويده بالعلم و المعارف بينما هناك شيوخ آخرون و لكن لم تحفظ كتب التاريخ أسماءهم، كما أنه لم تحتفظ بأسماء تلامذته الذين تزودوا من علومه، لأسباب لم تعرف، و لكنهم بكل تأكيد وجدوا و استمدوا من ثقافته الواسعة الشيء الكثير.

٣- مؤلفاته:

صنف غرس النعمة العديد من المؤلفات بشهادة ابن خلكان الذي وصفه بقوله (كان ذا فضائل جمة و تآليف نافعة)[٩].

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٢٥٠.

(٢)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٧، ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٣)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٥، ص٦٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٨٤.

(٤)- في نواح الكرخ من مدينة بغداد تحوي قبر معروف الكرخي؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١٢٢.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٥، ص٣٠٩.

(٦)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٧، ص٤٢٥.

(٧)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٣، ص١٩١؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص١٧٨.

(٨)- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج٧، ص٤٢٥.

(٩)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٦، ص١٠١.

و لكن لا تذكر الكتب سوى ثلاثة مؤلفات له[١]، و هي :

١- كتاب الربيع:

ذيله على كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، ذكره الصفدي بقوله (كتاب الربيع سلك فيه مسلك نشوار المحاضرة)[٢]، كما ذكره ياقوت الحموي في ترجمة التنوخي حيث قال (صنف أبو علي الحسن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة أولها سنة ٣٦٠هـ و ذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب الربيع ابتدأه في سنة ٤٦٨هـ)[٣]، كما ذكره كل من شاكر مصطفى و الزركلي ضمن كتب غرس النعمة محمد[٤]، بالتالي فالكتاب بما أنه ذيل على نشوار المحاضرة فهو مثله مليء بالحكايات المستظرفة و أخبار فئات و طوائف مختلفة في مجتمعه. الكتاب بحكم المفقود و لكن قام الأستاذ إحسان عباس بجمع شذرات متفرقة منه في الكتب و التي صرح كاتبوها بأنها منقولة من كتاب الربيع و وصفها في كتابه شذرات من كتب مفقودة في التاريخ[٥].

من خلال مطالعة ما أورده إحسان عباس في كتابه من أخبار في كتاب الربيع يلاحظ بأن معظم مروياته سمعها من والده هلال إضافة إلى صابئي مندائي يكنى بأبي سعد[٦]، كما أن معظم الأخبار تدور حول القاضي التنوخي حيث يفهم من كثرة المرويات عنه بأنه معجب به أشدّ إعجابٍ[٧]، إضافة إلى تضمين كتابه نسخة كتاب ورد من ابن بطلان ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م[٨]، إلى والده هلال يصف فيه

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٦٨؛ كاراده فو، دائرة المعارف الإسلامية، مرجع متقدم، ج١٤، ص٨٨.

(٢)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٨.

(٣)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٥١.

(٤)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي و المؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٠٢؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٧، ص١٣٢.

(٥)- عباس (إحسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، بيروت، دار الغرب اللبناني، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٢٩-٣٥٠.

(٦)- لم يذكر أبي سعد الماندائي سوى في رواية التي رواها عنه غرس النعمة محمد في كتاب الربيع و لم يترجم له شخص أخر؛ عباس (إحسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع نفسه، ص٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٧.

(٧)- عباس (إحسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع نفسه، ص٣٣٩، ٣٣٢.

(٨)- ابن بطلان: المختار بن الحسن بن عبدون الطبيب البغدادي، نصراني من أهل بغداد قرأ على علماء زمانه من نصارى الكرخ، ارتزق بصنعة الطب و خرج من بغداد إلى الجزيرة و الموصل و ديار بكر و دخل حلب و أقام بها مدة، ثم غادرها إلى مصر و أقام بها مدة قريبة، مغادراً إيّاها إلى أنطاكية مقيماً فيها معتزلاً في بعض الأديرة و منقطعاً للعبادة توفي فيها سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م؛ القفطي،أخبار العلماء بأخبارالحكماء، مصدر متقدم، ج٢٩٤.

رحلته بعد خروجه من بغداد[١]، لهذه المعلومات أهمية كبيرة و معظمها عثر عليه متفرقاً في بغية الطلب و معجم البلدان و تاريخ الحكماء[٢].

لم يسلك غرس النعمة محمد مسلكاً ثابتاً في كتابه، إنما قام بذكر قصص متفرقة لشخصيات مختلفة من غير مراعاة لترتيبٍ زمني أو ألفبائي و بأسلوب سردي سلس و عبارات سهلة واضحة.

٢- كتاب الهفوات النادرة و ربما البادرة من المغفلين الملحوظين و السقطات الباردة من المغفلين المحظوظين ذكره ابن خلكان بهذا الاسم و قال عنه (جمع فيه كثيراً من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب)[٣]، و لكن الصفدي إختصر الاسم إلى الهفوات النادرة فقط[٤]، كما أن الكتاب ورد اسمه في البحوث الحديثة بالهفوات النادرة[٥]، اعتمد صالح الأشتر في تحقيقه على نسخة مخطوطة لأحمد عزة قويون أوغلي تاريخ كتابتها يعود لسنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، عدد أوراقها ١٦٥ ورقة في كل ورقة ١٥ سطراً و الخط نسخي واضح قديم و كثير من الكلمات مشكولة و مكتوبة بمداد أسود على ورق سميك أبيض[٦].

من اسم الكتاب يستنتج بأنه جامع للهفوات الصادرة عن الأذكياء سهواً عنهم أو عن المغفلين أو عن الغافلين، يتضمن الكتاب قصصاً قصيرة بلغ عددها خمساً و أربعمائة قصة متفرقة لشخصيات مختلفة عاشت في الدولة العباسية منذ تأسيسها و حتى زمانه ابتدأها بهفوة صدرت عنه[٧]، ليتابع حديثه عن باقي الهفوات الأخرى بعضها صادر عن وزراء و كتّاب و رجال دولة[٨]، و بعضها الآخر نقله من كتب سابقة[٩] و الآخر سمعه من والده هلال[١٠]، و الآخر يخص مجالس الغناء و المغنين و الجواري[١١]،داخلت هذه الهفوات الكثير

---

(١)- عباس (إحسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع متقدم، ص٣٤٢-٣٤٨.

(٢)- ابن العديم(عمر بن أحمد ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٢٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١، ص٣٨٢/ ج٢، ص٣٠٦، ٦٧٢؛ القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مصدر متقدم، ص٢٦٠.

(٣)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٦، ص١٠١.

(٤)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٩.

(٥)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي و المؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٠٢.

(٦)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر متقدم، مقدمة التحقيق، ص٤٣/٤٤.

(٧)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٥.

(٨)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٦، ٥٧، ٦٥.

(٩)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٨٣، ٢٠٩، ٢٢٢، ٣١٦.

(١٠)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٥٧، ١٢٩، ٢١٩، ٣٠٣.

(١١)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٢٠، ٤٥، ١٢٤، ٣٣٧.

من الهفوات الشعرية(١)، وفق أسلوب نثري راقٍ، خلا باستثناء المقدمة و العنوان من الألفاظ البديعية(٢)، كما خلا من خاتمة للكتاب و الخاتمة التي وجدت فيه تعود للناسخ حيث قال (و لواهب العقل الحمد دائماً كما هو أهله و مستحقه و صلواته على سيدنا و مولانا محمد النبي و سلامه، و وافق الفراغ من تعليقه يوم الأحد ثامن عشر من شوال سنة سبع و أربعين و ستمائة)(٣)، لم ينس المؤرخ ذكر مصدر معلوماته إلا ما ندر مبتدئاً هفواته بقوله (حدثني الوزير، حكى فلان، رويّ أن، ذكر أن...)(٤).

لكن يا ترى ما هو السبب الذي دفع غرس النعمة لتأليف كتابه هذا و جمع أخباره من أفواه الناس و من مطالعة للكتب السابقة، هل الرغبة في تسلية القراء و الكتابة في موضوع جديد بعيد عن السياسة؟ أم الرغبة في دخول مجال آداب المسامرة و اقتفاء خطا كل من التنوخي و الصولي؟ أم الرغبة منه في رصد خفايا المجتمع و مجالسه و تصرفات العامة و رجال الحكم على حد سواء؟ أم كان لشخص معين السبب في دفعه لخوض هذا المجال؟!.

لكنه يوضح سبب تأليفه بقوله (و كنت جاريتني من الهفوات الجارية على ألسن المتحفظين المتحرزين و السقطات الآتية من الفاريّن الغافلين، و ما أشبه ذلك من القالات و طريف الاتفاقات طرفاً استطرفناه و حديثاً استغربناه، و اتفق أن لحقني منه ما صدّق العجب و الاستطراف و نالني فيه من الخجل و الحياء ما بلغ الإفراط و الإسراف فعملت على جمع ما ندر من ذلك و إن كان قليلاً معلوماً و ضمّ ما تفرق منه و إن كان علماً مأموماً، و أضفت إليه قطعة من أخبار المغفلين المحظوظين و الجهال المرزوقين فإنها جارية في أسلوبه و شبيهة بمقصوده إحماضاً لقارئه و تنبيهاً له على قدر نعمة الله تعالى عنده و فيه)(٥). يفهم من القول السالف بأن صديقاً له جاراه في ذكر الهفوات فأراد أن يسبقه بذكرها فعمل على تأليف الكتاب الذي أضاف إليه كل ما استظرفه و وجده عجيباً رغبة منه في تنبيه القارئ إلى النعمة الكبيرة التي أنعم الله بها عليه ألا و هي العقل.

بالتالي فهو مؤلف هام تبرز أهميته بأنه يحوي مجموعة من الأخبار و الحكايات التي تروي صوراً من وقائع مشاهدة الحياة في العصر العباسي و تساعد على رصد جوانب كثيرة من تلك الحياة و خاصة الجانب الاجتماعي و العمراني(٦)، و رصده أيضاً للحياة السياسية من خلال مرويات متفرقة عن الخلفاء و وزرائهم(٧)،

---

(١)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٢٩، ١١٠، ١٩٤.

(٢)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٣-٤.

(٣)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٤٠٢.

(٤)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٧٠٦، ٣٠، ٤٠.

(٥)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٤.

(٦)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٢٤، ١٢٩، ١١٧.

(٧)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٠٨، ١١٠، ١٤٠، ٢٧٦.

إضافة إلى وصفه لمجالس طربهم و خدمهم و مغنيهم[١]، و لأهمية الجواري في مجالسهم و تسابقهم لاقتناء الحسان منهم[٢].

تبرز أهميته أيضاً بأنه انفرد بنقل قصصٍ و حكاياتٍ وجدت في كتب مفقودة بالتالي حفظ شذرات من هذه الكتب من الضياع[٣]، كما أنه ذكر مرويات سمعها بنفسه و لم يتطرق لها أحد غيره[٤]، كما ذكر الكثير من الأبيات الشعرية التي زادت من أهمية كتابه الذي يعتبر سجلاً للحياة الاجتماعية التي عاشتها بغداد في العصر العباسي رصد حالها و حال ساكنيها بأسلوب أدبي ساخر بسيط.

٣- كتاب التاريخ أو المسمى عيون التواريخ[٥]:

ذكره ابن خلكان بقوله (التاريخ الكبير المشهور)[٦]، بينما ذكره ابن تغري بردي بقوله (عيون التواريخ ذيله على تاريخ أبيه و أبوه ذيله على تاريخ ثابت بن سنان و ثابت ذيل على تاريخ محمد بن جرير الطبري)[٧]، بينما وصفه القفطي بقوله (ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال و هو كتاب حسن إلى بعد سنة ٤٧٠هـ بقليل و قصر في آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم)[٨]، وجدت عبارة منقولة لدى كل من ابن الجوزي و الصفدي تتهم غرس النعمة محمد بأنه كان يجازف في تاريخه و يذكر ما ليس بصحيح[٩].

و لكن يعود ابن الجوزي و يكذّب العبارة عندما يروي خبراً مفاده أنه بموت غرس النعمة لم يعد هناك من مؤرخ في بغداد لسعة ثقافته و علومه و بشكل خاص في مجال التأريخ[١٠]. بالتالي مهما كانت المسميات و رأي المؤرخين فإن الكتاب لم يصل بشكل مباشر إنما عثر عليه ضمن ثنايا مرآة الزمان، إضافة إلى شذرات متفرقة

---

(١)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٤، ٧٤، ١٢٤.

(٢)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٣٠، ٢٤، ٤٥.

(٣)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٧٥، ٢٩٤.

(٤)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٥١، ١٨٣، ٣٨٨.

(٥)- ضاع الكتاب و لم يحفظ إلا ضمن مخطوطة مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي حيث صرح في أحداث سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م بأن كتاباته كلها عبارة عن نقول من كتاب عيون التواريخ لغرس النعمة محمد حتى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، فقامت د.سميحة أبو الفضل مشكورة بتحقيق كتاب عيون التواريخ، بالإعتماد على مرآة الزمان كرسالة نالت بها درجة الماجستير بإشراف أ.د سهيل زكار، جامعة دمشق، سنة ١٩٨٧م/١٤٠٨هـ.

(٦)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٦، ص١٠١.

(٧)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص١٢٤.

(٨)- القفطي، أخبار العلماء بأحبار الحكماء، مصدر متقدم، ص٧٧.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٥، ص١٦٩.

(١٠)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧٦.

في بغية الطلب حيث صرح بأنه قرأ تاريخ غرس النعمة محمد أي كانت لديه نسخة منه[١].

وقد قامت سميحة أبو الفضل بتحقيق الكتاب بالإعتماد على مخطوطتين الأولى مخطوطة استانبول رقم (٢٩١٧ب) و الثانية مخطوطة باريس رقم (١٥٠٦)، مكتوبتين بخط نسخي واضح، لكن معظم مادة التحقيق تم الاعتماد فيها على مخطوطة استانبول[٢]، تبرز أهمية كتاب التاريخ لغرس النعمة بالإضافة لكونه تاريخاً حولياً مرتباً على أساس السنين أكمل عمل والده و أجداده من آل الصابئ[٣].

يتناول الكتاب أحداث سنوات من ٤٤٨هـ/١٠٥٦م إلى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٤]، وفق أسلوب حولي مرتب بعناية فهو لم يكتف بذكر تواريخ السنوات فقط إنما اقتفى خطا والده بالتأريخ بالشهر و اليوم فهو يقول في مقدمة أخباره (في أول سنة كذا، في محرم، و في ربيع الآخر، في هذا الوقت)[٥].

يتناول كتابه هذه السنوات بكل ما تضمنه من أحداث سياسية تدور حول استلام السلاجقة للسلطة في بغداد بعد إبعادهم لآل بويه إضافة إلى صراعات السلاجقة سواء أكانت الداخلية بين بعضهم البعض[٦]، أو مع عناصر خارجية متمثلة بالروم و دويلات قريبة منهم[٧]، مع الإشارة إلى زحف الغز إلى بلاد الشام و أعمالهم هناك[٨]، فهو بالتالي لم يكن تاريخاً حولياً لبغداد إنما اتسع ليشمل أحداث منطقة الجزيرة العليا و بلاد الشام و مصر، بشكل مختصر و عبارات أدت الغرض منها[٩]، داخلتها تراجم لكثير من الشخصيات التي توفيت في بغداد و الشام في تلك الحقبة[١٠]، كما أنه نثر فيها أشعاراً متفرقة أغنت كتابه و زادت من أهميته[١١]، كل ذلك بلغة عربية سهلة الفهم بعيدة عن التكلف و بأسلوب سلس ذكر فيه مصادر معلوماته في معظمها

---

(١)- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، مصدر متقدم، ج٢، ص٨٨٤، ٨٨٥، ٨٩٠، ٩٠٩.

(٢)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، مقدمة التحقيق، ص٢٦/٢٧.

(٣)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص١١٠؛ القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر متقدم، ص٧٧/ لويس برنارد، مؤرخو العرب و الإسلام حتى العصر الحديث، مرجع متقدم، ص١٠٢.

(٤)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص٣٤-٤١٨.

(٥)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤٩.

(٦)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص١٣١، ١٤٠، ١١٩، ٣١٥.

(٧)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٢٥٥، ٢٥٨، ٢٨٢، ٢٤٤، ٢٣٥.

(٨)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٢٥٦، ٢٦٣-٢٧٢.

(٩)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص١٩٩، ٢٢٣، ٢٣٩، ٣٦٥.

(١٠)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٤٩، ٥١، ١٧٢، ٩٩.

(١١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٧٤-٧٨، ١٣٥.

كقوله (سألت فلان، وقفت على، حدثني، قال لي، حكى....)[١]، ليختمه بأحداث سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٢]، طبعاً من غير أن توجد كلمة ختام تتبع للمؤلف إنما قام سبط ابن الجوزي ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بإكماله بأحداث سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م و ختمها بترجمة لغرس النعمة محمد الذي توفي في هذا العام[٣].

صرح غرس النعمة في كتابه السابق عن سبب تأليفه لمؤلفه هذا حيث قال: (فكان والدي أوصى إليّ لما أحس بقدوم الوفاة و يئس من أيام الحياة، و لمعت له لوامع المنية و قرعت سمعه قوارع البلية، رغبة في زيادة الذكر و نمائه و انتشاره و بقائه بصلة كتاب التاريخ الذي ألفه إلى آخر سنة سبع و أربعين و أربعمائة تأليفاً يعجز عنه من يروم مثله و يفتضح فيه من يتعاطى فضله، إذ هو السحر الحلال و العذب الزلال، و الصادر عن أوحد دهره و مزيد عصره، هو شرع فيه و قد أتت عليه سنة جرب فيها الأمور و مارسها و خبرها و لابسها و أنا عار من جميع صفاته و خالٍ من سائر سماته لكن قوله مستمع و مرسومه متبع و أمره مطاع و رأيه غير مضاع)[٤]، فهو إذاً ألفه بناءً على وصية والده في إكمال عمله و بما أن أمره مطاع فشرع في تأليفه على الرغم من إمكانياته البسيطة على حد قوله، لكن ظهر للوجود كتاب هام تبرز أهميته بالإضافة لكونه تاريخ حولي مرتب على أساس السنين أكمل فيه عمل والده و أجداده من آل الصابئ، إلا أنه كان عبارة عن يوميات دقيقة و ذكية عن أحداث بغداد السياسية[٥]، ضمنها ذخيرة من المعلومات الكثيرة التي لا نظير لها في أي مكان أخر فيما يتعلق بالعالم الإسلامي من مصر إلى خراسان مروراً أحياناً عبر أسيا الصغرى[٦]، و هذه المعلومات معتمدة على خبرة المؤلف الشخصية و على روايات أشخاص من معارفه و على وثائق اطّلع عليها[٧]. كما أن أهميته تبرز في رصده للحياة الاجتماعية في بغداد واصفاً إياها بدقة من خلال حديثه عن مراسيم زواج السلطان طغرلبك و الخليفة القائم بأمر الله [٨]، و مراسيم استقبال السلطان لزائريه و مجلس الخليفة و مراسم الدخول إليه[٩]، مع رصده للفتن التي قامت بين الشيعة و السنة و الصراعات التي قامت بين

---

(١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٦٩، ١١٤، ٢١٠، ٢٢٧، ٣٤٣.

(٢)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٤١٨.

(٣)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٤١٩-٤٢٣.

(٤)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٥٤.

(٥)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص١٣١، ٢٨٣، ٤١١.

(٦)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص١٩٩، ٢١٦، ٢٤٣، ٣٦٥، ٢٨٢.

(٧)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٥٦، ١٥٨، ١٦٩، ١٦٣.

(٨)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٣٥، ٣٦، ١٥٣-١٥٧، ٤٢٠.

(٩)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٤٣، ٧٠-٧١.

الحنابلة و الشافعية[١]، مع الإشارة إلى الطاعون الذي أصاب الناس و في أي سنة انتشر، إضافة إلى الحرائق التي تعرضت لها و ما ألحقته من أضرار فيها[٢].

كما أنه رصد الوضع الاقتصادي من دمار لحق بالعراق و الشام نتيجة الاجتياح الغزي الذي أدى إلى غلاء الأسعار و قحط و مجاعات[٣]، و لكن لم يرصد غلاء الأسعار فقط، و إنما أشار إلى رخصها في بعض السنوات[٤]، و في سنوات أخرى أشار إلى الأمراض التي اجتاحت الحيوانات و سببت غلاء أسعار اللحوم[٥].

كما أنه باعتباره إنساناً كباقي البشر يلفت انتباهه كل ما هو خارج عن المألوف هذا الأمر دفعه إلى رصد الظواهر الطبيعية من مراقبة حركة الكواكب[٦]، إلى فيضان نهر دجلة[٧]، إضافة إلى أسراب الجراد الأسود التي كانت تجتاح المنطقة[٨]، و أخيراً و ليس آخراً حركة الزلازل التي لم تصب فقط العراق بل خراسان و بلاد الشام[٩]، و مما ميز تاريخه أيضاً حديثه عن الحركة العلمية التي تطورت في عصره متمثلة ببناء المدارس التي أشرفت عليها الدولة، إضافة إلى متابعته لأخبار المدرسة النظامية من بنائها و تطورها و الشخصيات التي درّست فيها حتى وفاته[١٠].

و لم ينسَ الإشارة في أخباره إلى المرأة العباسية، فأشار إلى مكانتها و دورها السياسي[١١]، مترجماً للعديد من الواعظات و الزاهدات في تراجمه[١٢]، التي لم تقتصر عليهم بل ضمت السياسي و الفقيه و القاضي والشاعر[١٣]، أما فيما يتعلق بمنهجه في التدوين التاريخي، فقد تباينت ما بين أسلوب سردي عفوي غير مراعٍ فيه لترتيب زمني أو ألفبائي إنما جاءت أخباره و مروياته متفرقة بشكل عفوي و متنوعة لشخصيات مختلفة

---

(١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص٤٩، ٥٩، ٢٧٥، ٣٤١.

(٢)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٦٤، ٣١٤، ٤٠٣.

(٣)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٣٧، ٣٨.

(٤)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص١٤٠، ٣٨٦.

(٥)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٢٧٥.

(٦)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٤٣، ٢١٥.

(٧)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٦٤، ١٦٦.

(٨)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٦٨.

(٩)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص١٠٨، ٢١٦، ٢٢٦.

(١٠)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٧، ٤١٥.

(١١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٦٢، ١٠٦.

(١٢)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٢٣١-٣٠٨.

(١٣)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص١٥، ٤٩، ١١٩، ١٧٦.

ومتباينة في مكانتها الاجتماعية و مستوى ثقافتها[١]، و بين أسلوب حولي راعى فيه الترتيب الزمني للحوادث التي انسابت بشكل عفوي وفق تاريخ وقوعها ليس بالسنة فقط إنما بالشهر و اليوم أيضاً[٢].

جاءت عباراته سهلة نثرية أدبية تخللها الكثير من الأبيات الشعرية و بعض الألفاظ البديعية[٣]، بينما جاءت في كتاب آخر واضحة سلسة بلغة عربية فصحى قريبة للفهم من غير حشو و لا تطويل[٤].

اختلفت أخباره طولاً و قصراً فبعضها يطول لعشر صفحات[٥]، و البعض الآخر لا يكاد يتجاوز السطرين[٦].

كان ناقلاً عن غيره في معظم كتبه، ففي كتابيه الربيع و الهفوات النادرة صرح بأخذه عن مصادر و كتب كثيرة[٧]، أما في كتابه عيون التواريخ نقل عن كتب كثيرة[٨]، لكن حوى كتابه الكثير من مشاهداته و الأخبار التي عاصرها بنفسه[٩]، و لكن ما يؤخذ عليه هو أنه لم يبدِ رأيه في الكتابات التي دونها في كتبه و لم ينقد مروياته، إنما نقل فقط.

أما فيما يتعلق بتراجمه فلم يتبع فيها أسلوباً معيناً،إنما فرقها ضمن أحداث السنة مراعياً القدم في الوفيات و تباينت ما بين شخصيات سياسية و شعراء و قضاة و تراجم لنساء و فقهاء[١٠]، متناولاً في الترجمة، اسم صاحب الترجمة، مولده، وفاته، شيئاً من صفاته، مؤلفاته و أخيراً مكان دفنه، و تباينت أيضاً التراجم في الطول فبعضها تجاوز العشر صفحات[١١]، و أخرى لم تتجاوز الأسطر[١٢]، لابد من الإشارة بأن معظم التراجم كانت إضافات من سبط ابن الجوزي.

و لا بد من الإشارة بأن الحديث عن التراجم اقتصر على كتابه عيون التواريخ، أما الكتب الأخرى فكانت ذات موضوع نثري سمري، فحوت هفوات و قصصاً و طرائف من غير التطرق للتراجم طبعاً بحسب عنوان الكتابين و هما الربيع و الهفوات النادرة مما يدعم القول السالف الذكر بأن التراجم إضافة من سبط ابن الجوزي.

---

(١)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر متقدم، ص١١٤، ٢٢٤، ٢٣٨.

(٢)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص٦٨، ٢٠٨.

(٣)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر متقدم، ص١١٠، ١٩٤، ٢٩٠.

(٤)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص٣٨١، ٣٨٥، ٤٠٠.

(٥)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر متقدم، ص٢٨٣، ٢٩٢، ١٧٦، ١٨٢.

(٦)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٦٤، ١٤٧، ٢١١، ٢٢٤.

(٧)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص٧٩، ٢٩٢، ١٨٥.

(٨)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٥٨، ٢٩٤.

(٩)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٣٨٤، ٦٧، ١٤٨.

(١٠)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٣٦٢، ٧٤، ١١٩، ٣٠٨.

(١١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٧٢-٩٨.

(١٢)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٢٠٣.

أما موارده التي اعتمد عليها فتمت الإشارة إليها بشكل مختصر و لكن لا بد من التفصيل فيها فثقافة غرس النعمة محمد هي ثقافة عصره بالتالي فإن موارده اعتمدت في البداية على المرويات الشفهية التي ابتعدت قليلاً عن الإكثار من سلاسل الإسناد ليكتفي بذكر اسمين أو أكثر مبتدئة بعبارات مثل (روى، ذكر، أنشد، ورد الخبر، قال)[١]، كما أنها اعتمدت على كتب المؤرخين الذين سبقوه و على كتب والده هلال الصابئ

فقد كان مكثراً من المصادر التي صرّح بذكر اسمائها أحياناً و في أحيانٍ أخرى ذكر اسم مؤلفها فقط[٢]، و في بعض الحالات كان يكتفي بقوله (قال والدي)[٣].

أما الموارد المهمة التي استعان بها في كتاباته و التي تعد من الأهمية بمكان لأنها صادرة عن مؤرخ معاصر للأحداث راوٍ لها بعين متفحصة، صادقة، فهي مشاهداته و الأخبار التي سمعها بنفسه فقد كان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي رواها في كتبه[٤]، كما أنه كان مدوناً لكثير من الوثائق التي اطّلع عليها بحكم عمله في ديوان الإنشاء و عمل والده فيه من قبله، الأمر الذي أتاح له أن يضمّن كتبه وثائق كثيرة لمراسلات أو كتب عزاءٍ و رسائل متبادلة و خاصة المراسلات بين أجزاء الدولة[٥].

مع نهاية الحديث عن غرس النعمة محمد ينتهي الحديث عن رواد التأريخ الحولي في العراق في العصر السلجوقي و هم آل الصابئ الذين دونوا تاريخاً حولياً مذيلين به على تاريخ الطبري و متبعين أسلوبه بمراعاة تسلسل السنين و الأشهر و الأيام، و لكن هذا لا يعني بأن التأريخ الحولي كان حكراً عليهم إنما وجد مؤرخون كثر دونوا كتاباتهم وفقاً للأسلوب ذاته و لكن مجال الدراسة لا يتسع لهم جميعهم، لذا تم الاكتفاء بهذا القدر.

---

(١)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص٣١٣-٢٩٧؛ الهفوات النادرة، مصدر متقدم، ص١٦، ٤٤؛ عباس (إحسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع متقدم، ص٣٣١.

(٢)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر متقدم، ص٧، ٧٩، ٢٨٠؛ عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٤٤، ١٦٣.

(٣)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر متقدم، ص١٤، ١٢٩، ١٨٥.

(٤)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر نفسه، ص١٧٥، ٢٩٤، ١٥٨؛ عيون التواريخ، مصدر متقدم، ص١٥٦.

(٥)- غرس النعمة محمد، عيون التواريخ، مصدر نفسه، ص٦٣، ١٢١، ١٢٩، ٢٨٠.

ثالثاً: تأريخ حولي وتراجم: عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ أو ٥١٠هـ-٥٩٧هـ)/(١١١٤ أو ١١١٦-١٢٠٠م)

تميزت الكتابات التأريخية في العراق في العصر السلجوقي بتنوعها فبالإضافة إلى تأريخ المدن و الحوليات، ظهر تأريخ حولي مرتب وصف بأنه عالمي شامل لابتدائه بالخليقة و انتهائه بوفاة كاتبه مع تميزه بميزة هامة، و هي ترتيب تراجمه وفق نظام خاص، حيث احتلت حيزاً في آخر كل سنة مع ورود التراجم مرتبة ألفبائياً و خير مثال على ذلك منهج ابن الجوزي في كتابه المنتظم. لكن في البداية لا بد من ذكر نبذة عن هذا المؤرخ الذي شغلت أعماله اهتمام المؤرخين قديماً و الباحثين حديثاً.

١- حياته:

عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمّاديّ بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله (ص) أبي بكر الصديق القرشي(١). تمت الإطالة في نسبه للإشارة إلى اتصاله بالنسب مع خليفة رسول الله (ص) أبي بكر الصديق.

ولد في بغداد إما سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م أو سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، حيث جعلت معظم المصادر تاريخ الولادة بين هذين العامين أو في أحدهما(٢). و لكن نقل ابن الدمياطي ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م عن خط ابن الجوزي قوله: (لا أحقق مولدي غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة، و قالت الوالدة كان لك من العمر نحو ثلاث سنين)(٣) بالتالي الأرجح أن تكون الولادة سنة ٥١٠هـ/١١١٦م و مما يفسر عدم الدقة في تاريخ الولادة قلة الاهتمام بها بالنسبة للأشخاص الذين برزوا مع تتالي السنوات و الحقب و اشتهروا ليعرفوا على المستوى الثقافي و السياسي و يتم الاهتمام بتاريخ وفاتهم فيما بعد نتيجة للأعمال التي أعطتهم الأهمية الكبيرة.

أطلق على المؤرخ ألقاباً كثيرة فكان يلقب بالبغدادي و التيمي و البكري و القرشي(٤)، لقب بلقب واحدٍ و أحياناً جمع بين الألقاب، و كان يكنى كذلك بأبي الفرج(٥). أما نسبة الجوزي التي عرف بها فقد اختلف المؤرخون في

(١)- الذهبي(محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٣٤٢؛ اليماني(يحيى بن أبي بكر بن محمد ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م): غربال الزمان في وفيات الأعيان، تحقيق محمد ناجي زعبي العمر، دمشق، دار زايد بن ثابت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٤٨٣.

(٢)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢١، ص٣٦٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٨٦؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر متقدم، ص٤٧٧.

(٣)- ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٩، ص١٥٥.

(٤)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤٠؛ اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، ص٤٨٩.

(٥)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٧٠٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٦، ص١٥٧.

عائدية هذه النسبة فقيل أنها نسبة إلى فرضه نهر بالبصرة[١]، أو إلى محلة بالبصرة تدعى محلة الجوزي[٢]. أو أن جدّ هذه الأسرة عرف بهذه النسبة لسكناه في دار بواسط. فيها جوزة لم يكن بواسط سواها[٣]، أو إلى فرضة الجوز و هي إحدى محال بغداد[٤] و الله أعلم!.

كانت أسرته من تجار النحاس لذلك كان يدعى أحياناً بـ عبد الرحمن بن علي الصفار[٥] و ذكر بأن والده كان يعمل الصفر[٦]، بنهر القلائين[٧]، لكن والده توفي و اختلفت المصادر فيمن تولى رعايته فيذكر ابن الدمياطي بأنه عمه رعاه و حمله إلى الحافظ أبي الفضل بن ناصرت٥٥٠هـ/١١٥٥م[٨]، لتسميعه الحديث[٩]، بينما تذكر معظم المصادر بأن عمته هي التي حملته إلى ابن ناصر و قرأ عليه[١٠].

بالتالي فإن ابن الجوزي أخذ العلم صغيراً فنمت شخصيته العلمية، و لم يكن كباقي الصبية يلعب و يلهو، إنما كان همّه الأول اكتساب العلم و الفضيلة حيث قال عنه ابن كثير: (لا يخرج من بيته إلا للجمعة، و لا يلعب مع الصبيان)[١١].

---

(١)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٧٠٦؛ أما الفرضة: الثلمة التي ينحدر فيها الماء و تصعد منها السفن و يستقى منها؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٣، ص٣٣٨٩.

(٢)- ابن العماد، شذورات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٥٣٧.

(٣)- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مصدر متقدم، ص١٣٤٢؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر متقدم، ص٤٧٧-٤٧٨.

(٤)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤٠.

(٥)- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مصدر متقدم، ص٣٤٢؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٧٠٦.

(٦)- الصفر: النحاس الجيد و قيل هو ما صفر منه، واحدته صفرة و هو ما تعمل منه الأواني و الصفار صانعه؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٤٥٨.

(٧)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٨٦؛ ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ص١٥٥؛ أما نهر القلائين فهو محلة في جنوب الكرخ في بغداد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٤، ص٥٠٨.

(٨)- أبو الفضل بن ناصر: ولد محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، قرأ على جماعة من فقهاء بغداد اللغة و الحديث، كان من الحفاظ المتقنين، و هو الذي تولى تدريس و تسميع الحديث لابن الجوزي توفي سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م و صلي عليه بجامع المنصور و دفن بمقبرة باب حرب؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٠٣.

(٩)- ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ص١٥٥.

(١٠)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٧٠٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج١٦، ص٥٣٧.

(١١)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٧٠٧.

حفظ القرآن و سمع الحديث و تعلم اللغة و الأدب و الفقه[١]، تذكر بعض المصادر بأنه سمع في سنة ٥١٦هـ /١١٢٢م[٢]. و أخرى بأنه سمع في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م[٣]، بينما ابن الجوزي جعل مدة سماعه أبكر من ذلك عندما ذكر سماعه في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م على محمد بن محمد الخزيمي ت ٥١٤هـ/١١٢٠م[٤]، حيث قال (و رأيت في مجالسه أشياء قد علقت عنه فيها كلمات و لكن أكثرها ليس بشيء فيها أحاديث موضوعة و هذيانات فارغة يطول ذكرها)[٥]، إذا تمت المقارنة بين هذا التاريخ و التاريخ الذي ولد فيه فيلاحظ بأنه سمع في سن الخامسة أو الثالثة و هذا أمر مستبعد ربما يكون تلقى تعليماً بسيطاً في حلقة الكتّاب، لكن من المؤكد بأنه أقبل على الدراسة منذ نعومة أظفاره و تلقى علومه في بغداد و لم يغادرها إلاّ للحج وعندما نفي إلى واسط[٦]، و هذا كافٍ فبغداد كانت ملتقى رجال العلم و الفكر من شتى أنحاء العالم الإسلامي.

أما فيما يتعلق بالوعظ ابتدأ بتلقي علومه في الوعظ منذ سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م حيث قال (في هذه السنة حملت إلى أبي القاسم علي بن يعلى العلوي[٧]، و أنا صغير السن فلقنني كلمات في الوعظ و ألبسني قميصاً من الفوط، و أجاز لي جميع مسموعياته)[٨].

ليعظ بعدها في جامع المنصور سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م[٩]، و يستمر واعظاً فيه حتى نال شهرة كبيرة فقد حضر مجلس وعظه الخلفاء و الوزراء من وراء الستر و يقال إن مجالسه حضرها في بعض الأوقات مئة ألف فيما قيل والظاهر أنه كان يحضرها نحو عشرة آلاف[١٠]، على الرغم من أن الرقم فيه نوع من المبالغة إلا أنه يدل على المكانة العالية التي نالها ابن الجوزي في الوعظ، إضافة إلى دوره الذي قام به في مجال الوعظ فإنه برع في مجال تأليف الكتب التي تباينت ما بين كتب فقهية و أخرى في التفسير و التاريخ و السير و التراجم

(١)- ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدر متقدم، ج١، ص٩.

(٢)- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مصدر متقدم، ص١٣٤٢.

(٣)- السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر متقدم، ص٤٧٧.

(٤)- محمد بن محمد بن علي بن الفضل أبو الفتح الخزيمي، دخل بغداد سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م، حدث عن جماعة من نظرائه و وعظ، عرف بحسن المنطق و لكن ما أخذ عليه كثرة هذيانه و ايتيانه بأحاديث غير صحيحة، سمع منه ابن الجوزي و توفي بالري سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م و دفن فيها؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١٩٠.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص١٩٠.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص١٢٦.

(٧)- أبو القاسم علي بن يعلى العلوي: لم يتطرق لذكره سوى ابن الجوزي عندما ذكر سماعه منه و القائه بضع كلمات في حضرته و قوله بأنه علوي بلخي و ليس بعلوي كرخي؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص٢٣٦.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص٢٣٦.

(٩)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢١، ص٣٧٠.

(١٠)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٨٩-١٩٠.

والأدب و الوعظ و الطب[١]. استمر على هذه الحالة من النشاط إلى أن نقم عليه الخليفة[٢] لدسائس أناس كارهين له أدت إلى نفيه إلى واسط و حبس بدار فيها و كان بعض الناس يدخلون عليه و يسمعون منه و بقي على ذلك خمس سنين من ٥٩٠هـ/١١٩٣م إلى ٥٩٥هـ/١١٩٨م، فأفرج عنه و قدم بغداد و خرج خلق كثير لاستقباله[٣].

عند عودته إلى بغداد جلس للوعظ مرة ثانية و استمر في جلوسه للوعظ و نشر العلم و تأليف الكتب إلى أن توفي في رمضان سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م في بغداد و دفن في مشهد الإمام أحمد[٤]، و حزن الناس على موته حزناً كبيراً[٥].

و لا بدّ في نهاية الحديث عن حياته من التطرق إلى أولاده فهو قد أنجب ثلاثة ذكور و هم أبو القاسم علي الذي سلك سلوكاً غير مرضٍ مما أسخط أباه عليه لبيعه مصنفاته بأبخس الأثمان و انحرف عن سيرته المستقيمة[٦]، أما ولده محيي الدين يوسف فقد كان مدرساً في المدرسة المستنصرية[٧] ببغداد و كان رسول

---

(١)- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مصدر متقدم، ص٣٤٤.

(٢)- الخليفة هو الناصر أحمد بن المستضيء بأمر الله ولد سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، بويع له بالخلافة سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م كان أبيضاً، معتدل القامة، لم يلي الخلافة أحد أطول دولة منه، توفي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م و خلفه ابنه الظاهر أبو نصر محمد و كان كهلاً؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٢، ص١٩٢.

(٣)- الحكيم (حسن عيسى علي)، كتاب المنتظم لابن الجوزي، دراسة في منهجه و حواره و أهميته، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٤٧.

(٤)- مشهد الإمام أحمد: يقع في مقبرة باب حرب خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربل؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١، ص١٢١؛ أما الإمام أحمد فهو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن ادريس أبو عبد الله الشيباني المروزي الأصل بغدادي المولد و الوفاة، ولد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م، سمع الحديث منذ سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م حج خمس مرات، طاف البلاد و الأفاق، و له تصانيف كثيرة منها تفسير القرآن، طاعة الرسول الفرائض و غيرها توفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٤، ص٣٨٠.

(٥)- أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين الثورية و الصلاحية، مصدر متقدم، ج٤، ص٤٨٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٥٤٠؛ ابن سباط (حمزة بن أحمد بن عمر ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): صدق الأخبار في تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، جروس برس، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٣٤؛ الدجيلي (عبد الصاحب عمران): أعلام العرب في العلوم و الفنون،النجف، مطبعة النعمان، ط١، ١٩٦٦م، ص٢٩.

(٦)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٧١٠.

(٧)- المستنصرية: تنسب إلى الخليفة المستنصر بالله المنصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد بويع بالخلافة سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م و حكم ١٦ سنة، أما المدرسة فهي في بغداد خاصة بالمذاهب الأربعة فيها دار للحديث، و مارستان و حمام و دار طب، و جعل للعاملين فيها و لتلامذتها من المستحقات و الجوامك و الأطعمة ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات أوقف عليها أوقافاً كثيرة و وقف فيها كتبٌ نفيسة ليس في الدنيا نظير لها؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر نفسه، ج١٧، ص٢٦٠.

الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ثم صار أستاذ دار[١] الخليفة المستعصم[٢]، في سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م واستمر فيها إلى أن قتل مع الخليفة على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٣]. أما ولده عبد العزيز الأكبر فقد مات شاباً في حياة والده سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م[٤].

٢- شيوخه:

تتلمذ ابن الجوزي على يد عدد كبير من شيوخ عصره ذكرهم ضمن مؤلفه المنتظم[٥]، و في كتبه الأخرى، بلغ عددهم ستة و ثمانون شيخاً[٦]، و لكن عددهم ليس بالمهم بقدر ما تبرز الأهمية بنوعية المعارف التي حصّلها من خلالهم و بما زودوه من أفكار و مناهج و آراء قبل بعضها و رفض الآخر و منهم:

١- ابن البناء (٤٤٥-٥٢٧هـ/١٠٥٣-١١٣٢)

ولد أحمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م[٧]، عرف بكثرة رواياته وسمع طائفة من شيوخ بغداد و روى عنه ابن الجوزي و غيرهم[٨]، وصفه ابن الجوزي بقوله (سمعت منه الحديث و كان ثقة)[٩]. توفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م[١٠].

---

(١)- أستاذ دار الخلافة: موضوعه التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ و الشرابخاناه و الحاشية و الغلمان و هو الذي يمشي بطلب السلطان و يحكم في غلمانه و له حديث مطلق و تصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات و الكساوي و ما يجري مجرى ذلك للمماليك و غيرهم ؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصدر متقدم، ج٤، ص٢١.

(٢)- الخليفة المستعصم: ولد أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله في بغداد سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، بويع له بالخلافة سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، كان حسن الصورة، جيد السيرة، كثير الصدقات، قتله التتار سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م مظلوماً يوم دخولهم بغداد و قتل معه ولداه و أسر الثالث مع ثلاث بنات و شغر منصب الخلافة بعده فهو آخر خليفة عباسي في العراق ؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣٦٤.

(٣)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤١.

(٤)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٧١٠.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٩، ٢٥٨.

(٦)- الحكيم (حسن عيسى علي)، المنتظم لابن الجوزي، دراسة في منهجه، مرجع متقدم، ص٤٨.

(٧)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٢.

(٨)- الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث و وفيات ٥٢١-٥٣٠هـ/٥٣١-٥٤٠هـ، مصدر متقدم، ص١٥١-١٥٢.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٧٧.

(١٠)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص٧١.

٢ً- ابن الزاغوني(٤٥٥-٥٢٧هـ/١٠٦٣-١١٣٢م)

ولد أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[١]، قرأ القرآن و سمع الحديث الكثير و اهتم بكتب اللغة و النحو، كان متبحراً في العلوم و مصنفاً في الأصول و الفروع[٢]، ذكره ابن الجوزي بقوله (أنشأ الخطب و الوعظ و وعظ و صحبته زماناً فسمعت منه الحديث و علقت عنه من الفقه و الوعظ)[٣]. له تصانيف كثيرة منها الإقناع و الخلاف الكبير، غرر البيان في أصول الفقه في مجلدات عدة، و له تاريخ على السنين من أول ولاية المسترشد ت٥٢٩هـ/١١٣٤م[٤] إلى حين وفاته التي كانت سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م[٥].

٣ً- أبو بكر الدينوري ت ٥٣٢هـ/١١٣٧م

أحمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبو الفتح الدينوري[٦]، من علماء بغداد، تفقه على يد مجموعة من فقهاء عصره[٧]، قال عنه ابن الجوزي (برع في المناظرة و سمعّت عليه دراسة مدة)[٨]، له تصانيف في المذهب منها كتاب التحقيق في مسائل التعليق[٩] توفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م و دفن قريباً من مشهد الإمام أحمد بن حنبل[١٠].

٤ً- شهدة بنت الإبري[١١] ت ٥٧٤هـ/١١٧٨م

شهدة بنت أحمد بن الفرج الدينوري البغدادي التي عرفت بفخر النساء[١٢]، وصفت بالعلم و الصدق و الصلاح

(١)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٦٠٥.

(٢)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٣.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٤)- الخليفة المسترشد: أبو منصور الفضل بن المستظهر، كانت أمه أم ولد من الأتراك تولى الخلافة سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، كانت خلافته ١٧ سنة، عرف بالشجاعة و الإقدام و عذب الكلام، قتله الباطنية عند مراغه سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٣٧.

(٥)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٣.

(٦)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص٨٧.

(٧)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص٩٩.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣٢٨.

(٩)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٦٢.

(١٠)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٥٤.

(١١)- الإبري: بكسر الهمزة و فتح الباء الموحدة و بعد الراء ياء مثناة من تحتها هذه النسبة إلى الإبر التي هي جمع إبرة التي يخاط بها و كان المنسوب إليها يعمل بها أو يبيعها؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٢، ص٤٧٧.

(١٢)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٤١٠.

، و كتبت الخط الجيد و سمعت من خلق كثير و خاصة والدها، و سمع منها الكثير[١]. ذكرها ابن الجوزي بقوله (كان لها خط حسن و تزوجت ببعض وكلاء الخليفة و عاشت مخالطة للدار و لأهل العلم و كان لها بر و خير و قرئ عليها الحديث سنين و عمّرت حتى قاربت المئة)[٢]، توفيت سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م[٣].

٣- تلامذته:

جلس ابن الجوزي للوعظ في مجالس مختلفة، كما أنه درّس في مدرستين[٤]، كما أنه بنى في بغداد سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م مدرسة، حيث قال عن أول يوم تدريس فيها (ذاكرت يومئذ أربعة عشر درساً من فنون العلوم)[٥]، بالتالي كان لابن الجوزي تلاميذ كثر أخذوا من علومه و استزادوا من معارفه و منهم:

١- ابن النجار (٥٧٨-٦٤٣هـ/١١٨٢-١٢٤٥م)

ولد محمد بن محمد بن حسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار في بغداد سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م[٦] رحل طلباً للعلم إلى الشام و مصر و خراسان، و قرأ الأدب و النحو و القراءات و استمر في رحلاته سبعاً و عشرين سنة و سمع الكثير من المشايخ[٧]، ألف الكثير، من تصانيفه كنز الأنام في السنن و الأحكام، الإكمال في معرفة الرجال، و الذيل على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ستة عشر مجلداً، و كتاب معجم له اشتمل على نحو من ثلاثة آلاف شيخ، و هناك كتب أخرى لا مجال لحصرها[٨]، وصفه اليافعي بقوله (كان ثقة متقناً واسع الحفظ تام المعرفة)[٩]. توفي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م[١٠].

٢- سبط[١١] ابن الجوزي (٥٨٢-٦٥٤هـ/١١٨٦-١٢٥٦م)

ولد شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م[١٢]، كان والده مملوكاً للوزير

(١)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٢، ص٤٧٧.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٥٤.

(٣)- الذهبي، العبر في أخبار من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٢٠.

(٤)- ابن شطي، مختصر طبقات الحنابلة، مصدر متقدم، ص٤٧.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢١١.

(٦)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٦، ص٣١٤.

(٧)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٨٣.

(٨)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٢٧.

(٩)- اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٤، ص٨٦.

(١٠)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٨٣.

(١١)- سبط و الأسباط و السبطان، خاصة الأولاد، و قيل سبط واحد و هو ولد الولد أي ولد الابن أو الابنة؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٢، ص١٩٢٢.

(١٢)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٧، ص٣٥.

يحيى بن هبيرة ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م[١]، فرباه و أدبه ثم أعتقه و زوجه ابنة عبد الرحمن بن الجوزي رابعة سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م[٢]، فولد يوسف نشأ في كنف جده الذي رباه و رعاه إلى أن توفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ، فقدم دمشق و استوطنها و نال حظوة لدى ملوك بني أيوب[٣]، وصفه ابن كثير ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م بقوله (كان حسن الصورة، طيب الصوت، حسن الوعظ، كثير الفضائل و المصنفات)[٤]، صنف كتابه المشهور مرآة الزمان الذي وصفه ابن العماد ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م بقوله (لو لم يكن له إلّا كتاب مرآة الزمان لكفاه شرفاً فإنه سلك في جمعه مسلكاً غريباً ابتدأه من أول الزمان إلى أوائل سنة ٦٤٥هـ/١٢٥٦م التي توفي فيها)[٥]، توفي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بعد أن ترك آثاراً كثيرة[٦].

٣- محيي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي (٥٨٠-٦٥٦هـ/١١٨٤-١٢٥٨م)

ولد محيي الدين يوسف سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م في بغداد[٧]. سمع من أبيه و قرأ القرآن بواسط، و كان كثير الحفظ قوي المشاركة في العلوم عمل بالفقه و الأصول و برع في ذلك[٨]، حين توفي والده وعظ في موضعه فأحسن و أجاد، ولي مناصب كثيرة في بغداد ثم أصبح أستاذ دار المستعصم ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، و ولي تدريس الحنابلة بالمستنصرية سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، كان يتردد في الرسائل إلى الملوك[٩]، عمل بالتأليف فترك مجموعة من المصنفات منها معادن الإبريز في تفسير الكتاب العزيز، المذهب الأحمد في مذهب أحمد، والايضاح في الجدل[١٠]، توفي شهيداً سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م على يد المغول عند دخولهم بغداد[١١].

---

(١)- الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد هبيرة بن سعيد ين الحسن من جهم الشيباني ولد في العراق سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م، دخل بغداد في صباه طلباً للعلم، مهر في اللغة و كان عارفاً بالمذهب و العربية و العروض، فمهر بالكتابة و تقدم و أشرف على الخزانة ثم ولي الوزارة للخليفة المقتفي ت٥٥٥هـ/١١٦٠م، سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م ثم استقر وزيراً للمستنجد ت٥٦٦هـ/١١٧٠م ، توفي سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٤٢٦.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٢٧.

(٣)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣٤٣.

(٤)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر نفسه، ج١٧، ص٣٤٣.

(٥)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٦٦/٢٦٧.

(٦)- اليافعي، مرآة الجنان و عبرة اليقظان، مصدر متقدم، ج٤، ص١٠٥.

(٧)- اليافعي، مرآة الجنان و عبرة اليقظان، مصدر نفسه، ج٤، ص١١٢.

(٨)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٨٦/٢٨٧.

(٩)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤٢.

(١٠)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٨٧.

(١١)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣٧٦.

ً٤- المنذري (٥٨١-٦٥٦هـ/١١٨٥-١٢٥٨م)

ولد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م[١]، سمع عدداً كبيراً من أئمة الحديث و الفقه و رحل لأجل ذلك إلى مكة و دمشق و حران و بغداد[٢]، وصفه اليافعي بقوله (كان ثبتاً حجة، متبحراً في فنون الحديث عارفاً بالفقه و النحو مع الزهد و الورع و الصفات الحميدة)[٣].

صنف العديد من الكتب منها مختصر مسلم و كتاب الترغيب و الترهيب في مجلدين[٤]، توفي سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م و دفن في مصر[٥].

٤- مؤلفاته:

كثيرة حتى إن ابن خلكان قال متعجباً من كثرتها (كتب بخطه شيئاً كثيراً و الناس يغالون في ذلك يقال جمعت الكراريس التي كتبها و حسبت مدة عمره قسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسعة كراريس و هذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل)[٦]. يفهم من عبارته بأن مصنفات ابن الجوزي كثيرة و بلغت من كثرتها كما وصفها الناس حداً لا يقبله العقل. جمعَ أسماء مصنفاته و درسها بشكل مفصل عبد الحميد العلوجي في كتابه مؤلفات ابن الجوزي حيث بلغت (٤٠٢) كتاب منها (٣٤) كتاب مطبوع[٧]، و لا مجال لحصرها جميعها إنما سيتم التطرق إلى أشهرها و أقربها صلة بالتاريخ و خاصة الحولي و التراجم منها:

ً١- أخبار الحمقى و المغفلين[٨]

ذكره كُثر من المؤرخين بقولهم (المغفلين في مجلد)[٩]، كما ذكره الزركلي في الأعلام[١٠] يتضمن الكتاب أخبار الحمقى و من وصفوا بالمغفلين في ذلك الزمان حيث يعرض قصصاً و نوادر لهم متشبهاً في أسلوبه بكتاب

---

(١)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣٧٨.

(٢)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٧٧.

(٣)- اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٤، ص١٠٧.

(٤)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٧٧.

(٥)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٧، ص٥٩.

(٦)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤١.

(٧)- العلوجي (عبد الحميد)، مؤلفات ابن الجوزي، الكويت، منشورات مركز المخطوطات و التراث، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص٣٤، ٨٨، ٢٩٤.

(٨)- طبع في دمشق، مطبعة التوفيق، سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٨م، و يقع في ١٧٢ صفحة.

(٩)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢١، ص٣٦٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٨٩؛ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٣٤.

(١٠)- الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٣، ص٣١٧.

الهفوات النادرة لغرس النعمة محمد و لكن بشكل مبسط[١].

٢ً- الأذكياء[٢]

ورد ذكره لدى الذهبي و الصفدي بقولهم (الأذكياء مجلد)[٣]، و ذكره عمر رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين[٤]، كتبه مضمّناً إياه بشكل مناقض لأخبار المغفلين أخباراً للأذكياء في بيئته مخصصاً عدة فصول للحديث عن الذكاء و من يوصف به و بعضاً من قصص الأذكياء.

٣ً- تلقيح فهوم أهل الأثر في التاريخ و السير[٥]

ذكره حاجي خليفة بقوله (تلقيح فهوم الأثرة في التاريخ و السيرة على أسلوب المعارف لابن قتيبة أوله الحمد لله على إحسانه و أفضاله و بيّن فيه أصناف الصحابة، و الصحابيات و كبار التابعين و يذكر أسماءهم و ذكر في أوله الأنبياء و السير إجمالاً)[٦]. كما ذكره كل من ابن خلكان و السيوطي[٧]، يفهم من الحديث عنه بأنه كتاب سير تضمن نبذة عن كل من الأنبياء و الرسل و الصحابة و التابعين و من يمت بصلة للتاريخ و سيرة الحبيب المصطفى (ص).

٤ً- صفوة الصفوة[٨]:

ذكره حاجي خليفة[٩]، و الذهبي تحدث عنه بقوله (صفة الصفوة في أربع مجلدات)[١٠]، بينما جعله الصفدي في خمسة مجلدات[١١]، من اسم الكتاب يفهم بأنه يتحدث عن صفوة المجتمع أي الطبقات العليا من الناحية الدينية و العلمية.

---

(١)- غرس النعمة محمد، الهفوات النادرة، مصدر متقدم، ص٦٠، ٨٧.

(٢)- طبع في المطبعة الحيدرية، النجف، سنة ١٩٦٩م و يقع في ٢٧٤ صفحة و أعاد تحقيقه أسامة الرفاعي، دمشق، سنة ١٩٧١م و نشره في ٣٠٠ صفحة.

(٣)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢١، ص٣٦٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم،ج١٨، ص١٨٩.

(٤)- كحالة (عمر)، معجم المؤلفين، مرجع متقدم، ج٥، ص١٥٧.

(٥)- حققه محمود علي صبيح، القاهرة، سنة ١٩٣٤م، أعيد طبعه في المطبعة الحيدرية، القاهرة، سنة ١٩٣٤م و يقع في ٣٣٤ صفحة.

(٦)- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مصدر متقدم، ص٤٨٠.

(٧)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤١؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر متقدم، ص٤٧٨.

(٨)- حققه محمود فاخوري و محمد قلعة جي، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٩)- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مصدر متقدم، ص٢٧٧.

(١٠)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢١، ص٣٦٨.

(١١)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٨٩.

ً٥- الوفا في فضائل المصطفى[١]:

ذكره كثر من المؤرخين[٢]، كما ذكره الزركلي و كحالة[٣]، و هو كتاب يشمل فضائل الرسول محمد (ص) متحدثاً عن مولده و صفاته التي اتصف بها الأخلاقية و الجسدية بشكل مفصل.

ً٦- المصباح المضيء في سيرة المستضيء[٤]:

ذكره كلٌّ من الصفدي[٥] و ابن شطي حيث قال عنه (و في خلافة المستضيء، قوي اتصال الشيخ به و صنف الكتاب الذي سمّاه المصباح المضيء في دولة المستضيء)[٦]. بالتالي فهو كتاب تم تأليفه كنوع من الشكر للخليفة المستضيء ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م ذاكراً شيئاً من صفاته و لمحات عن حياته و حال الدولة في عهده.

ً٧- المنتظم[٧]:

مؤرخون ذكروه باسم المنتظم[٨]، و آخرون باسم المنتظم في التاريخ[٩]، بينما سماه الصفدي باسم المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم[١٠]، و زاد على التسمية ابن كثير حيث قال (المنتظم في تاريخ الأمم من العرب والعجم)[١١]. وجعله معظمهم في عشرة مجلدات[١٢]، يتابع السخاوي حديثه عن المنتظم وما

(١)- حققه مصطفى عبد الواحد، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م.

(٢)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢١، ص٣٦٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٩٠؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، مصدر متقدم، ص٣٣٢.

(٣)- الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٣، ص٣١٧؛ كحالة، معجم المؤلفين، مرجع متقدم، ج٥، ص١٥٧.

(٤)- حققته د.ناجية عبد الله ابراهيم،بغداد، مطبعة الأوقاف، ١٩٧٦م، أما المستضيء: الخليفة العباسي أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجدبن المقتفي، ولد في بغداد سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م و أمه أرمنية تدعى غضّة، بويع بالخلافة سنة ٥٦٦هـ /١١٧٠م كان من خيار الخلفاء أمراً بالمعروف و ناهياً عن المنكر، واضعاً عن الناس المكوس و الضرائب توفي سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٤٤٥.

(٥)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٨٩.

(٦)- ابن شطي، مختصر طبقات الحنابلة، مصدر متقدم، ص٤٧، ٤٨.

(٧)- حققه محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.

(٨)- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مصدر متقدم، ص٢٧٧؛ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مصدر متقدم، ص١٧٩.

(٩)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٤١؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر متقدم، ص٤٧٨.

(١٠)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٨، ص١٨٨.

(١١)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر نفسه، ج١٦، ص٧٠٧.

(١٢)- معظم المصادر التي تحدثت عنه ذكرت بأنه في عشرة مجلدات باستثناء ابن كثير قال عنه بأنه في عشرين مجلدة، انظر ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر نفسه، ج١٦، ص٧٠٧.

حل به و من ذيّل عليه فيلاحظ في البداية بأنه اختصر منه مجلداً سماه شذور العقود في تاريخ العهود حيث قال السخاوي (وقفت عليه بخطه)[١]، و شذور العقود هذا تاريخ عام موجز اهتم ابن الجوزي فيه بتلخيص معلومات عن الفلكيات و الجغرافية و ذكر تاريخ أمم كثيرة إلى أن يتبعه بذكر تلخيص للتاريخ الإسلامي كله[٢]، ربما أراد اختصار المنتظم رغبة منه في حذف بعض الحشو إذا وجد أو رغبة في إيجاد كتاب أخر يحوي معلومات المنتظم في حال ضياعه. و لا بد من الإشارة بأن هناك كثر ذيلوا على تاريخ ابن الجوزي[٣]، كما أن ابن كثير جعل مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ذيلاً على المنتظم حيث قال (له مرآة الزمان في عشرين مجلداً من أحسن التواريخ انتظم فيه المنتظم لجدّه و زاد عليه و ذيّل إلى زمانه وهو من أحسن التواريخ و أبهجها) [٤]. يشار بأن كلاً من القفطي و حاجي خليفة عدّا كتاب ابن الجوزي من ذيول الطبري فقد أكمل ابن الجوزي عمل من سبقه إلى سنة ثمانين و خمسمائة ليكمل عمله ابن القادسي[٥] إلى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م[٦].

بالتالي فإن المنتظم برأي المؤرخين كان من ذيول الطبري تلك الذيول التي اقتفت خطا أستاذها الأول بالسير وفق المنهج الحولي مع إضافات خاصة ميزت كل ذيل عن غيره.

نظراً لأهمية المنتظم كونه يعد مثالاً رائعاً عن التدوين الحولي و التراجم في العراق في العصر السلجوقي في القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، لا بد من إعطاء هذا المؤلف حيزاً من الاهتمام و الدراسة.

١- صفة الكتاب:

كتاب عالمي حولي أحيا به ابن الجوزي التاريخ العالمي الذي يبدأ بالخليقة لينتهي في سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م[٧] ، متناولاً فيه الحديث عن الأمم السابقة بشكل مختصر مروراً بالحديث عن الإسلام و انتهاءً بالحديث عن الدولة العباسية حتى الربع الأخير من القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. داخلته الكثير من التراجم التي امتازت بترتيبها ألفبائياً وفق أسلوب جديد.

---

(١)- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٧٩.

(٢)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي و المؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٤٢١.

(٣)- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، مصدر متقدم، ص١٧٩.

(٤)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣٤٣.

(٥)- القادسي: ولد محمد بن أحمد البغدادي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، لزم الشيخ أبا الفرج بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م و قرأ عليه كثيراً و أخذ عنه الوعظ و هو أول شيخ ولد بمشيخة المستنصرية و آخر من حدّث عن النجاري ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م سماعاً في أي وقت. جمع ذيلاً لتاريخ بغداد و توفي سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م؛ اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٤، ص٨٦.

(٦)- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر متقدم، ص٧٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مصدر متقدم، ص٢٩٠.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، و ج١٨.

٢- الخطة العامة للكتاب:

يقع الكتاب في عشرة مجلدات[(١)]، إلّا أن محمد عطا و مصطفى عطا عندما حققاه وزعاه على (١٨) جزءاً معتمدين في التحقيق على مخطوطات عدة أولها نسخة مكتبة أحمد الثالث التي تعد من أكمل النسخ إلّا أنه ينقصها الجزء الأول و الثالث، كما اعتمد على نسخة تراخانة و هي كاملة بخط جميل، و نسخة بلدية الاسكندرية فيها نقص و بعض الخطأ، إضافة إلى نسخة متحف الآثار بفلسطين و تتألف من (١٧٠) ورقة، ونسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، التي تتصف بسوء خطها، و أخيراً نسخة طهران و هي عبارة عن عشر ورقات متفرقة[(٢)]، تم الاعتماد على هذه المخطوطات ككل و لكن الأكثر استخداماً الثلاث الأوائل.

بعد حديث ابن الجوزي عن التاريخ و أهميته و منهج المؤرخين فيه و رأيه في هذه المناهج[(٣)]، يبدأ بموضوع مؤلفه متحدثاً عن وجود الله سبحانه و تعالى و أقدم المخلوقات فيقول (أبتدئ بعون الله و توفيقه و أذكر الدليل على وجود الصانع سبحانه و تعالى ثم أردف ذلك بذكر أول المخلوقات ثم يلي ذلك من الموجودات على ترتيب الوجود في الحادثات إلّا أن يخفى زمان حادث فيذكر في الجملة)[(٤)].

بعد ذلك ينتقل للحديث عن الأنبياء حتى زمن سيدنا محمد (ص) حيث يقول (ثم أتبع ذلك بذكر آدم عليه السلام وأحواله وما جرى له، ثم أذكر عظائم الحوادث التي كانت في زمانه و من كان في مدة ولايته من أهل الخير و رؤوس أهل الشر، ثم أذكر من خلفه من أولاده، و ما حدث في زمان ذلك الخالق من الأحداث و من كان في وقته من أهل الخير و الشر ثم من يخلف ذلك كذلك إلى زمان نبينا محمد (ص). فيندرج في ذلك ذكر الأنبياء و الملوك و العلماء و الزهاد)[(٥)]. فتناول في المنتظم الحديث عن الأمم السابقة و الأنبياء بشكل مفصل[(٦)]، فقد أوجز في الحديث عن عرب الجزيرة[(٧)]، لكنه أطال في ذكر الفرس و ملوكهم[(٨)]، ليتحدث بعد ذلك عن فترة ظهور الإسلام من مولد الرسول الكريم (ص) و إلى هجرته نحو المدينة[(٩)] حيث قال (فإذا آل

---

(١)- تمت الإشارة إلى ذلك في ص١٤٠ .

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، مقدمة التحقيق، ص٤٨، ٤٩.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٢-٧.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٢٠. و لقد قام بتفصيل الحديث عن الأشياء التي أشار إليها في قوله في ج١، ص١١٨ إلى ٢٠٦.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٢.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٢٠٦ إلى نهاية الجزء ثم ج٢، ص١-١٩٥.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٢، ص٤٨-٧٠.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٢، ص٧٧-١٤٢.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٢، ص١٩٥-٣٤٧.

الأمر إلى نبينا عليه الصلاة و السلام ابتدأ بذكر مولده و ذكر عيون ما جرى في سنة مولده من الحوادث، ثم ما جرى في السنة الثانية من مولده كذلك إلى زمان نبوته، ثم بذكر ما جرى في كل سنة من سني النبوة إلى سنة هجرته إلى المدينة)[١].

بعد ذلك يتناول التاريخ الإسلامي من هجرة الرسول الكريم (ص) و حتى عصره الذي عاش فيه أي إلى سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م[٢]، حيث قال (فإذا انتهينا إلى مفتتح سني الهجرة و هي التي عليها التاريخ إلى اليوم ذكرنا ما كان في كل سنة من الحوادث المستحسنة و المهمة)[٣]، ذاكراً خلال حديثه عن أحداث سنواته من توفي في كل سنة حيث بلغ عدد تراجمه (٣٣٧٠) ترجمة موزعين ما بين خليفة و ملك و وزير و فقيه و فيلسوف و شاعر وفق ترتيب أبجدي في نهاية كل سنة. حيث قال (فإذا أنهينا ذكر المهم من الحوادث و الحالات في كل سنة ذكرنا من مات في تلك السنة من الأكابر)[٤]، يتخلل كتابه الكثير من الأبيات الشعرية التي أغنت الكتاب و زادته فائدة[٥]، متطرقاً لأخبار النساء سواء في تراجمه أو في معرض حديثه عن بعض الأحداث السياسية[٦]، خاتماً كتابه بقوله (و الله تعالى أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و الحمد لله وحده و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه الطيبين الطاهرين و سلم تسليماً كثيراً)[٧]، و لا بد من الإشارة بأن ابن الجوزي كان ذاكراً لمصدر معلوماته مثال (قال الطبري، قال الصولي، رأيت بخط فلان، روى هلال)[٨].

قام المؤلف بتأليف العديد من الكتب كانت غايته في بعضها الوعظ، و في أحيان أخرى توضيح ملامح علم الفقه، وفي ثالثة ذكر سير العديد من الشخصيات لكن ما هي الدوافع التي حدّت به لتأليف كتابه المنتظم الذي يعدّ من أضخم كتبه، لم يترك ابن الجوزي القارئ في حيرة و إنما وضح له سبب تأليفه لكتابه بقوله (رأيت النفوس تشرئب إلى معرفة بدايات الأشياء وتحب سماع أخبار الأنبياء و تحن إلى مطالعة سير الملوك و الحكماء و ترتاح إلى ذكر ما جرى للقدماء)[٩]. بالتالي من أول دوافعه رغبة النفس البشرية في معرفة أخبار الماضي و ما احتواه من سير ملوك و حكماء و أنبياء، ليكمل حديثه قائلاً (و رأيت المؤرخين يختلف مفادهم في هذه الأنباء فمنهم من يقتصر على ذكر الأنبياء الابتداء و منهم من يقتصر على ذكر الملوك و الخلفاء و

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، ص٢.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٤ إلى نهاية الجزء، ثم حقبة الهجرة تشمل ج٣، ج٤ و منتصف ج٥، أما العصر الأموي يشغل منتصف ج٥ و ج٦ و ج٧، أما العصر العباسي فيشتمل على عشرة أجزاء من (٨) إلى (١٨).

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٢.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدرنفسه، ج١، ص٤٠٥.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٣، ص١٤٩، ١٥٥.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٧، ص٣٢٨/ ج٨، ص٤٢.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص٢٥٤.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٢٣/ ج٧، ص٣٠٤/ ج١٦، ص٢٤، ١٥٩.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١.

أهل الأثر يؤثرون ذكر العلماء و الزهاد يحبون أحاديث الصلحاء، و أرباب الأدب يميلون إلى أهل الأدب و الشعراء)[١].

بالتالي رأى بأن كل مؤرخ يقتصر على لون خاص به من التأريخ يفضله و يسعى لتفصيل فيه على حساب المجالات الأخرى، ليكمل قائلاً (و معلوم أن الكل مطلوب، و المحذوف من ذلك مرغوب، فآتيك بهذا الكتاب الجامع لغرض كل سامع يحوي عيون المراد من جميع ذلك و الله المرشد إلى أصوب المسالك)[٢]، فهو إذاً جمع في كتابه المجالات كلها ليضعها بين أيدي القارئ، و لكنه لم ينته من ذكر مراده من التأليف و إنما أخبر القارئ بأنه بذكر السير و التواريخ فوائد كثيرة منها التأدب و شحذ الهمم و العقول و الاطلاع على عجائب الأمور و تقلبات الزمان التي تنبه على كثير من الأشياء و تعطي عظات و فوائد جمة[٣]. و يختتم دوافعه بقوله بأنه ألف كتابه رغبة منه في تصحيح الأخطاء الشائعة عن روايات الأقدمين و تكذيب بعضها و تثبيت الأخرى، و انتقاء الخير و رواياته و استبعاد الشر و فواحشه التي يستهجنها[٤]، فإذا استوفى كتابه كل هذه الغايات يصبح على حدّ قوله (مرآة يرى فيها العالم كله و الحوادث بأسرها، إلاّ أن يكون من لا وقع له فليس لذلك ذكر)[٥].

كتب كثيرة تناولت المنتظم بين دفتيها منها من أشار إلى أهميته الكبيرة بأنه تاريخ عام تبرز أهميته بأنه يعد نوع من الإحساس التاريخي الذي هو أحد المراحل الضرورية الأولى في سبيل الوصول إلى فكرة انسانية حقة عن العالم[٦]. بينما ذكر في كتاب آخر بأنه كتاب شامل لكنه و فوق كل شيء بغدادي، يتابع حوليات القرنين الخامس و السادس للهجرة/الحادي عشر و الثاني عشر للميلاد، و إنه حظي بسمعة مبالغ فيها قليلاً، لكنه مهما بلغت أهميته بالنسبة لتاريخ بغداد لا يمكن عده تاريخاً عاماً، لأنه ليس له عرض ثابت و هو أمر مدهش، ربما يعود الأمر إلى عجلة المؤلف المعتادة، فهو أساساً لم يهتم سوى بالتراجم[٧]، على الرغم من الرأي المعجب بالكتاب و الآخر المفند لأخطائه إلا أنه كتاب هام و أهميته تنبع من كونه:

١- مصدراً مهماً للعصر العباسي في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد على الرغم من كونه تاريخاً عاماً يشمل الأحداث منذ بدء الخليقة و حتى الحقبة التي توقف عندها المؤرخ، لكن القسم الأول من

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، ص١.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٤.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٤.

(٦)- روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع متقدم، ص٢٠٥.

(٧)- لويس، مؤرخو العرب و الإسلام حتى العصر الحديث، مرجع متقدم، ص١٠٤.

تاريخه كان مجرد تجميع لمعلومات نقلها المؤرخ عن غيره[1]، أما في القسم الثاني فقد كان شاهد عيان عاصر أحداث عصره و كتب عنها مبدياً رأيه فيها[2].

٢ً- حفظ كثيراً من المصادر من الضياع فهو نقل عن غيره من المؤرخين الذين تركوا أمهّات كتب و لكن الكثير منها ضاع و فقد فهو بالتالي حفظ شذرات و حتى أجزاء منها و مكن من التعرف و لو بشكل مبسط على هذه الكتب و محتوياتها[3].

٣ً- كغيره من الكتب أضاف معلومات وضّحت من خلالها الخارطة السياسية للعالم الإسلامي فهو قد تناول المرويات الأولى التي تحدثت عن الأنبياء و آثارهم ثم تطرق للحديث عن أمم مجاورة للعرب[4] ليفصل في الشرح عن عصر الرسالة، و العصر الراشدي بدقة من الناحيتين السياسية و العسكرية و طبعاً الدينية[5]، لينتقل للعصر الأموي الذي تناوله أولاً كمؤرخ متجرد غير متأثر بأية أهواء دينية راصداً إياه عسكرياً وسياسياً[6]، ليكمل مسيره إلى العصر العباسيالذي تناوله من خلال حديثه عن خلافة كل خليفة على حده ولكن ضمن النسق الحولي طبعاً متحدثاً عن وفاة خليفة واستلام آخر[7]،إضافة إلى ما تعرضت له الدولة من أحداث تمثلت ببروز فئات مناوئة للسلطة كالفاطميين في مصر[8]، إضافة إلى تحركات الروم المستمرة على حدودهم[9]، يضاف لها الإفرنج الذين غزوا أراضيها[10]، و الفئات الأخرى التي زحفت إليها مؤسسة كيانات سياسية شاركت الخلافة العباسية السلطة[11]، كل ذلك بأسلوب بسيط مختصر دون مغالاتٍ أو إغراقٍ في التفاصيل.

كما أنه أضاف معلومات عن الحالة الإقتصادية التي عاشتها الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة، فكان المؤرخ راصداً للسنوات التي ضربت فيها النقود[12]، وللسنوات التي ارتفعت فيها الأسعار إما بسبب جفافٍ أدى

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١ و حتى ج١٦.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ج١٨.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٢١/ ج١٤، ص١٥٦، ٤، ٦٤.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١١٨، ١٤٢/ ج٢، ص١٤٠.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٤ و ج٥.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٦ ،ج٧.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٣، ص٣/ ج١٥، ص٢١٦/ ج١٧، ص١٢.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٢،ص٢٨٧/ ج١٧، ص٢٢٤.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٥، ص١١٨/ ج٨، ص٢٠/ ج١٠، ص٢٠٩.

(١٠)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص٤٧.

(١١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٥، ص٢١٦، ٣٢٣/ ج١٦، ص١٠٠، ١٦٢.

(١٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٤، ص٣٠٧/ ج٦، ص١٤٧.

إلى نقص المحاصيل أو جرادٍ أكل المزروعات أو فيضان أضرّ بها[١]، إضافة إلى إشارته إلى بعض الأشياء التي يمكن اعتبارها إصلاحات اقتصادية كإسقاط الضرائب عن العامة[٢]، كل ذلك يُرى متداخلاً مع أحداث السنوات التي تحدث فيها.

و لم ينس الحديث عن الوضع الاجتماعي الذي ساد في الدولة الإسلامية، فقد حرص في البداية على جمع أخبار العامة من المؤلفات السابقة لعهده ، لكن يلاحظ بأنه كلما اقتربت الكتابات من السنولت التي عاصرها فإنه كان مفصلاً في الحديث عن الحالة الاجتماعية من أمراض أصابت الناس و أدّت إلى موت عظيم ليس فقط في بغداد وإنما في الشام و مصر و فارس[٣]، كما أنه رصد حركة العامة و الفتن التي كانت تنشب بين الفينة و الأخرى[٤]، إضافة إلى رصده الحرائق التي أصابت بغداد بشكل خاص و تركت أضراراً مادية كبيرة[٥]، كل ذلك و لم يهمل الحديث عن شيء أحبه كثيراً ألا و هو الحركة العلمية التي اهتم بها و كان من روادها في عصره، فقد اهتم بالحديث عن افتتاح المدارس و خاصة النظامية منها متحدثاً عن شيوخها وتلامذتها و مكثراً من أخبارها[٦]، يضاف إليها إشارته إلى مدرسته التي افتتحها و طريقة تدريسه فيها[٧]، كما أنه لم ينسَ ذكر مجالس وعظه التي أقامها و من تواجد فيها[٨].

كما أنه تطرق في حديثه إلى الوضع العمراني و لكن ليس بشكل موسع مشيراً إلى بناء بغداد و المراحل التي مرّ بها بناؤها[٩]، مشيراً إلى بعض المراكز العامة التي تم افتتاحها في العصر العباسي كالبيمارستانات[١٠].

أما فيما يتعلق بملاحظة و متابعة حركة الطبيعة و ما خلفته من آثار من خلال ظواهرها المختلفة فكان ابن الجوزي مهتماً بها فبرزت أهمية كتابه من خلال متابعته لحركة الكواكب و مواقيت الخسوف و الكسوف و تسجيلها لكن المؤرخ لم يكن كالمسعودي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م جغرافياً، فصّل في ذكر الظواهر و إنما مجرد ناقل

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٠، ص١٤٩/ ج١١، ص١٢٩/ ج١٣، ص٣٥٧/ ج٦، ص٦٩.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص١٤١.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٦، ص٢٠٣/ ج١٥، ص٢٤٠/ ج١٤، ص٩٨.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٥، ص٢١٩/ ج١٣، ص١٧٨.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص٥٤/ ج١٨، ص١٦٢.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص٢٩٢-٣٠٢/ ج١٧، ص٣-١٧/ ج١٨، ص١٠.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص٢١١.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٨، ص٢٢٨.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٨، ص٦٩-٨٩.

(١٠)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٣، ص١٧٨. أما البيمارستانات، جمع بيمارستان، كلمة فارسية معربة، و هي مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى المريض أو الضعيف و (ستان) بمعنى المكان فهي إذاً بيت المريض أو دار المريض؛ المقريزي(أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والأثار، تحقيق: أيمن سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٤، ص٢٥٨.

و ملاحظ ذكرها فقط[١]، كما أشار إلى الرياح و قوتها[٢] و مقدار الثلوج المتساقطة[٣]، و مدى دفء الجو أو برودته، إضافة إلى إشارته للفيضانات و مقدار زيادة مياه دجلة[٤]، و إشارته للزلازل التي تعرضت لها المنطقة[٥]، بالتالي فلم يهمل الطبيعة بل شغلت حيزاً في حولياته.

٤- تبرز أهمية الكتاب في مقدار التراجم التي ضمها و في طريقته في تنظيمها فهو لم يتناولها مبعثرة بين أحداث السنة إنما نسقها في نهاية السنة مرتباً إياها ألفبائياً و على كونه واعظاً و محدثاً فإن تراجمه لم تتناول الوعاظ و المحدثين فقط، إنما تنوعت لتشمل تراجم خاصة بالملوك القدماء و الأنبياء، و السلاطين و الخلفاء و الشعراء، إضافة إلى حديثه عن المحدثين و الفقهاء و الزهاد مع إشارته إلى تراجم من النساء[٦].

هذه الأشياء هي التي أعطت المنتظم أهميته و جعلته من مصادر التاريخ الإسلامي المهمة. لكن لا بد في النهاية من التطرق إلى منهج ابن الجوزي في التدوين التاريخي. وبما أن المنتظم من أهم كتبه التاريخية فستتم دراسة منهجه في ضوء هذا الكتاب:

١- بما أن الكتاب مقسم إلى قسمين الأول يبحث في تاريخ النبوات و الأمم، بدءً من الخليقة حتى العصر الإسلامي، أما الثاني كرسه للتاريخ الإسلامي منذ عصر الرسالة حتى سنة ٥٧٤هـ/١١٨٦م، فإنه نظم مادة الجزء الأول إلى حد ما وفق نظام العهود غير مرتب على السنين تقترب طريقته من طريقة الطبري[٧] لكنه في العصور الإسلامية ربط بين العهود والحوليات وكانت طريقته جديدة في التدوين التاريخي إذ كان يضع عهد كل خليفة ضمن أحداث السنة التي تولى فيها الخلافة تحت عنوان باب خلافة فلان ثم يستمر في حولياته[٨].

٢- استعمل مفردات ذكر، باب، فصل في كتاباته فهو في الأجزاء الأولى لم يسرد معلوماته سرداً نثرياً إنما قام بتبويبها و عنونتها بذكر باب كذا فصل كذا[٩]، أو دخلت سنة كذا، قصة كذا[١٠]، أما في الأجزاء اللاحقة

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج٨، ص١٠٢/ ج١٢، ص٢٢٢/ ج١٨، ص١٩٢.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٨، ص٢٨٨/ ج١١، ص٢٠٧/ ج١٥، ص٦٠.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٣، ص١٦/ ج٩، ص١٩٤/ ج١٨، ص١٩٧.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٣، ص٢٥٦/ ج١٨، ص١٣٥.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٦، ص٢١١/ ج١٤، ص٢٧٧/ ج١٥، ص١٥٧.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٢٥٨، ٢٧٩/ ج٤، ص١٣٥/ ج٦، ص١٠١/ ج٧، ص٣٢٨/ ج٩، ص٢٤/ ج١٣، ص٤٠٢.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٧٠، ١٩٠، ٣٧٧.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١١، ص١١٩، ٣٥٣/ ج١٣، ص٣.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٨٣/ ج٢، ص٤١٠.

(١٠)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٢، ص٧٢.

فيلاحظ بالإضافة إلى استخدامه الإسلوب الحولي أكثر من استخدام كلمة باب كقوله باب خلافة فلان[١].

ً٣- مفرداته سهلة، واضحة، بعيدة عن التكلف و الجناس، و جاءت العبارات سلسة بلغة عربية فصحى، مختصرة من غير إطالة أو حشو، فهو أشار في أكثر من موضع إلى رغبته في عدم الإطالة حيث قال (وقد كنت عزمت على مد نفس فيه بزيادة الأسانيد و جمع و شرح أخبار الشخص كلها ثم رأيت أن تخير الأوساط خير من الانبساط فأخذت في كف الكف عن التطويل و حذف أكثر الأسانيد لئلا يوجب الطول بحر الكتاب على أنه كثير بالإضافة إلى قلة الهمم)[٢].

ً٤- كما أنه لم يلجأ إلى التكرار إنما حرص أشد الحرص على عدم تكرار جمله و حوادثه التي يرويها عند الحاجة لذكرها مرة ثانية إنما كان يشير إليها إشارة فقط حيث كان يقول (اقتصرنا على هذا في هذا الموضع، فلا نحتاج إلى إعادة)[٣].

ً٥- تنوعت مصادر المادة عند ابن الجوزي فهو في معظم كتابه اعتمد على ثلاثة مصادر أساسية أما مصدره الرابع فاعتمد عليه في أجزائه الأخيرة. في البداية لا بد من الإشارة بأنه بما أن ابن الجوزي محدث و واعظ و قد اقتفى خط المحدثين في التعلم فلا بد من كونه استقى معلوماته من :

١- المشافهة و السماع: فهي من أهم المصادر لكونها المصدر الأول الذي تم الاعتماد عليه منذ بدايات التدوين التاريخي و لقد اعتمد عليها ابن الجوزي و لكنه اختصر من سلاسل الإسناد فكثيراً ما يقرأ في كتابه عبارات (أخبرنا، حدثني، قال، ذكر، سمعت من شيخنا، روى لنا، قيل، أنبأنا)[٤]. و كلها عبارات تدل على السماع.

٢- الإجازة من الشيوخ:

كما سبق الإشارة في موضع متقدم[٥]، فالتعليم في العصور الإسلامية كان يتم في حلقات الشيوخ ثم تطور لينتقل إلى مدارس أنشأتها الحكومة في العصر السلجوقي و لكن لم يكن يسمح للتلميذ سواء الذي أخذ العلم من الحلقة أو المدرسة بالرواية إلّا بعد إجازة الشيخ له بذلك بكلمة أجزت لك[٦]، و لقد تتلمذ ابن الجوزي على

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٣١٣، ١٦١.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٤.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٣، ص١٥٥/ ج٩، ص١٣٧.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٢٠/ ج٧، ص١٧/ ج١٦، ص٢٢٩/ ج١، ص١٣٠/ ج١٦، ص٢٨٧/ ج٢، ص٢٧٠/ ج٧، ص١، ٢/ج١٦، ص١٨٦.

(٥)- تمت الإشارة إلى ذلك عند دراسة منهج الخطيب البغدادي .

(٦)- الألوسي (محمود شكري)، تاريخ مساجد بغداد و آثارها، مصدر متقدم، ص٥، ٦، ١٠٢.

يد شيوخ كثر أجازوا له برواية أخباره و لقد أشار إلى ذلك في أكثر من موضع حيث قال (أجاز لي، كتب إليّ اجازة)[١].

٣- كتب من سبقه:

من موارد بحثه المهمة ففي معظم كتابه اعتمد على كتب المؤرخين السابقين له. فعندما تناول الحقبة الإسلامية الأولى اعتمد على ابن اسحاق و الواقدي و ابن سعد [٢]، كما أنه استعان بمؤلفات الخطيب البغدادي و بشكل خاص تاريخ بغداد[٣].

أما فيما يتعلق بالمرحلة الأولى التي تتعلق ببدء الخليقة حتى عصر الرسالة فاستند إلى الطبري[٤]، كما أنه استعان بمؤلفات آل الصابئ و عبد الملك الهمذاني[٥] و غيرهم من المؤلفين الذين تمكن من الإطلاع على كتبهم[٦]، و قد كان يذكر مصدر معلوماته إما بذكر الكتاب فقط أو المؤلف و في بعض الحالات[٧] ذكر عبارة رأيت بخط[٨]، و في حالات أخرى لم يقل شيئاً[٩].

٤- المشاهدة والملاحظة:

من المصاد الهامة فالمؤرخ كان شاهد عيانٍ لاحظ الحادثة و عاشها و سجلها كما رآها، بالتالي رصد إيقاع المجتمع في العصر العباسي، و كانت هذه المادة ظاهرة بشكل واسع في الجزأين السابع عشر و الثامن عشر، و من الأمثلة عليها قوله (رأيت، رصدت، شاهدت، دخلت، سمعته)[١٠]، تخللت مصادره ذكراً لبعض الوثائق التي زودت القارئ بكثير من الرسائل و الخطب التي تمت في بلاط الخلافة و دواوينها المختلفة[١١]، و لكنها بشكل عام قليلة في كتابه إذا ما تم مقارنتها بمصادر أخرى.

٦- أما منهجه في تناول التراجم فقد لاقى اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين[١٢]، فهو وضع حداً فاصلاً بين

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٣٥/ ج١٨، ص٥٩، ٢٤٥.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٢١/ ج٣، ص٢٨٨/ ج٥، ص١٩/ ج٦، ص١١٤.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٢٠/ ج٧، ص١٣٢.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص١٢٣.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٤، ص١٥١، ١٥٦/ ج١٦، ص٣٥.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٧، ص٣٠٤/ ج١، ص٤١٢.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٢٣١/ ج١٤، ص٦٤.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٣٢٦/ ج١٢، ص١٠٩.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص٣١١.

(١٠)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص٢٤١/ ج١٨، ص٢٣، ٥٠، ١٠١، ١٣٥.

(١١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٨، ص٢٠٧/ ج١٠، ص٩٤/ ج١٥، ص٧٤.

(١٢)- مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي و المؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٥٢.

الحوادث و الوفيات فوضع الأخيرة بعد حوادث كل سنة و رتبها حسب الألفباء حيث قال موضحاً منهجه (فإذا انتهينا ذكر المهم من الحوادث و الحالات في كل سنة ذكرنا من مات في تلك السنة من الأكابر و قمنا بترتيب أسمائهم في كل سنة على الحروف فنقدم من اسمه على حرف الألف على الباء، فإن خفي زمان موت ذاك الشخص ذكرناه مع أقرانه)[١]، و أشار إلى تراجمه بقوله (الأكابر)[٢]، فهذه التسمية شملت جميع الوفيات فهو لم يفرق بين أحد بحسب طبقته أو انتمائه أو مذهبه إنما جعلهم جميعهم تحت هذا الباب.

أما ما هي التراجم التي تناولها؟ فقد تناول السلاطين و رجال السياسة و رجال العلم و رجال الأدب وحتى النساء[٣]، فيقول مفصلاً ذلك (فقد اجتمع في كتابنا هذا ذكر الأنبياء و السلاطين و الأحداث و المحدثين و الفقهاء و الزهاد و المتعبدين و الشعراء و المتأدبين و في الجملة جميع المتميزين من أهل الخير و الشعر أجمعين فيحصل بما يذكره مراد المسامر و المحدث و مقصود الناقل المحدث)[٤].

كما أنه يتناول الترجمة بذكر الاسم الكامل لصاحبها، مولده، شيئاً من صفاته و رأي العلماء فيه إذا كان محدثاً أو فقيهاً، و بعض الأحداث التي شارك فيها إذا كان سياسياً، و كتبه التي تركها إذا كان عالماً، و أخيراً سنة الوفاة و مكانها، كما تراوحت التراجم في الطول فبعضها شغل عدة صفحات[٥]، و بعضها لم يتجاوز عدة أسطر[٦]، كما لا بد من الإشارة بأنه قام بإبداء رأيه في تراجمه و لقد كان الحكم إيجابياً في بعض الأحيان كقوله (شاعر مجيد، كان ثقة)[٧]، و في أحيانٍ أخرى كان حكمه سلبياً كقوله (كان له دسائس، إنما ذكرته ليعرف قدر كفره)[٨].

٧- نقل عن مصادر أخرى في معظم أجزاء كتابه إلّا أنه لم يكن مجرد ناقل و إنما قام بابداء الرأي في نقوله كقوله (كذب فاحش، هذا القول بعيد عن الصحة، كان سبباً عجباً، قول ضعيف)[٩].

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١، ص٤.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٣، ص٨٢.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٩، ص٢١٨/ ج١٠، ص١٨٩/ ج١٢، ص١٢/ ج٨، ص٤٢/ ج١١، ص٣٣٥، ١١٠/ ج٣، ص١٤٩.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١، ص٤.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٣، ص١٥٦.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٧، ص٣٢٨.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج٧، ص١٦٩/ ج١٢، ص٦٠.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٢، ص١٨/ ج١٣، ص١٠٨.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص١٨١/ ج١٦، ص٢٠٠/ ج٩، ص١٣٢، ٢٤.

مع هذا القدر يكون أسلوب ابن الجوزي في التدوين التاريخي قد اتضح بشكل كافٍ فهو كما ذكر من قبل كاتب حولي أدخل التراجم في حولياته ضمن نسق معين، ليؤرخ في البداية بشكل عام لكن كلما اقترب من العصر الذي عاش فيه فيلاحظ بأن نطاق معلوماته يضيق ليشمل بغداد فقط و النطاق الضيق الذي أحاطها، لكنه بشكل عام ترك كتاباً يعد من المصادر المهمة للعصر العباسي.

رابعاً- الفكر السياسي من خلال دراسة الغزالي و كتبه التبر المسبوك في نصيحة الملوك و قواصم الباطنية و فضائح الباطنية.

الفكر السياسي بمعناه المتداول في العصر الحديث من حيث الجدل و المناظرة و العلاقات و الثورة لم يكن متواجداً في العصور الإسلامية إنما يقصد بالفكر السياسي في ذلك العصر التصور المثالي للخليفة و الحاكم و الارتقاء بأعماله و صفاته من خلال النصح و الوعظ، إضافة إلى الرد على بعض الطوائف الدينية والسياسية المعارضة للسلطة و تفنيد آرائها و أفعالها، و هذا ما قام به الغزالي السياسي والفلسفي والتاريخي الواعظ، فلا بد في البداية من تسليط الضوء على حياته كإنسان ، والتعرف عليه، وعلى بيئته و علومه.

الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م)

١- حياته:

ولد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي[(١)]، الغزالي[(٢)] في مدينة طوس سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[(٣)]، لوالد يعمل في غزل الصوف و يبيعه في دكانه بطوس، و يحضر مجالس الفقه و العلم لكنه توفي، و قبل وفاته أوصى بولديه إلى صديق له صوفي صالح فعلمهما الخط، ونفد ما كان قد خلفه والدهما من أموال و تعذر عليهما القوت[(٤)]، فلجأ إلى المدرسة يطلبان الفقه، و ليس غرضهما من ذلك سوى طلب القوت[(٥)].

(١)- الطوسي: بضم الطاء المهملة و سكون الواو و السين المهملة نسبة إلى طوس و هي ناحية بخراسان تشتمل على مدينتين، تسمى إحدهما طابران بفتح الطاء المهملة و بعد الألف باء موحدة ثم راء مفتوحة و بعد الألف الثانية نون و الأخرى نوقان بفتح النون و سكون الواو و فتح القاف و بعد الألف نون و لهما ما يزيد على ألف قرية ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٤، ص٥٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١، ص٩٨.

(٢)- الغزالي: بفتح الغين المعجمة و تشديد الزاي المعجمة و بعد الألف لام هذه النسبة إلى الغزال على عادة أهل خوارزم وجرجان فإنهم ينسبون إلى القصار القصاري، و إلى العطار العطاري، و قيل إن الزاي مخففة نسبة إلى غزالة و هي قرية من قرى طوس و هو خلاف مشهور؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، مصدر متقدم، ج٢، ص٣٧٩.

(٣)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص١؛ اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، اليماني، غربال الزمان في وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ص٤٠٠.

(٤)- القوت: ما يمسك الرمق من الرزق، و يقوّم بدن الإنسان؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٣، ص٣٧٦٨.

(٥)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٣٥؛ زيان (بهي الدين)، الغزالي و لمحات عن الحياة الفكرية الإسلامية، مصر، مكتبة النهضة، ١٩٥٨م، ص٣٥؛ النشرتي (حامد)، أبو حامد الغزالي، القاهرة، ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ، ص٤٧.

بدأ بطلب العلم فقرأ الفقه في طوس و سافر إلى جرجان[١]، طلباً لعلم الفقه أيضاً[٢] ثم تحول إلى نيسابور بمرافقة جماعة من الطلبة و لازم إمام الحرمين الجويني[٣]، فبرع عنده في الفقه و مهر في الكلام و الجدل حتى صار معيداً لديه و شرع في التصنيف في حياة أستاذه، فالتفت الجويني إلى مؤلفاته فقال له(دفنتني و أنا حيّ هلّا صبرت حتى أموت؟ و أراد بهذه العبارة أن كتاب الغزالي طغى على كتبه[٤]، لزم أستاذه حتى توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، و بعد وفاته خرج إلى المخيم السلطاني الذي أقامه نظام الملك بجوار نيسابور قاصداً إيّاه، فسرّ به و أبقاه لديه مدة، فناظر في حضرته الأئمة و تغلب عليهم[٥]، و في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م توجه للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بناءً على طلب من نظام الملك فبقي فيها حوالي أربع سنوات و انشغل أيضاً في تلك الحقبة في التأليف في الأصول و الفقه و الكلام و الحكمة[٦].

عظم جاهه في تلك الأيام و ازداد غروراً لقربه من السلطة، لكنه لم يبقَ على تلك الحال طويلاً فأدى نظره في العلوم و الاطلاع على كتب الزهد إلى رفض حياته تلك فاعتزل التدريس في النظامية و خرج حاجاً بعد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٧]، ثم رحل من مكة إلى دمشق فأقام بها مدة بالزاوية الغربية[٨]، ثم انتقل إلى بيت المقدس وقصد مصر و أقام مدة بالاسكندرية[٩] و يذكر ابن خلكان بأنه عزم على المضي إلى

---

(١)- جرجان: مدينة من مدن خراسان تقع بين خوارزم و طبرستان، بلد كثير الأمطار، متصل الشتاء قريبة من بحر الخزر، تحفها الجبال فهي سهلية جبلية ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٤٣٩.

(٢)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١، ص٢٧٤؛السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٥، ص١٩١.

(٣)- سيرد الحديث عن الجويني بشكل مفصل ضمن شيوخ الغزالي.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص١٩٩؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، مصدر متقدم، ج١، ص٣٠٠.

(٥)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٢٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١، ص٢٧٤.

(٦)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص١٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، مرجع متقدم، ج١١، ص٢٦٦/ معروف (ناجي)، علماء النظاميات و مدارس المشرق الإسلامي، مرجع متقدم، ص٥٤.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١٢٥؛ اليماني، غربال الزمان في وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ص٣٣٥؛ كحالة، معجم المؤلفين، مرجع متقدم، ج١١، ص٢٦٦؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٧، ص٢٢.

(٨)- الزاوية الغربية: الزاوية الشمالية الغربية من الجامع الأموي شمالي مشهد عثمان المعروف اليوم بمشهد النائب؛ النعيمي (عبد القادر): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، مطبعة الترقي، ١٩٤٨م، ج١، ص٤١٣.

(٩)- الاسكندرية: على شط بحر الروم و بها المنارة المشهورة و بها عامود السواري من بناء الاسكندر و لذلك نسبت إليه و هي من أجمل المدن ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص١١٣.

يوسف بن تاشفين ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م[١] سلطان مراكش[٢]، فبلغه نعيه فعاد إلى طوس[٣]، و لكن بما أن يوسف بن تاشفين توفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م و جميع الروايات تؤكد أنه في تلك السنة كان في خراسان و في نيسابور مدّرساً في نظاميتها[٤]. في هذه الحالة فإن أمر ذهابه لمصر أو رغبته في قصد يوسف بن تاشفين مشكوك فيها. لما تولى فخر الملك بن نظام الملك ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م[٥] الوزارة سنة ٤٩٨هـ/١١٠٦م لدى سنجر ت ٥٥٢هـ/١١٤٧م في خراسان ألحّ على الغزالي معاودة التدريس فدرّس في نظامية نيسابور لكنه لم يبقَ مدرساً لمدة طويلة فسرعان ما تركها عائداً إلى بيته و اتخذ في جواره مدرسة للطلبة، و خانقاه للصوفية[٦]، و وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن و مجالسة ذوي القلوب، و القعود للتدريس[٧]، إلى أن توفي سنة ٥٠٥هـ/١١١١م و دفن في طوس[٨].

٢- شيوخه:

تتلمذ الغزالي في مدارس طوس و جرجان، بالتالي فإنه تلقى العلم من مجموعة من الشيوخ أبرزهم:

١- أبو سبل الحفصي ٤٦٦هـ/١٠٧٣م

(١)- يوسف بن تاشفين: ملك الملثمين، اختط مدينة مراكش، كان عظيم الشأن، كبير السلطان وصف بالعدل و الميل إلى أهل العلم و الدين، تملك الأندلس و أقيمت الخطبة في بلاده للخلافة العباسية، توفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م و عهد بالأمر من بعده إلى ولده تومرت؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٢٧، ٤٢٨.

(٢)- مراكش، مدينة محدثة أحدثها يوسف بن تاشفين في أرض صحراوية و جلب إليها المياه و أكثر الناس فيها البساتين العديدة، تقع شمالها مملكة سلا و غربيها البحر المتوسط و شرقيها الجهات التي بين سلجماسة و فارس ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص١٣٥.

(٣)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٤، ص٢١٧؛ السبكي، طبقات الشافعية، مصدر متقدم، ج٥، ص١٩٢.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٢٤.

(٥)- أحمد بن رأس الوزراء نظام الملك الحسن بن علي الطوسي وزر للخليفة و للسلطان و أخر ما وزر للمسترشد بالله ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م ثم عزل بعد سنة و شهر و لزم داره، توفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م و دفن بداره ؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر نفسه، ج٢٠، ص٢٣٦.

(٦)- خانقاه: كلمة فارسية معربة و تعني مسكن الصوفية، و جعلت مقراً لتعبد الصوفية، ظهرت بشكل واسع في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، كما أنها أعدت لكي يخلو الصوفية فيها إلى عبادة الله و تدارس علوم الدين و الفقه. ألتونجي (محمد)، المعجم الذهبي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٩م، ص٢٣٢.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر كتقدم، ج١٧، ص١٢٥، ١٢٦؛ كنعان (محمد بن أحمد): وفيات الأعيان و المشاهير خلاصة تاريخ ابن كثير، بيروت، دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٥٣.

(٨)- الذهبي، تاريخ الإسلام وفيات ٥٠١-٥١٠هـ، مصدر متقدم، ص١٢٦؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، مصدر متقدم، ص١٣٣؛ الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٧.

محمد بن أحمد عبيد الله[١]، روى صحيح البخاري و تتلمذ على يديه أبو حامد الغزالي و آخرون[٢]. كان رجلاً صادقاً مباركاً أكرمه نظام الملك و أجلسه للتدريس بالنظامية كما أنه حضر مجلسه[٣]، توفي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[٤].

ً٢- أبو المعالي الجويني (٤١٩-٤٧٨هـ/١٠٢٨-١٠٨٥م)

ولد عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م في جوين قرية من قرى نيسابور[٥]، تفقه في صباه على والده، و لما توفي جلس مكانه للتدريس[٦]، اهتم بعلم الأصول و سافر في أنحاء المعمورة طلباً للعلم فزار بغداد و خرج للحجاز و بقي في مكة و المدينة أربع سنين يدرس و يفتي و لذلك لقب بإمام الحرمين[٧]، بنيت لأجله نظامية نيسابور فجلس للتدريس فيها و حضر دروسه أكابر الناس . من تصانيفه نهاية المطلب في دراية المذهب، الشامل في أصول الدين، البرهان في أصول الفقه، غنية المسترشدين في الخلاف[٨]. توفي في نيسابور سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[٩].

ً٣- أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي (قبل سنة ٤١٤-٤٩٠هـ)/(قبل سنة ١٠٢٣-١٠٩٦م)

ولد نصر بن ابراهيم بن نصر بن ابراهيم المقدسي قبل سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[١٠]. أصله من نابلس[١١]، لكنه أقام بالقدس سمع بصور ودمشق وديار بكر والقدس الفقه والحديث والعلم[١٢]، ثم أخذ يدرس ما تعلمه فدّرس في صور عشر سنين وانتقل إلى دمشق فأقام فيها مدة لقيه فيها أبو حامد الغزالي و تفقه على يديه و ناظر بالزاوية الغربية، وصفه الذهبي بقوله (كان إماماً علامة مفتياً محدثاً حافظاً ورعاً كبير القدر عديم

---

(١)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٦٣.

(٢)- الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث و وفيات ٤٦١-٤٧٠هـ، مصدر متقدم، ص٢١٣.

(٣)- اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، ص٧٢.

(٤)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٦٣.

(٥)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٣٨.

(٦)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٤٤.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٦، ص٢٤٤، ٢٤٥.

(٨)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٦٨، ١٦٩.

(٩)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص١١٩.

(١٠)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص١٣٦.

(١١)- نابلس: من مدن الشام مدينة السامرية و بها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام و بها حبس عيسى عليه السلام، و عليه الآن كنيسة حسنة يسكنها السامريون؛ الحميري، الروض المعطار، مصدر متقدم، ص٥٧١.

(١٢)- ابن عساكر، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مصدر متقدم، ص٢٨٦.

النظر، كان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض له بنابلس و هو بدمشق فيجيز له كل ليلة قرصة في جانب الكانون[١])[٢]. صنف العديد من الكتب منها التهذيب في المذهب و له كتاب الكافي في المذهب توفي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م[٣].

٣- تلامذته:

بحكم تدريس الغزالي كما سلف الإشارة إلى ذلك في نظامية بغداد و نيسابور اللتين كانتا ملتقى طلبة العلم فلا بد أن يكون قد تتلّمذ على يديه الكثير من التلاميذ و من هؤلاء:

ً١- أبو الفتيان الدهستاني: ت ٥٠٣هـ/١١٠٩م

عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الدهستاني[٤]، طاف خراسان و العراق و الشام و مصر طلباً للعلم[٥]، قال عنه ابن كثير (دار الدنيا و خرج و كان له فهم بهذا الشأن و كان ثقة و قد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين)[٦]، وصفه ابن العماد بقوله (كان ثقة في نقله لكنّه حدّث بطوس)[٧]، توفي سنة ٥٠٣هـ /١١٠٩م[٨].

ً٢- ابن الحمامي[٩] ت ٥١٨هـ/١١٢٤م أو ٥٢٠هـ/١١٢٦م

أحمد بن علي بن برهان[١٠]، كان حنبلياً في البداية لكنه انتقل إلى مذهب الشافعي حيث سرد سبب انتقاله ابن الجوزي قائلاً (كان بارعاً في الفقه و أصوله شديد الذكاء و الفطنة فنقم عليه أصحابنا أشياء لم تحتملها أخلاقهم الخشنة فانتقل و تفقه على الغزالي)[١١]، درّس في النظامية شهراً و من تصانيفه كتاب الوجيز في

---

(١)- الكانون و الكانونة الموقد الذي يُتدفأ به ؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٩٣.

(٢)- الذهبي، العبر في خير من غبر، مصدر متقدم، ج٣، ص٣٣١؛ سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص١٣٨.

(٣)- ابن عساكر، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مصدر متقدم، ص٢٧٨.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١١٨.

(٥)- اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، ص١٣٢.

(٦)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٠٨.

(٧)- ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص١٢.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١١٨.

(٩)- عرف بهذه التسمية لأن أباه كان حمامياً يربي الحمام ؛ ابن الجوزي، المنتظم، مصدر نفسه، ج١٧، ص٢٢٥.

(١٠)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٨، ص٦٩٧.

(١١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٢٥.

أصول الفقه[١]. توفي سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م[٢]، غير أن ابن خلكان جعل وفاته سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦[٣].

٣ً- محيي الدين النيسابوري ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م

محمد بن يحيى النيسابوري الملقب محيي الدين[٤]، تتلّمذ على يد الغزالي و برع في الفقه و الزهد و الورع، درّس في نظامية بلدة نيسابور و رحل إليه الناس من كافة الأقطار[٥]، من مؤلفاته المحيط في شرح الوسيط، و الإنصاف في مسائل الخلاف[٦]، مات مقتولاً على يد الغز عند دخولهم إلى نيسابور سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م[٧].

٤ً- أبو منصور العطار (٤٨٦-٥٧١ أو ٥٧٣هـ/١٠٩٣-١١٧٥ أو ١١٧٧م)

محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم[٨]. درس الفقه و تنقل بين مدن خراسان و درس بطوس على يد أبي حامد الغزالي[٩]، عقد مجالس التذكير و العلم في مدن خراسان ثم خرج إلى العراق عند فتنة الغز في خراسان و من العراق تنقل بين الجزيرة و الموصل و بغداد ملتقياً بالناس وواعظاً إياهم[١٠]. توفي سنة ٥٧١هـ /١١٧٥م[١١] ومنهم من يجعل وفاته سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م[١٢].

٤- مؤلفاته:

وصف الغزالي بغزارة المؤلفات فقال عنه ابن الدمياطي (برع في المذهب و الأصول و الخلاف و المنطق و قرأ الحكمة و الفلسفة و فهم كلام أرباب هذا العلم و تصدى للرد عليهم و إبطال ما ادعوه و صنف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها وآجاد ترتيبها وترصيفها)[١٣]. بالتالي فهو قد ألف في مجالات متنوعة ومؤلفاته حسنة منها:

---

(١)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١، ص٩٩.

(٢)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٢٦.

(٣)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١، ص٩٩.

(٤)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٤٩.

(٥)- ابن الغزي، ديوان الإسلام، مصدر متقدم، ج٤، ص١٣٥.

(٦)- اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، ص٤٢٢.

(٧)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص٢٠٠.

(٨)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٤٦.

(٩)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٥٣٩.

(١٠)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٣٨.

(١١)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٥٤٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٣٨.

(١٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٤٦؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٥٢٦.

(١٣)- ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٧.

ً١- المنقذ من الضلال(١):

ورد ذكره لدى العديد من المؤرخين(٢)، و هو كتاب تناول فيه الغزالي طريقة انقاذ النفس و الروح من ضلالها والارتقاء بها نحو الاسلام الصحيح و تخليصها من أفكار الفلسفة و غيرها من المغالطات التي تؤذي النفس وترمي بها نحو الهلاك.

ً٢- إحياء علوم الدين(٣):

وصفه ابن قاضي شهبة ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م بالإعجوبة عظيم الشأن(٤)، كما ذكره ابن الجوزي بقوله (صنفه في القدس ثم أتمه بدمشق إلّا أنه وصفه على مذهب الصوفية و ترك فيه قانون الفقه)(٥). كما ذكره باسم الإحياء(٦). تناول فيه مواضيع خاصة بالدين و العلوم و ذكر الكثير من الأحاديث النبوية كما ذكر أشياءً خاصة بالمذاهب الفلسفية و علوم الشريعة فجاء كتاباً حسناً نال إعجاب المؤرخين على مر العصور.

ً٣- تهافت الفلاسفة:

ذكره العديد من المؤرخين(٧)، و يتناول الكتاب الفلاسفة و لكن لتفنيد أخطائهم و كشف عوراتهم و توضيح أكاذيبهم داعماً عباراته ببراهين و حجج من الدين. و لقد طبع هذا الكتاب.

أما فيما يتعلق بوجهة نظره في الحكم و السياسة في العالم الإسلامي، و موقفه من بعض الفئات المناوئة للسلطة التي نشرت أفكارها في الدولة العباسية، فقد ألف ثلاثة كتب عدّت نوعاً من الفكر السياسي التاريخي وهي:

---

(١)- حققه جميل صليبا و كامل عياد، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م.

(٢)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٤، ص٢١٧؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، مصدر متقدم، ج١، ص٣٠١؛ اليماني، غربال الزمان في وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ص٤٠٠.

(٣)- طبع في مكتبة زهران، القاهرة، (د، ت).

(٤)- ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، مصدر متقدم، ج١، ص٣٠١.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص١٢٥-١٢٦.

(٦)- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر متقدم، ج٥، ص١٩٩؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٧، ص٢٢.

(٧)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٤، ص٢١٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٢٨؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، مصدر متقدم، ج١، ص٣٠١.

١- التبر المسبوك في نصيحة الملوك[١]

ورد اسمه لدى المؤرخين و الباحثين باسم نصيحة الملوك[٢] حققه أحمد دمج معتمداً في تحقيقه كما ذكر على مخطوطات رمز لها بالنسخة (ك) ، (ن)، (ف) و على النسخة المعربة عن الفارسية من الكتاب التي اعتنى بتصحيحها جلال الدين همائي[٣]، بالتالي فهو كتب باللغة العربية و الفارسية، من عنوانه يفهم بأنه عبارة عن جملة من النصائح التي خص بها المؤلف سلطانه ملكشاه، كي يحميه من الوقوع في الأخطاء و يرتقي بأفعاله إلى المزيد من الصلاح حيث قال (اعلم يا سلطان العالم و ملك الشرق و الغرب بأن كل شيء زائل)[٤] و قال (لا بد من تربية بذر الإيمان في صدرك و سقايتها ماء الطاعة حتى تصير شجرة أصلها ثابت)[٥].

بعد وعظه للملك و ذكره لأصول شجرة الإيمان برأيه[٦] يتحدث عن أدبيات الحاكم و سلوكه الأخلاقي[٧]، لينتقل بعدها سارداً عن حال الوزارة و علاقة الحاكم بوزرائه[٨]، ثم علاقته بكّتابه و أهم الصفات الواجب توفرها فيهم[٩]، ليختم كتابه بالحديث عن النساء فبهنّ عمارة الدنيا و تكاثر بني آدم شارحاً الصفات الواجب توفرها في المرأة الخلوق و واجبات الرجل اتجاهها[١٠].

كلّ ذلك بإسلوب قائم على لغة المخاطبة و بمفردات سهلة أحياناً و في أحيانٍ أخرى مليئة بالجناس والمحسنات البديعية[١١]، مقسماً عمله إلى أبواب وأبوابه إلى فصول وفصوله إلى مجموعة من المواعظ والحكايات والحكم والعبر[١٢]، ذاكراً لمصدر معلوماته و مبتدئاً أخباره بقوله (اعلم أيها السلطان، جاء في الخبر، حكاية، سئل فلان، قال فلان)[١٣].

---

(١)- حققه كما سبق الإشارة محمد أحمد دمج، بيروت، لبنان، دار عز الدين، ١٩٩٦م.

(٢)- اليماني، غربال الزمان في وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ص٤٠٠؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٧، ص٢٢؛ مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي و المؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٣٥.

(٣)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، مقدمة التحقيق، ص٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

(٤)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدرنفسه، ص٨٤.

(٥)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٨٥.

(٦)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٨٤-٨٩، ٨٩-١٣٥.

(٧)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٤٧-٢٢٥.

(٨)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٢٥-٢٣٥.

(٩)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٣٥-٢٤٣.

(١٠)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٩٧-٣١٤.

(١١)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٨٣، ٢٣٢.

(١٢)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٠٢، ١٠٧، ١٩٩، ٢٢٥، ٢٣٥.

(١٣)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٨٩، ٩٩، ١٤٤، ١١٥، ١٩٠، ١٠٠.

بالتالي بعد هذا العرض الموجز فإن دوافع تأليفه لكتابه تكون قد اتضحت فهي تتمحور حول إسداء النصح للسلطان و الحاكم و إرشاده في طريقة معاملته لموظفيه من وزراء و كتّاب و غيرهم[١]، و في معاملته لشعبه[٢]، ليرتقي بحكمه نحو الأفضل.

اشتهر الغزالي بطريقته في التفكير التي قاربت المنهج الفلسفي ولكنه في عرضه لأفكاره السياسية وموقفه من عدة أمور وفي أولها قضية الإمامة و الحكم[٣]. جمع بين بعض الأفكار الفلسفية والعرض التاريخي، بتناوله قصصاً متفرقة و حكم وعبر وطلبه من الحاكم العودة للاقتداء وأخذ العظة من الحكام الفرس ومن الخلفاء في العصر الراشدي والأموي والعباسي[٤].

بالتالي فإن كتابه مهم و تبرز أهميته من كونه:

ًا- ناقش قضية مهمة ألا و هي الإمامة التي تعد من الأركان الأساسية في قيام الدولة، و خاصة في العصر السلجوقي الذي اختلطت و تشعبت فيه الأحداث السياسية لتشارك السلطة فيه بين فئتين و هما السلطان السلجوقي و الخليفة العباسي و لكنه يوجه كلامه في البداية للسلطان ملكشاه فيقول له (اعلم يا سلطان، أنت أيها الملك)[٥].

ً٢- تناول العنصر الأول في الحكم ألا وهو الحاكم، فأشار إلى كونه صفة الصفوة لأنه مختار من قبل الله الذي قدّر له هذا الأمر[٦]، لكن على الرغم من ذلك لا بد له من أن يملك مجموعة من الصفات حددها بفروع شجرة الإيمان من الصدق، والالتزام بالشريعة، والورع والاجتهاد وكثرة العطاء والترفع عن الخسة وحفظ أموال الرعية[٧]، ولكن أكد على العدل لأن به تسير الأمة نحو الصلاح[٨].

كما أنه أشار إلى وظائف الحاكم في سياق حديثه عن سلوكه العملي وأدبه فجاءت كلماته عبارة عن جملة من الوصايا و المواعظ من خلالها أرشد الحاكم إلى طريقة معاملته للرعية بقوله (إذا سألوكم الرحمة فارحموهم ...

---

(١)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٢٢٥/٢٣٦.

(٢)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٢٠.

(٣)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٨٥.

(٤)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٥٨.

(٥)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٨٦.

(٦)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٤٧.

(٧)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٩٠، ٢٢٣، ٢٤٥، ٢٢٠، ٢٠٤.

(٨)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٤٨.

و اعملوا بما تقولون)[١]، و إلى واجبه في حفظ أمن الدولة (فإن أمر الخصوم صعب هائل)[٢]، و إلى دوره في استخراج القنوات و بناء الجسور و القصور كملوك الفرس[٣]، و نشر العدل و السهر على الرعية كالخليفة عمر بن الخطاب[٤]، و إلى طريقته في معاملة علماء الشرع من التقرب منهم و الانتفاع بسلوكهم و معاقبة العالم الفاسد[٥]، و العمل على مراقبة عمال الدولة و الإشراف على سير عملهم لأن إهمال ذلك مدعاة للتمرد و العصيان[٦]، و لكن في الوقت تفسه لا بد من أن يسد حاجاتهم و يؤمن جميع طلباتهم[٧].

٣ً- أما العنصر الثاني المهم برأيه في الحكم فهو الوزير، الذي يُعيّن من قبل الحاكم و له مطلق الصلاحية في عزله أو إبقائه[٨]، يجب برأيه أن يتصف بصفات قائمة على العدل و الأمانة و الشجاعة و الخبرة و حسن الإيمان و أن يكون شيخاً لا شاباً برأيه لأنه يكون أكثر خبرة[٩]، محدداً علاقته مع الحاكم و مشيراً إلى الواجبات الملقاة على عاتقه[١٠]، خاتماً كلامه بأنه لا مكان لوزير خائن برأيه في الدولة التي ينشد لها البقاء و الاستمرار[١١].

٤ً- أما العنصر الثالث الذي فرضته الظروف السياسية و تعقيدات النظم الإدارية فهو الكاتب، فهو لديه نائب عن الوزير[١٢]، يجب عليه أن يمتلك ثقافة واسعة و مهارات تؤهله لهذا المنصب[١٣]، إضافة إلى مجموعة من الصفات الجسدية و الخلقية يجب أن يتحلى بها من صدق و حسن سلوك و خط و دقة و طيبة و ذكاء[١٤]، لأنه سيتولى كتابة مراسلات الوزراء و الحكام و تسطير وثائق الدولة.

---

(١)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٩٨.

(٢)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٥٥.

(٣)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٥٨.

(٤)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٥٨، ١٥٩.

(٥)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١٠٣.

(٦)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١١١، ١١٣.

(٧)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص١١٢.

(٨)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٢٥.

(٩)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٢٦ إلى ٢٢٩.

(١٠)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٢٩-٢٣٠.

(١١)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٢٦.

(١٢)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٣٧.

(١٣)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٣٧-٢٣٩.

(١٤)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٤٠، ٢٤١.

ً٥- أما العنصر الرابع الذي به يستقيم حال ليس فقط الحاكم و إنما الأمة و المجتمع فهو المرأة التي عدها المؤلف من أساسيات الحكم الصالح و بناء دولة و أسرة متماسكة فبصالحها يصلح الفرد و المجتمع فهي المسؤولة عن تربية كل هؤلاء الذين سلف الحديث عنهم، لذلك يُرى بأنه فصّل في الحديث عن صفاتها و واجباتها اتجاه أسرتها(١)، و في المقابل واجبات الرجل اتجاهها(٢)، لكنه اهتم بقضية الزواج الشرعي و الغاية منه والأشياء التي يجب على الرجل الابتعاد عنها عند اختياره لزوجته من عدم الاقتران بأجنبية أو ملحدة ويفضل أن تكون بكراً، حسنة الأخلاق(٣)، وغيرها من الصفات.

ً٦- كما يظهر التفكير السياسي لديه لكن بطريقة فلسفية من خلال الإشارة إلى العقل ومكانته وأقوال الحكماء فيه، لذا لا بد للحاكم من أن يكون عاقلاً، متيقظاً لأنه برجاحة العقل تستقيم الأمور و بفساده تفسد(٤).

بالتالي فإن الغزالي ناقش أفكاره السياسية وموقفه من قضية الحكم بإطار جدلي فكري قائم على أساس الفقه والشريعة الإسلامية مع إدخال بعض الأفكار الفلسفية و كل ذلك في إطار تاريخي من خلال توثيق حديثه بروايات وأحداث تاريخية مستمدة من التاريخ الفارسي و الإسلامي مضيفاً لها شيئاً من واقعه المعاش وذلك في حديثه عن آل سلجوق حيث وصفهم بقوله (لم يبق لخدمة الملوك رونق ولا نضارة إلى أن أوجد الله، بركة آل سلجوق وظل دولتهم إلى النظام وأوصلهم إلى درجة الوزراء المتقدمين و أرفع)(٥).

ً٢- فضائح الباطنية(٦):

ذكره ابن الجوزي بقوله (صنف للمستظهر كتاباً في الرد على الباطنية ذكر فيه آخر مواعظ الخلفاء)(٧)، كما

---

(١)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٣١٠-٣١١.

(٢)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٣١٠، ٣١٥.

(٣)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٣٠٠، ٣١٠.

(٤)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٨٥-٢٩٧.

(٥)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر نفسه، ص٢٣٢.

(٦)- حققه عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار القومية للطباعة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٤م أما الباطنية فهم فئة قديمة من أتباع الدولة الفاطمية نقلوا مركز نشاطهم إلى المشرق و قويت شوكتهم في أيام الخليفة المستظهر ت ٥١٢هـ/١١١٨م فتولى السلاجقة اخضاعهم خصوصاً في أصبهان و أعمالها، ولقد استخدم الباطنية الاغتيال السياسي ضد خصومهم و كانوا عضداً في النزاع السياسي بين أفراد البيت السلجوقي في مرحلة من المراحل فساعدوا فئات ضد أخرى و لكن لمغالاتهم باستخدام العنف سرعان ما تم القضاء عليهم؛ الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٥-١٢.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٩٦.

ذكره مؤرخون آخرون باسم الرد على الباطنية[١]، و لا بد من الإشارة بأن الكتاب حقق أول مرة من قبل جولد تسيهر في ليدن سنة ١٩٠٦م[٢]، لكن قام عبد الرحمن بدوي بإعادة النظر في النسخة فوجدها غير كاملة وفيها نقص كثير فأعاد التحقيق بالاعتماد على مخطوطتين إحداهما تتبع للمتحف البريطاني و رقمها (٧٧٨٢) و عدد أوراقها (١١١) ورقة، و الأخرى تتبع لجامع القرويين بفاس تحت رقم خ.ل (٤٤٢٨) و تقع في (٧٧) ورقة نسخها أبو الحسن علي بن سعيد بن مسعود التملي في مدينة فاس[٣].

صنف هذا الكتاب في الرد على الباطنية، مقسماً إيّاه إلى عشرة أبواب و مفرعاً كل باب إلى العديد من الفصول متناولاً في البداية منهجه المتبع في عرض كتابه و أفكاره القائم على تنظيم المعنى و اللفظ والمقصد، فهو في تناوله للمعنى قصد مسلكاً مقتصداً بين الغوص و التحقيق ، التساهل و التزويق و هذا يلائم أهل العلم الغواصين و عامة الناس كذلك[٤]، أما اللفظ فإنه أحياناً استعان بالإطناب و الإسهاب لأن غايته الشرح و علته الإملال و مال حيناً آخر إلى الاختصار و الإيجاز لأن فيه جمع المقاصد و ايصالها إلى الأذهان[٥].

أما من حيث المقصد فمال إلى التكثير والتطويل وإلى الاقتصار والتقليل ففي هذه الأشياء معاً تجريد القصد إلى نقل خصائص مذاهبهم التي تفردوا باعتقادها عن سائر الفرق[٦]. خاتماً كلامه عنها بأن لكل منها فائدة وآفة و المؤلف الحاذق هو من يستطيع الموازنة فيما بينها[٧]. بعد ذلك ينتقل ليذكر شيئاً من ألقاب الباطنية ونشأتهم[٨]، متطرقاً إلى طرقهم في استمالة الناس[٩]، متناولاً الحديث عن مذهبهم بشكل مفصل[١٠]،

---

(١)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٣٣٨؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، مصدر متقدم، ج١، ص٣٠١؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج٧، ص٢٢.

(٢)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، مقدمة التحقيق، ص١.

(٣)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، مقدمة التحقيق، ص١٢؛ أما مدينة فاس، بالسين المهملة فهي مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، حاضرة البحر و أجلّ مدنه قبل أن تختط مراكش، كثيرة المياه، و فيها يصبغ الأرجوان، وقلعتها في أرفع موضع فيها يشقها نهر يسمى الماء المفروش؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٤، ص٢١٦.

(٤)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٧.

(٥)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٨.

(٦)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٩، ١٠.

(٧)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٧.

(٨)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١١-٢٠.

(٩)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٢١-٣٦.

(١٠)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٧-٥٤.

ومشيراً إلى أدلتهم العقلية التي أوردوها لدعم حججهم في المسائل التي اختلفوا فيها مع غيرهم[١]، عارضاً في الباب السابع الأدلة التي تؤكد بطلان استدلالاتهم بالنص على مسألة الإمامة، متحدثاً عن الفتاوى التي صدرت بحقهم[٢]، ليختم حديثه بإقامة البرهان الفقهي على إمامة المستظهر بالله مشيراً إلى وظائفه الدينية التي بالمواظبة عليها يدوم استحقاق الإمامة[٣].

كل ذلك وفق أسلوب سردي لكنه مبوب كما تم الإشارة لذلك، بألفاظ سهلة، و عبارات قصيرة حيناً، مع إكثاره في أحيانٍ أخرى من الصنعة البديعية و إغراقه في الألفاظ و المعاني الفلسفية[٤] من غير الإشارة إلى مصدر معلوماته إنما يقول (طالعت الكتب المصنفة، اتفقت الأقاويل، قيل)[٥]، كما أن أسلوبه في بعض الأحيان كان قائماً على أساس المحاورة والمجادلة[٦]، فهو يسأل السؤال ثم يضع الإجابة عليه بنفسه[٧]. لكن ما هي الدوافع التي دفعت الغزالي لتأليف كتابٍ في الردّ على طائفة دينية ظهرت قبل زمنه و لكنها قويت بشكل كبير في عهده؟ هل الرغبة في الدفاع عن الخليفة المستظهر. أم بسبب تصرفاتها و أحكامها التي سببت له الإزعاج وزرعت في نفسه بذور الكره لها؟ أو لأنها مارست أعمال القتل و الترهيب ضد الفئات الحاكمة؟ فأراد قتالها ولكن ليس بالسيف كما فعل السلاجقة و إنما بالقلم مفنداً مذهبهم و آراءهم التي لا تمت برأيه للإسلام والعقيدة بصلة. أم تلبية لطلب الخليفة الذي طلب منه تأليف ذلك الكتاب؟.

يقوم بإخبار القارئ عن سبب تأليفه لكتابه بقوله (أما بعد فإني لم أزل مدة المقام بمدينة السلام متشوقاً إلى أن أخدم المواقف المقدسة النبوية الإمامية المستظهرية ضاعف الله جلالها و مدّ في طبقات الخلق ظلالها..... بتصنيف كتاب في علم الدين أقضي به شكر النعمة و أقيم به رسم الخدمة)[٨]، بالتالي فهو متشوق لخدمة الخليفة الذي أصدر له الأمر بذلك بقوله (حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية)[٩].

فبادر متسارعاً إلى الإمتثال لطلبه مصنفاً كتابه حيث قال (استقبلت الآتي بالاعتناق و الالتزام و بادرت إلى الامتثال و الارتسام و انتدبت لتصنيف هذا الكتاب، مبنياً على عشرة أبواب.... و سميته فضائح الباطنية

(١)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٥٥-١٣٢.

(٢)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٣٢-١٦٨.

(٣)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٦٩-٢٢٥.

(٤)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١، ١١، ٣٠.

(٥)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدرنفسه، ص٩، ٣٨، ١٤٣.

(٦)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٣٢.

(٧)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٤٣، ١٥٦.

(٨)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٢.

(٩)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٣.

وفضائل المستظهرية)[١]، ومضمناً كتابه على تفنيد آرائهم و تبيان كذبهم حيث قال (مشتملاً على الكشف عن بدعهم و ضلالاتهم، و فنون مكرهم و احتيالهم، و وجه استدراجهم عوامّ الخلق و جهالهم و إيضاح غوائلهم في تلبيسهم و خداعهم و انسلالهم عن رقبة الإسلام، و انسلاخهم و انخلاعهم و إبراز فضائحهم و قبائحهم بما يفضي إلى هتك أستارهم و كشف أغوارهم)[٢].

تبرز أهمية الكتاب فيما احتواه من أفكار سياسية عرضها الغزالي مبيناً من خلالها موقفه من الخلافة و من الفئات المناوئة لها، فالكتاب انقسم إلى قسمين، الأول يعمل على تكفير الباطنية الذين يتبعون في خلافتهم للدولة الفاطمية في مصر و لكنه لم يكفرهم إلا بعد السؤال عن معتقداتهم وأفكارهم فهو يقول(لم نتسارع إلى التكفير إلاّ بعد السؤال عن معتقداتهم ومقالتهم)[٣]، لم يكتف بتكفيرهم بل عمل على تكذيب حججهم التي برهنوا من خلالها على صحة معتقدهم حيث قال (و طريقتنا أن نرتب شبههم على أقصى الإمكان ثم نكشف عن مكمن التلبيس فيها)[٤]، كما بين بأن أفكارهم غير مستمدة من الفلسفة و الأديان القديمة فقط و إنما محرفة عنها أيضاً[٥]، و لم يصفهم إلا بالكفر فهم كفار في نشأتهم و في صفاتهم و في غرضهم الهادف إلى إبطال الشريعة[٦].

وبعد أن يفند مذهب الباطنية و يكفرهم ينتقل إلى القسم الثاني من كتابه متناولاً فيه الإمامة والحكم و بما أن للإمامة مكانة كبيرة في الفكر الشيعي و مذهب الباطنية فإنه يعمل على إثبات أنّ الإمامة الحقة من حق الإمام المستظهر بالله حيث قال (ثم نختم الكتاب بما هو السر و اللباب و هو إقامة البراهين الشرعية على صحة الإمامة للمواقف المقدسة النبوية المستظهرية بموجب الأدلة العقلية و الفقهية على ما أفصح عن مضمونه ترجمة الأبواب)[٧].

فهو يشرح مسألة الخلافة منذ وفاة الرسول الكريم محمد (ص) و حتى زمانه[٨]، متطرقاً بعدها للصفات الواجب توفرها في الخليفة و التي يالطبع توفرت جميعها في شخصية المستظهر بالله [٩]، شارحاً وظائفه التي يقوم بها

---

(١)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٥.

(٢)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٣.

(٣)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٤٦.

(٤)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٧٣.

(٥)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٨، ٣٥.

(٦)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٣-٣٧.

(٧)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٠.

(٨)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٧١.

(٩)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٨١-١٨٥.

و التي بالمداومة عليها يتم استقصاء النفس و المحافظة عليها(١)، كما أنه يقوم بتزويد الخليفة بمجموعة من النصائح التي سردها من خلال ذكره لقصص تقود للخلفاء في العصور المختلفة(٢).

كما يؤكد بأنه يجب على جميع الفئات طاعة الخليفة، فطاعته واجبة مستدلاً على ذلك بآيات من الذكر الحكيم حيث قال (كيف لا أسارع إليه؟! وإن لاحظت جانب الأمر ألفيته أمراً مبلغه زعيم الأمة و شرف الدين و منشؤه ملاذ الأمم أمير المؤمنين وموجب طاعته خالق الخلق رب العالمين إذ قال الله تعالى: « و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم »(٣))(٤).

بالتالي فهو مؤرخ ناقد و سياسي حاذق لكنه موالٍ للسلطة الشرعية وموالاته لها نابعة من أسس دينية، فقهية، ومعارضٌ في الوقت نفسه للفئات التي تسعى لزلزلتها وهدم كيانها ومؤيد في الوقت نفسه أيضاً للفئات الداعمة للخلافة المخلصة لها ألا وهم السلاجقة(٥)، لكنه لم يترك الخليفة بعد إثبات شرعيته على هواه و إنما نصحه مبيناً له واجباته وحدوده وداعياً إياه للعدل والتمسك بالشريعة.

٣- قواصم الباطنية(٦):

ذكره السخاوي تحت اسم القواصم في الرد على شبه الباطنية(٧)، كما ذكره عبد الرحمن بدوي في مقدمة تحقيق كتابه فضائح الباطنية(٨).

من الوهلة الأولى يعتقد القارئ بأن كتاب القواصم، و فضائح الباطنية هما اسمان لكتاب واحد و لكن هذا ليس بصحيح و إنما هما كتابان منفصلان و الدليل على ذلك وجود مخطوطة له تحمل اسم قواصم الباطنية مع وجود رقم لها و هو (nr, 127/3) و ذكرُ المؤرخين له كما سلفت الإشارة لذلك.

يتألف الكتاب من مقدمة و أربعة قواصم و كلها تدور حول الأشياء التي يحصل بها القضاء على الباطنية و قصم ظهرهم حيث قال (فخذ هذه القواصم الأربع فإنها قصيرة عن طويلة، و هي على إيجازها موضحة منهج

---

(١)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص١٩٥.

(٢)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٢٢٠، ٢١٣، ٢١٦.

(٣)- سورة النساء آية رقم ٦.

(٤)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٣.

(٥)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص٨٣.

(٦)- حققهAhmet Ateşو نشره في مجلة İlahiyat Fakültesĭ Dergĭsĭ, Ankara ünivers‏ĭtesĭ, I-II, 1954.

(٧)- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لم ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٣٥.

(٨)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، مقدمة المحقق، ص٧.

الحق و سبيله)[1]، بعد ذلك يبدأ بالحديث عن قواصمه فالأولى تستأصل أول الكلام و فاتحته[2]، و الثانية تقص جناح الكلام[3]، و الثالثة كذلك[4] أما الرابعة فإنها تقمع ذنابة الكلام و خاتمته[5]. خاتماً كلامه عنهم بقوله (فهذا القدر يكفي في قصم الخصم، و من أراد مزيداً لتفاريق الشبهات ففي الكتاب المستظهري كفاية له)[6].

أما نهاية المخطوطة فقد ختمت بخاتمة الناسخ و ليس المؤلف حيث قال (تمت القواصم بحمد الله و منّه وحسن توفيقه و فرغ منها في محرم سنة أربع و أربعين و خمس مائة عورض بأصل ناسخ منه و لله الحمد)[7].

كل ذلك بأسلوب سردي و عبارات قصيرة واضحة، و لكنها في الوقت نفسه تقترب من الكلمات الفلسفية والأفكار الفلسفية، عارضاً للعديد من الأمثلة و مفسراً و محللاً إياها بالشكل الذي يستنبط من خلاله صحة الآراء التي أورد من أجلها الأمثلة لتدعيمها[8]، كما يلاحظ بأنه لم يتطرق لمصدر معلوماته إنما اكتفى بعبارات مثل (قيل، أن نقول، إنما يقال)[9].

أما غرضه من تأليف كتابه فهو إيجاز كتاب المستظهري و مساعدة القارئ على فهم موقفه من الباطنية من خلال كتابه هذا حيث قال (إلى ما التمسته من كلمات وجيزة، جليلة تقصم ظهور الباطنية، و تستأصل دابر أباطيلهم و تقلع عن الصدور مادة تخاتلهم بحيث يستغنى إيجازها عما طوّلنا به النفس في الكتاب الملقب بالمستظهري، فقد يغتر عن فهمه ذهنك أو يقصر عن الإحاطة بمجامعه رأيك)[10].

أما الفكر السياسي لديه في هذا الكتاب فيظهر من خلال:

١- عرض شبهة الباطنية و أفكارهم الكاذبة و الرد عليها و توضيح سبب انخداع الناس بأقوالهم حيث قال (و هو أركّ من أن ينخدع به ذو بصيرة لولا أن الشيطان كان للإنسان خذولا)[11].

---

(١)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٣.

(٢)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٤-٣٧.

(٣)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٧-٣٨.

(٤)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٨-٤٠.

(٥)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٤٠-٤٣.

(٦)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٤٣.

(٧)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٤٣.

(٨)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٥، ٣٦.

(٩)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٤، ٣٥، ٣٧.

(١٠)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣١.

(١١)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٣.

ً٢- العمل على استنباط الحق و تكذيب أقوالهم حيث قال (الغرض من هذا هو الاستنطاق بالحق)[١].

ً٣- يبين لهم بأنهم لم يفرقوا بين الشيء و عكسه و هذا ما أدى بهم إلى الوقوع في الخطأ.

ً٤- يسخر من قولهم بالمعلم المعصوم، فالمعلم المعصوم بقوله هو الرسول الكريم الذي نزل عليه القرآن أما غيره من الشخصيات فلا عصمة لهم، حيث قال (فقد زاد معلمكم على الرسول الله (ص) فإن اليهود والنصارى و عبدة الأوثان كلهم كانوا يشاهدون صورته و يسمعون منه حجج القرآن، ثم اختلفوا و انقسموا إلى من فهم فقبل، و إلى من قصر فأنكر، كما اختلف الذين سمعوه من غيرهم فلعل حجة معلمكم أقوى من حجة القرآن)[٢].

ً٥- و هدفه الرئيسي بالتالي قصم أفكارهم و التخلص منهم، حيث قال (فلنذكر ما به يحصل قصم الخصم)[٣]، يفهم من هذه العبارة بأنه نظر إليهم على أنهم خصوم له سواء في المجال الفكري الفلسفي الذي اشتهر به أو في المجال الديني الذي تزهد و تبحر فيه.

في نهاية الحديث عن الغزالي و مؤلفاته لا بد من توضيح المنهج الذي اعتمد عليه في التدوين؟ أكان سردياً أم حولياً؟ جدلياً؟ أم ماذا يا ترى؟

ً١- وصفت كتاباته بأنها فلسفية فقهية في إطارٍ تاريخي و ذلك من خلال توجيه كتبه لشخصيات حاكمة، وذكره للعديد من القصص و الحكايات و الأمثلة عن شخصيات حاكمة تدعم الأقوال التي يتناولها[٤].

ً٢- أسلوبه سردي في الغالب لكنه مبوب أي مقسم إلى أبوابٍ و فصول[٥]، بعبارات سهلة في بعض الأحيان ومليئة بالجناس و المحسنات البديعية و الألفاظ الفلسفية[٦]، كما لجأ إلى استخدام الأسلوب الجدلي و لغة الخطاب في مواضع كثيرة[٧].

ً٣- لم يرغب في الإطالة إنما كان دائماً يميل إلى الاختصار من خلال تأكيده بأنه كلما كانت العبارات مختصرة أدت غرضها، و إن الإغراق في التفاصيل يسبب تشويشاً للقارئ[٨].

---

(١)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٥.

(٢)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٤٢.

(٣)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٤.

(٤)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص١١٥، ١٤٠؛ فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٢١٣.

(٥)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٢٢٥؛ قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٨.

(٦)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر نفسه، ص٣٣؛ فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٠-٤٠.

(٧)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر نفسه، ص١٤٣، ١٤٥؛ قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٧، ٤٠.

(٨)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٢٤٠؛فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٧، ٧٢، ١٦١.

ً٤- لم يكن مجرد ناقل إنما أبدى رأيه في ما نقله محللاً الكثير من البراهين و موضحاً إياها[١].

ً٥- يستشهد بالكثير من آيات الذكر الحكيم باستخدامه إياها داعمة لأقواله أو موضحة لها، و في أحيانٍ أخرى يذكر الآية الكريمة التي تدل على معنى و هدف معين[٢].

ً٦- يستشهد بأحاديث الرسول الكريم (ص) أيضاً لنفس الهدف ألا و هو دعم أقواله و تفسيرها، لكن يلاحظ عدم اهتمامه بذكر أسانيد الأحاديث إنما فقط يقول (روي عن الرسول (ص))[٣].

ً٧- أما موارده التي اعتمد عليها في كتاباته فهي: روايات شفهية: اعتمد عليها بكثرة بل ميزت كتاباته فقد جمع معظمها من خلال حضوره لمجالس العلماء و استماعه إلى الكثير من الروايات و العلوم التي دونها في مؤلفاته بقوله (يروى، قال، قالت الحكماء، سئل، حكي، قيل)[٤].

أما موارده الأخرى فلا يفصح عنها إنما يسرد أخباره و يفسر آراءه و ما يقول عن الكلمات و العبارات التي يأخذها من غيره (قال فلان، وجدت أن، مما تطابق عليه النقلة، أن نقول)[٥].

وفي نهاية الحديث عن الغزالي و فكره السياسي و منهجه في كتابة التأريخ بإسقاطه على السياسة ينتهي الحديث عن رواد الحركة التأريخية الذين سكنوا العراق في العصر السلجوقي هؤلاء الذين اشتغلوا في التأريخ لدوافع وغايات مختلفة فمنهم من اهتم به لأسباب دينية وآخرين عمِلوا به بناء على طلب من فئات حاكمة و بعضهم دخل ميدانه بناءً على رغبة شخصية و حباً في اكتساب معارف جديدة، وفئات دخلت عالمه رغبة منها في إيجاد حلولٍ لمشكلات واجهتها في عصرها و لم تستطع إيجاد حلول لها إلا بالالتجاء نحو التأريخ وعالمه الواسع. فأُسست مدارس وتكونت اتجاهات تدوينية حولية، و محلية، سياسية واقعية و تراجم و كلها تعبر عن رغبة واحدة و هدف واحد ألا وهو حفظ التأريخ من الضياع و تسطيره للأجيال القادمة و تصحيح المعلومات المغلوطة فيه، لأخذ العظة و العبرة منه في النهاية.

---

(١)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص١٤٦، ١٥٦، ٢٢١.

(٢)- الغزالي، قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٤، ٤٤؛ فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص١٢، ١٥٦، ١٩٦.

(٣)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٩٦، ٩٧؛ فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص١٩٧/١٦٠.

(٤)- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص٩٩، ١٠٠، ١٦٧؛ فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص٢١٣؛ قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٥.

(٥)- الغزالي، فضائح الباطنية، مصدر متقدم، ص١٨؛ قواصم الباطنية، مصدر متقدم، ص٣٤؛ التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مصدر متقدم، ص١٠٧-١٢٥.

الفصل الرابع:

نماذج من المؤرخين الوافدين إلى العراق

أولاً: محمد بن عبد الملك الهمذاني ٤٦٣- ٥٢١هـ / ١٠٧١ – ١١٢٧ م

ثانياً: ابن الأزرق الفاروقي ٥١٠ – بعد ٥٧٢هـ/١١١٦ – بعد ١١٧٦م

شكلّ العالم الإسلامي مجالاً واسعاً لرحلة العلماء في القرنين الخامس و السادس للهجرة/ الحادي عشر و الثاني عشر للميلاد. تنقل هؤلاء من مناطقهم إلى مناطق أخرى طلباً للعلم، وكانت تنقلاتهم متجهة بشكل خاص نحو العواصم الكبرى و لا سيما بغداد ، التي كانت من مراكز التدوين التأريخي الهامة نظراً لمكانتها السياسية، الدينية، العلمية، و الجغرافية.

وفد إلى العراق في العصر السلجوقي عدد كبير من المؤرخين، شاركوا في حلقات علمها و صنعوا شيئاً من تاريخها لذا سيتم التطرق لنماذج منهم، تركوا نتاجاً أغنى المصادر التأريخية، وهم :

أولاً: محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمذاني (٤٦٣- ٥٢١هـ)/(١٠٧١ – ١١٢٧ م)

١-حياته:

محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن أحمد أبو الحسن الهمذاني الفرضي بن الشيخ أبو الفضل [١]، ولد في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م [٢]، كان والده عبد الملك رجلاً ورعاً، دعي إلى القضاء مراراً فلم يجب إلى ذلك ، و كان معروفاً بالفرائض[٣]، و لذلك يقال في نسبته أحياناً الفرضي، كما لحقت هذه النسبة بابنه محمد ، و لقد نقل الصفدي كلاماً عن لسان الهمذاني متحدثاً عن طفولته حيث قال: (كان أبي إذا أراد أن يؤدبني، يأخذ العصا بيده و يقول: نويت أن أضرب ابني تأديباً كما أمرني و إلى أن تتمّ له النية أهرب منه)[٤]، سكن بغداد و بها نشأ و وصفه ابن الجوزي قائلاً عنه (من أصحاب التاريخ و من أولاد المحدثين و الأئمة، ذكر شيخنا عبد الوهاب ما يوجب الطعن به)[٥]، سمع العديد من شيوخ بغداد[٦]، و كان فاضلاً حسن المعرفة بالتواريخ و أخبار الدول والملوك و الحوادث و قيل عنه بأنه به ختم فن التاريخ[٧]، توفي فجأة سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م[٨].

(١)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٧.

(٢)- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ، مصدر متقدم، ج٦ ،ص ١٣٥.

(٣)- الفرائض، مفردها فرض و هو ما أوجبه الله عز و جل و سمي بذلك لأن له معالم و حدوداً و رجل فارض و فريض أي عالم بالفرائض كقولك عالم و عليم؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٣، ص٣٣٨٧.

(٤)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٨.

(٥)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٤٨.

(٦)- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٥؛ الزركلي، الأعلام، مصدر متقدم، ج٦، ص٢٤٨.

(٧)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٢٧٦.

(٨)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص١٠ ؛ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، مصدر متقدم، ج٢، ص٥٤ ؛ البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين من كشف الظنون، مرجع متقدم، ج٥، ص٨٥ ؛عباس (احسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع متقدم، ص٨٣ ؛ لويس (برنارد)، مؤرخو العرب و الإسلام، مرجع متقدم، ص١٠٢.

و دفن إلى جانب أبيه عند قبر أبي العباس بن سريج(١) يحيط الغموض بمراحل كثيرة من حياة الهمذاني و هذا تعريف بسيط به تم جمعه من كتب التراجم و التأريخ التي لم تهتم بتسليط الضوء على مراحل حياته بقدر ما اهتمت بتوضيح معنى نسبة الهمذاني و ما المقصود بها، فقد اختلف المؤرخون حولها فمنهم من قال بأن الهمذاني بالذال نسبة إلى همذان(٢)، وهؤلاء كثر(٣)، و آخرون(٤) قالوا الهمداني بالدال نسبة إلى همدان(٥)، ولئن اختلف في هذه النسبة إلى همذان أو همدان فإنه يبقى ابن بيئته و بيئته اشتهرت بالعلم و عصره كان عصر تدوين و تنوير، ساعده في بناء شخصيته و تأليفه للعديد من المؤلفات التأريخية.

٢- شيوخه:

تتلمذالهمذاني على يد شيوخ و علماء عصره، حيث ضمت بغداد عدداً كبيراً من العلماء ممن عرف بسعة العلم و المعرفة ، لكن لم تذكر كتب التاريخ التي ترجمت له سوى شيخين له و هما:

ً١- ابن النقور (٣٨١-٤٧٠هـ/٩٩١-١٠٧٧م)

ولد أحمد بن محمد بن عبد الله في سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، عاش في بغداد و سمع من علمائها لينتقل بعد ذلك إلى رواية الحديث بعد أن أُجيز له ذلك، فرحل إليه الناس من مختلف الأقطار(٦)، عرف بصدقه و تحرّيه للروايات التي يرويها، شغله أصحاب الحديث عن الكسب لعياله فأفتاه الشيخ أبو اسحاق الشيرازي بجواز أخذ أجرة عن التحديث فكان يأخذ عن كل جزء أجيز له روايته و تفرد به ديناراً سكن في الكرخ،

(١)- ولد أحمد بن عمر بن سريج سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م، ولي قضاء شيراز و كان من شيوخ الشافعية الكبار دفن في بغداد في حجرة سويقة غالب سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ؛ ابن الجوزي المنتظم، مصدر متقدم، ج١٣، ص١٨٣.

(٢)- همذان: مدينة كبيرة من مدن فارس الجبلية، مساحتها أربع فراسخ، انهدمت أجزاء منها، اتصفت بسعة رقعتها و هوائها اللطيف، و لم تزل محل سرير الملوك و لا حدّ لرخصها و كثرة أشجار الفواكه فيها؛ القزويني، آثار البلاد و أخبار العباد، مصدر متقدم، ص٤٥٧.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٢٤٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر متقدم، ج٩، ص١٠ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، مصدر متقدم، ج٢، ص٥٤، ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم ،ج٤، ص٣٧ ؛ السبكي طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٥.

(٤)- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مصدر متقدم، ج١، ص٣١٠ ؛ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٧٨؛ البغدادي، هدية العارفين، مرجع متقدم، ج٥، ص٨٥.

(٥)- همدان: بفتح الهاء و سكون الميم و فتح الدال المهملة و بعد الألف نون و اسمه أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة، أوسلة وبن الخيار بن مالك بن يزد بن تهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، شعب عظيم ينسب إليه خلق كثير من الشعراء الفرسان و العلماء؛ الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، مصدر متقدم، ج٢، ص٤٢٦.

(٦)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٧٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٨، ص٣٥.

و توفي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م [١]، و دفن في مقابر الشهداء[٢] بباب حرب[٣].

٢- النقيب أبو الفوارس طراد الزينبي (٣٩٨-٤٩١هـ/١٠٠٧-١٠٩٧م):

ولد طراد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م[٤]. سمع الحديث الكثير و لقب فيما بعد بالكامل و كان رسولاً إلى ملوك الأطراف بالعراق، وصف بسداد الرأي والشهامة ، وجودة الجواب، ورفاعة المنزلة، وصلاح السيرة[٥]، تولى النقابة على العباسيين[٦] في سنة سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م. وحجّ في سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م مملياً الحديث بمكة والمدينة، روى عنه جماعة من المشايخ، و قد تورّع قوم عن الرواية عنه لصحبته للسلاطين[٧]، توفي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م وقد جاوز التسعين من عمره[٨]، ودفن في داره بباب البصرة[٩].

٣- تلامذته:

لكل مؤرخ العديد من التلاميذ الذين حضروا مجالسه وسمعوا الكثير من علومه وروّوا عنه بعد أن أجاز لهم، و تأكد من قدراتهم العلمية، لكن بالنسبة للهمذاني أغفلت معظم كتب التراجم ذكر تلامذته و اقتصرت جميعها على تلميذ واحد ألا و هو ابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ/١١٠٥-١١٧٥م) ولد علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م[١٠]. سمع عدداً كبيراً من الشيوخ بلغ عددهم ألف و ثلاثمائة شيخ و من النساء بضع وثمانون امرأة، رحل إلى العراق ومكة والمدينة وارتحل إلى بلاد العجم فسمع بأصبهان و نيسابور وغيرها من مدن خراسان.

---

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٦، ص١٩٣.

(٢)- مقابر الشهداء: في بغداد من قنطرة باب حرب فهي نحو القبلة عن يسار الطريق لا يعرف لما سميت بذلك الإسم ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص١٩٠.

(٣)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٠١.

(٤)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١٦، ص٤١٩.

(٥)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٣، ص٣٣٣.

(٦)- النقابة: من الوظائف الشريفة و المراتب النفيسة موضوعها التحدث على ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من جهة فاطمة بنت الرسول (ص) و سموا بالأشراف أيضاً ، و كان يعبر عنها في زمن الخلفاء بنقابة الطالبيين؛ القلقشندي، الصبح الأعش في صناعة الانشا، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٨.

(٧)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٧، ص٤٣.

(٨)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٩٩.

(٩)- باب البصرة: من أبواب بغداد الأربعة بناه أبو جعفر المنصور ت١٥٨هـ/٧٧٤م، وكان يدخل منه القادم من فارس والأهواز و واسط و البصرة و اليمامة و البحرين ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٢، ص٥٤٤.

(١٠)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٢٤.

و سمع دروس الفقه بالمدرسة النظامية[١]، كان ديّناً خيّراً. أعرض عن المناصب وأكثر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صنف العديد من المؤلفات من أشهرها تاريخ دمشق في ثمانين جزءاً، الموافقات في اثنين و سبعين جزءاً، و الأطراف للسنن الأربعة في ثمانية و أربعين جزءاً، و معجم شيوخه في اثني عشر جزءاً، ومناقب الشبان في خمسة عشر جزءاً، وفضل أصحاب الحديث في أحدَ عشر جزءاً، وتبين كذب المفتري على الشيخ أبي الحسن الأشعري في جزء واحد[٢]. توفي في سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م في مدينة دمشق[٣].

٤- مؤلفاته:

ألّف الهمذاني في التاريخ بشكل عام سواء أكان في التاريخ السياسي الحولي مقتفياً خطا الطبري ، أو في السير، أو في الطبقات، ولكن للأسف معظم هذه المؤلفات مفقود ولم يُحفظ منها إلّا كتاب واحد و شذرات من كتب أخرى حفظت في مؤلفات المؤرخين الذين نقلوا عنه، بالتالي لا بدّ من التعرف على هذه المؤلفات و هي:

ً١- ذيل ذيّل به على تاريخ الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم البغدادي الذي سمّاه (أخبار السير التالية على تجارب الأمم الخالية) وهو ذيل على كتاب تجارب الأمم لمسكويه وهو بحكم المفقود[٤].

ً٢- أخبار الوزراء يذكر الصفدي بأنه ذيل به على كتاب الصابئ[٥] بينما يذكر السخاوي في معرض حديثه عن المؤلفات المتعلقة بالوزراء فيقول(وأما الوزراء فلأبي بكر الصولي، وفيه غرائب لم تقع لغيره وأشياء انفرد بها لأنه شاهدها ثم ذيل عليه محمد بن عبد الملك الهمذاني)[٦]، بينما يذكر كل من السبكي ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م والبغدادي، في كتابيهما الكتاب تحت اسم أخبار الوزراء[٧].

هناك خلاف فيما إذا كان الهمذاني في كتابه ذيل على كتاب الصولي أو الصابئ ولكن بما أن الصابئ ذكر في كتابه الوزراء بأنه ذيل على كتاب الصولي و لكن كانت لديه انتقادات حول طريقته[٨]،

---

(١)- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٧، ص٢١٥.

(٢)- اليافعي، مرآة الجنان، مصدر متقدم، ج٣، ص٢٩٧.

(٣)- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر متقدم، ج٦، ص٣٩٥، ٣٩٦.

(٤)- الصفدي، الوافي بالوفيات،، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٨ ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٥؛ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ج١٧٨.

(٥)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٨.

(٦)- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١١٩.

(٧)- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٥؛ البغدادي، هدية العارفين، مرجع متقدم، ج٥، ص٨٥.

(٨)- الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مصدر متقدم، ص٤.

فيكون الهمذاني ذيّل على الكتاب الذي ذيل على كتاب الوزراء للصولي، فالصولي أقدم من الصابئ الذي كتب كتابه و أنجزه قبل وفاته فمن غير الممكن أن يكون ذيل على كتاب الصولي و لم يقرأ كتاب الوزراء للصابىء الذي ذاع صيته في بغداد في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد وهو القرن نفسه الذي عاش فيه المؤرخ، و لا بد من الإشارة بأن الكتاب بحكم المفقود، و لو كان موجوداً لزال الشك الذي أصاب نفوس المؤرخين و الباحثين في التاريخ.

ً٣- كتاب طبقات الفقهاء: مفقود أيضاً، من عنوانه يفهم بأن موضوعه خاص بالفقهاء و لكن هل كان عن الفقهاء الشافعية؟ أم أجمل فيه فقهاء بغداد على اختلاف مذاهبهم؟ أم كان خاصاً بطبقات منهم دون غيرها؟ أم قام بترتيبه على نسق حروف المعجم؟[١].

ً٤- أخبار دولة السلطان محمد[٢] و محمود[٣] السلجوقيين، يبدو بأنه كتاب سير أفراد خصصه للحديث عن الدولة السلجوقية في عهديهما و هو كذلك مفقود[٤].

ً٥- كتاب أمراء الحج من زمن النبي (ص) حتى أيامه، مفقود لم يذكره سوى الصفدي [٥]. يلاحظ من عنوانه بأنه بحث في أمر من ترأس مواكب الحج منذ أيام الرسول محمد (ص) إلى أيامه و هذا ليس بغريب عن المؤرخين فكثير منهم كان يذكر ضمن أخبار السنة التي يتحدث فيها عمن ترأس موكب الحج مفصلاً أحياناً في الحديث عنها[٦].

ً٦- كتاب في الشؤم مفقود[٧].

---

(١)- السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٢١؛ عباس (احسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع متقدم، ص٨٣.

(٢)- السلطان محمد: محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، التركي السلجوقي توفي والده سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، فاقتسم مع إخوته مملكة والده، تولى السلطنة و عظم شأنه و دانت له البلاد، عرف بعدله و حسن سيرته توفي سنة ٥١١هـ/١١١٧م ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٩، ص٥٠٦.

(٣)- السلطان محمود: محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي تملك بعد أبيه سنة ٥١١هـ/١١١٧م، و هو حدث، خطب له على منابر بغداد، كان ذكي فطن، له معرفة بالنحو و ميل إلى العلم و نظر في التاريخ، ضعفت دولة بني سلجوق في أواخر أيامه مات بهمذان، سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م؛ الذهبي، سير أعلام نبلاء، مصدر نفسه، ج١٩، ص٥٢٤.

(٤)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٧؛ مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي و المؤرخون، مرجع متقدم، ج١، ص٣٦٩.

(٥)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٧.

(٦)- الصابئ، كتب التاريخ، مصدر متقدم، ج٣٤، ص١٤٨.

(٧)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٢٣٧؛ عباس(احسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع متقدم، ص٨٤.

ً٧- عنوان السير في محاسن أهل البدو و الحضر، ذكره بهذا الاسم البغدادي في هدية العارفين[١]، و قبله ذكره ابن العديم ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م في نقوله عنه في بغية الطلب في تاريخ حلب[٢]. بينما ذكرته معظم المصادر باسم عنوان السير[٣]. ولكن بما أن الكتاب بحكم المفقود، و الموجود منه شذرات في بغية الطلب جمعها إحسان عباس في كتابه شذرات من كتب مفقودة في التاريخ[٤].

لكن هل الكتاب الذي ذكره ابن العديم هو الكتاب ذاته الذي أشار إليه المؤرخون الأخرون أم هو كتاب أخر مختصر له. و لكن من خلال مطالعة الشذرات التي جمعها احسان عباس من بغية الطلب يلاحظ بأنه عبارة عن مجموعة من السير والتراجم لحكام الجزيرة الفراتية، وحلب ودمشق من الحمدانيين، والمروانيين[٥]، و بعض الوزراء السلاجقة ولم يكن مرتباً على السنين، ولكن بما أنه عثر منه على شذرات متفرقة فمن غير الممكن التعرف من خلالها على منهج و أسلوب المؤلف، هل أورد تراجمه مرتباً إياها على حروف المعجم؟ أم بحسب سنوات الوفيات؟ أم بحسب الأسر التي انتمت لها؟ أم فرّق بين تراجم الوزراء و تراجم الحكام و باقي الفئات الأخرى؟.

يلاحظ في تناوله لتراجمه بأنه تحدث بمعلومات مقتضبة، فيورد أولاً من سبقها بالحكم إذا كانت الشخصية من الحكام و متى تولت منصبها، و يذكر بعدها أحداثاً هامة قامت بها ذاكراً بعضاً من صفاتها و خاتماً إياها بحادثة وفاتها و تاريخ الوفاة[٦].لابد من الإشارة بأنه يعتقد بأن الكتاب السالف الذكر موجود بالكامل في عقد الجمان للبدر العيني، ولكن كلها آراء و اعتقادات بحاجة إلى إثبات.

ً٨- الذيل على تاريخ الطبري: ذكره معظم الذين ترجموا للهمذاني باسم الذيل على تاريخ الطبري[٧]، و لم يذكر معظمهم من أية سنة بدأ بالتذييل و في أيّة سنة انتهى هذا الذيل باستثناء كل من القفطي الذي ذكر في كتابه أخبار العلماء حيث قال بعد حديثه عن ذيل هلال الصابئ (ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال

(١)- البغدادي، هدية العارفين، مرجع متقدم، ج٥، ص٨٥.

(٢)- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، مصدر متقدم، ج٣، ص١١٣٠.

(٣)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٧؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٥؛ لويس (برنارد)، مؤرخو العرب و الإسلام حتى العصر الحديث، مرجع متقدم، ص١٠٣.

(٤)- عباس (احسان)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، مرجع متقدم، ص٨٥ إلى ٩٠.

(٥)- المروانيين: نسبة إلى مروان بن لك فرع من فروع الأكراد و تولى الحكم سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م و به ابتدأت الدولة، تأسست في ميافارقين و آمد و ديار بكر و مدت نفوذها على مناطق أخرى من الجزيرة الفراتية أشهر حكامها أبو علي بن مروان و أبو نصر بن مروان و غيرهم. لكنها انهارت و حلت محلها الأسرة الأرتقية التي تولت حكم ميافارقين من بعدهم؛ ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٦٠، ٧٩، ٢٤٨.

(٦)- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٤٩٩.

(٧)- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج٤، ص٣٧/ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر متقدم، ج٦، ص١٣٥.

وهو كتاب حسن إلى بعد سنة ٤٧٠هـ بقليل و قصر في آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم به ثم داخله ابن الهمذاني و تممه إلى بعض سنة ٥١٢هـ)[١]. كما تطرق حاجي خليفة لذكره في كتابه في موضعين جاعلاً من هذا الذيل مكملاً لذيل غرس النعمة محمد [٢]. و لم يهمل السخاوي الحديث عنه في كتابه حيث قال (وذيّل عليه محمد بن عبد الملك الهمذاني من الأيام المقتدرية[٣] إلى عضد الدولة أبي شجاع في أول سنة ستين و ثلاثمائة)[٤].

بالتالي فإن السخاوي قد اختلف مع غيره من المؤرخين في تحديد السنة التي انتهى عندها ذيل الهمذاني فهل يا ترى هذا كان كل ما شاهده السخاوي من الذيل و عثر عليه؟ أم أن الجزء الثاني من الذيل الذي ينتهي بسنة ٥١٢هـ/١١١٨م قد فقد من أيام السخاوي و لم يعثر عليه؟ أم أن هذا الذيل ليس للهمذاني و إنما لآل الصابئ، الذين ذيلوا على تاريخ الطبري من سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م حتى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م و هذه المدة متداخلة بل هي نفسها التي عُنيَ الهمذاني بالتأريخ لها و بمطالعة ما بقي منها يلاحظ وجود نقاط مشتركة مع تأريخ آل الصابئ و لكن بما أن تواريخ آل الصابئ في معظمها مفقودة كما أن تأريخ الهمذاني مفقودة أجزاء منه أيضاً فمن غير الممكن إثبات هل الذيل على تاريخ الطبري هو من نتاج الهمذاني؟ أم استقاه من أعمال آل الصابئ و نسبه لنفسه؟

و لكن على الرغم من ذلك ستتم دراسته و التفصيل في منهجه و ذلك لأن الباحث ألبرت كنعان حققه و نسبه للهمذاني، و بانتظار أبحاث جديدة تذيل الغموض المحيط بهذا الذيل؟

طبع هذا الذيل تحت اسم تكملة تاريخ الطبري (الجزء الأول)[٥]، و هو الكتاب الوحيد كما سبق الإشارة المنسوب للهمذاني الموجود في الوقت الحاضر لذا لا بد من دراسته لمعرفة محتواه و استنتاج أسلوب المؤرخ فيه.

١- صفة الكتاب:

حولي سردي، جامع لأخبار بغداد و ما جاورها من مناطق و ما اعترضها من مشاكل و ما هددها من أعداء إضافة إلى ذكر من تولى أمرها من خلفاء و وزراء بين عامي (٢٩٦-٣٦٦هـ)/(٩٠٨-٩٧٦م)، مع ذكر من تولى فيها من الأعيان و الحكام.

---

(١)- القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر متقدم، ص٧٧.

(٢)- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مصدر متقدم، ج١، ص٢٩٠، ٢٩٨.

(٣)- الأيام المقتدرية نسبة إلى الخليفة المقتدر بالله جعفر بن أحمد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم في أيامه اضمحلت دولة الخلافة العباسية و صغرت خلع مرتين و أعيد، كان جيد العقل، و الرأي و لكنه كان يؤثر اللعب و الشهوات قتل سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٤، ص٩٨.

(٤)- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٧٨.

(٥)- حققه ألبرت كنعان، و طبعته المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، ١٩٦١م.

٢- الخطة العامة للكتاب:

يقع في جزء واحد حققه ألبرت كنعان معتمداً على نسخة مصورة ميكرو فيلم تعود للأستاذ حبيب الزيات و هي نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة باريس الأهلية و رقمها (١٤٦٩)، عدد أوراقها (١٥٤) ورقة و في كل ورقة (١٩) سطراً، و قاعدة الخط مغربية سهلة[١].

يبتدىء الكتاب بمقدمة يحمد فيها الله و يثني على رسوله الكريم محمد (ص). ويدعو فيها للإمام المستظهر بالله ذاكراً بعد ذلك فضل التاريخ و أهميته و الأسباب التي دفعته للتأليف فيه[٢]، لينتقل بعدها إلى متن كتابه ذاكراً أولاً، لمحة عن خلافة المقتدر بالله العباسي ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م و لقد علل هذا البدء بقوله (و لما ختم ابن جرير تاريخه سنة اثنين و ثلاثمائة و هي السنة السابعة من خلافة المقتدر رضي الله عنه و أشار إلى الأمور إشارة خفية رأيت أن أبتدي بخلافته و وقت بيعته و بالله التوفيق)[٣].

لينتقل بعدها بشكل مباشر للحديث عن أحداث سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م[٤]، ويستمر في تسلسل سنواته حتى يصل إلى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م حيث تجاوز سنتين ليتناول أحداث سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م و لينهي كتابه بأحداث سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م خاتماً هذا الجزء بقوله (آخر الجزء الأول و تتلوه في الثاني مملكة عضد الدولة أبي شجاع، والحمد لله حق حمده و صلواته على سيدنا محمد النبي و آله الطاهرين و سلم تسليماً)[٥].

لم يوزع الهمذاني أحداث كتابه في أبواب و فصول و إنما وزعها على السنوات فاصلاً أحداث سنة عن أخرى بالإبتداء بأخبار السنة الجديدة بالكتابة بحروف كبيرة تمييزاً لها، جاعلاً لكلّ خليفة حيزاً خاصاً به من أحداث السنوات[٦]، متطرقاً للحديث في كل سنة عن ما جرى فيها من النواحي السياسية و العسكرية إضافة إلى التطرق إلى أوضاع بغداد الاقتصادية و الاجتماعية و بعض الأحداث البارزة التي حدثت في ما جاورها من مناطق بلاد الشام و غيرها من الإمارات المتوزعة في أرجاء الدولة العباسية بشكل مختصر و مقتضب و مشيراً إلى بعض الشخصيات البارزة التي توفيت في هذه السنة، و ذاكراً لمصدر معلوماته في معظمها[٧]، مع إغناء كتابه بكثير من الأشعار التي ذكرها في معرض ترجمته لشخصيات كثيرة وجدت في بغداد[٨]، مبتدئاً

(١)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، مقدمة التحقيق ص ٢، ٣.

(٢)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٣، ٤.

(٣)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٣.

(٤)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٥.

(٥)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٦.

(٦)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٧١، ١١٩.

(٧)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٤٥، ١٤.

(٨)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ١٩، ٧٦.

مروياته بعبارات من قبيل (و فيها، و في هذه السنة، ورد الخبر، قال، حكى)[١].

ثم التطرق بعبارات مقتضبة إلى خطة الكتاب و لكن يتردد سؤال في الأرجاء، ما هي الدوافع التي دفعت الهمذاني لتأليف كتابه؟ أهي الرغبة في تزويد الناس بمعلومات عن الأمم السالفة و أحوالها رغبة في أخذ العبرة و العظة؟ أو لاقتفاء أثر تلك الأمم؟ حيث يقول (فإن علم التاريخ رغب في الاطلاع عليه سادة الأمم و القبائل و أهل المحامد و الفضائل الأئمة من ولد العباس رضوان الله عليهم، و هي الأسرة الطاهرة.... و كانوا أكثر الخلق رواية لمن تقدمهم، وآثار من كان قبلهم فما كان في ذلك من الاستقامة في الأحوال كان بالنعم مذكوراً وما شاهدوا فيه من الاختلال كان منبهاً و منذراً)[٢]، أم الرغبة في إكمال عمل أُعجب به وهو تاريخ الطبري؟ فأراد أن ينجز عملاً مشابهاً له و على نسقه مكملاً إياه من حيث توقف؟ حيث يقول (لم أرَ أجمع لهذا العلم من كتاب محمد بن جرير الطبري فرأيت أن أضيف إليه مجموعاً عولت فيه على ما نقلته من تصانيف المؤرخين... ، و أضفت إلى ذلك ما حفظته من شعر الشعراء و حكايات العلماء تشهد بالحال)[٣]، أم الرغبة في التأريخ للدولة العباسية التي يفتخر بها و يدافع عنها و يدافع عن إمامه المستظهر بالله الذي أهداه كتابه هذا خاتماً إياه بذكر مناقبه و سيرته الحسنة حيث قال (ليؤرخ من مناقبها ما لا تتعلق النجوم بأذياله و تقتصر عين الزمان عن شماله)[٤] و ختمه بقوله (ختمته ببيعة سيدنا و مولانا الإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين الذي قضى حق الله في بريته و ارتسم أمره في رعيته فمن نظر في فضائله داوى فكرة العليل و شحذ طبعه الكليل)[٥].

بالتالي فإن عشق التأريخ و الإعجاب بمؤلفات من سبقه و احترامه لإمامه و رغبته في تقديم عمل مهم له كل هذه الأشياء كانت من المسببات التي أدت إلى تأليف هذا الكتاب.

عولجت دوافع التأليف و بعدها لا بدّ من الانتقال لتدارس أهمية هذا المؤلف كمصدر من مصادر التاريخ في العصور الإسلامية.

يعدّ هذا الكتاب قبل كل شيء النتاج الوحيد المنسوب للهمذاني و الباقي من مؤلفاته في الزمن الحاضر والذي مكّن من الاطلاع على أسلوب المؤرخ الحولي، السردي، وتوضيح طريقته في انتقاء المعلومات و جمعها وترتيبها.

كما عرض صورة واضحة لحال بغداد السياسي في المدة الواقعة بين أواخر القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد

(١)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، ص ٨، ١٣١، ١٤٦، ١٤٩، ١٧٧.

(٢)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ١.

(٣)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٣.

(٤)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ١.

(٥)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٣.

والنصف الأول من القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد من خلال تطرقه للحديث عن منصب الخلافة و أوضاع كل خليفة على حده[١]. و ما عاشته الدولة من تقلبات في منصب الوزارة يضاف إليها فتن داخلية نشبت بين فئات العامة و الجند من الأتراك[٢]. إضافة إلى رصد التحركات المستمرة للروم و اعتدائهم على أراضي الدولة العربية و موقف الدولة العباسية و الإمارات الشامية منهم[٣]، مع الإشارة للدولة الإخشيدية[٤] الناشئة في مصر و علاقتها مع الدولة الحمدانية في موصل و حلب و موقف الخلافة العباسية إزاء كل واحدة منها[٥]. و لم ينسَ الهمذاني التطرق للحديث عن آل بويه و بروزهم على المسرح السياسي كقوة ناشئة[٦]، بالتالي رسم الخارطة السياسية لبغداد و المناطق المحيطة بها في تلك الحقبة الزمنية مراعياً التسلسل الزمني و الاختصار في عرض المعلومات.

كما أنه من خلال ذكره لمجموعة من الأخبار مكّن من التعرف على أوجه الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة من خلال حديثه عن مناسبات الزواج و الختان و طقوسهما و الممارسات الدينية التي كانت تمارس في بعض المناسبات[٧]. وحديثه عن حالة بغداد العمرانية و الحرائق التي كانت تنشب فيها و الإنهدامات التي أصابت أبنيتها و قناطرها بفعل الفيضانات أو نتيجة لعوامل أخرى[٨]، كماأنه أشار إلى بعض الحالات المرضية التي أصابت العامة كانتشار الأوبئة[٩]، إضافة إلى إشارته لدور بعض فئات المجتمع و شخصياته و خاصة المرأة سواء أكانت جارية أم قهرمانة[١٠] أم أمّاً للسلطان و الدور الذي لعبته في قصر الخلافة في بغداد[١١].

كما رصدت من خلاله معلومات عن الحالة الاقتصادية في بعض السنوات من غلاء للأسعار نتيجة لارتفاع

---

(١)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، ص ٧٢، ٩٤، ١١٩، ١٤٤.

(٢)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٨، ١٩، ٨٠.

(٣)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ٤٨، ١١١، ١٣٨.

(٤)– الدولة الإخشيدية: تأسست بفضل طغج بن جف و ابنه محمد بن طغج الذي أسس دولته في مصر سنة ٣٢٣هـ /٩٣٥م و بلاد الشام. واستمرت الدولة في سيطرتها و بسط نفوذها على المناطق حتى سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، حيث قضت عليها الدولة الفاطمية التي نشأت في المغرب و سيطرت على مصر منهية عهد هذه الدولة؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر متقدم، ج٣٧، ص٤٧٠.

(٥)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، ص ١٥٢، ١٤١، ١٤٦، ١٢٩.

(٦)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٧)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١٧، ٤٨، ٩٢.

(٨)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١٦، ١٢٦، ١٨٣.

(٩)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١٧٠.

(١٠)– قهرمانة: مدبرة البيت و متولية شؤونه و هو لفظ فارسي معرب؛ القلقشندي، الصبح الأعش في صناعة الإنشا، مصدر متقدم، ج١٤، ص٤٠٧.

(١١)– الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، ص٨١.

الضرائب المفروضة أو بسبب قلة الغلات و الوباء و الفتن و الفيضانات[١]. أو كثرة في الغلال بسبب توفر المياه و استقرار الأوضاع السياسية[٢]، و بما أن المؤرخ كان مهتماً بالحالة الاقتصادية فاهتمامه بها دفعه لمراقبة الطبيعة و وصف حالها و معلوماته تعد من الأهمية بمكان لأنه مكّن القارئ من التعرف على التاريخ الذي وقعت فيه الزلازل التي تعرضت لها بغداد و بعض المناطق الأخرى[٣].

والتعرف على حالة الطقس و أوقات هبوب الرياح الباردة أو الجافة أو حدوث ظواهر طبيعية في غير أوقاتها[٤]، إضافة إلى رصد منسوب مياه دجلة من زيادة أو نقصان و أوقات حدوث الفيضانات[٥].

كما تبرز أهمية الكتاب أيضاً من خلال حفظه للكثير من الأبيات الشعرية لشعراء كثر، فلا تكاد تخلو سنة من السنوات التي تحدث عنها المؤرخ من بيت شعري لشخصية ترجم لها أو لأشعار تصف وقائع و أحداث تحدث فأورد هذه الأشعار لإغناء أقواله[٦]. بالتالي فإن الهمذاني كان من ذواقة الشعر و الأدب لم يقتصر على ذكره بكثرة و إنما قام بشرحه في بعض الأحيان لتوضيح معناه[٧]. كما حوى الكتاب بين دفتيه تراجم لشخصيات كثيرة من سياسيين و قضاة و فقهاء و حتى نساء أفادت هذه التراجم بإعطاء معلومات عن الأطياف المختلفة التي سكنت في بغداد و بلاد الشام و مكانة كلّ شخصية و الأعمال التي قامت بها[٨].

لكن يلاحظ على الرغم من كل هذه المعلومات التي استقيت من هذا المُؤَلف فإن الهمذاني لم يكن معاصراً للأحداث و إنما ناقل عن غيره، كتب عن حقبة لم يعشها فجمع المعلومات و حفظها من الضياع و هذا ما يدعم القول بأن كتابه ربما هو جزء من تواريخ آل الصابئ.

لا بدّ في نهاية الحديث عن الهمذاني من توضيح الملامح العامة لإسلوبه في التدوين التاريخي ياترى أكان مجدداً؟ أم ناقلاً عن غيره؟ أم مبدعاً لطرق و أساليب ميزته عن المؤرخين الذين عاصروه و جاؤوا من بعده؟.

١- يلاحظ بأن أسلوبه حولي سلك مسلك الطبري ، فهو يجمع أخبار كل سنة على حده و عنوان هذه الأخبار (سنة كذا...، فيها...)[٩].

---

(١)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، ص١٣٨، ١٥٢، ١٢٦.

(٢)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٢١، ٤٨، ٩٣.

(٣)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٣١.

(٤)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٢١، ١٧٤.

(٥)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٢٢، ٣١، ١٢٧.

(٦)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٧، ٨٧، ١٩٨.

(٧)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٢٠٥.

(٨)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٣٧، ٤٩، ١١٠.

(٩)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١١، ٧٣، ١٣٠.

ً٢- أسلوبه أيضاً سردي للأخبار، سهل التعبير، لا حشو فيه و لا زخرف كما أن جملته الأخبارية قصيرة لا يغالي في سرد الحوادث[١]، و إنما يميل إلى انتقاء المعلومات و الاختصار كقوله (و لو تتبعت أمثال هذا لأطلت)[٢]، كما أنه مال بشدة للاختصار فإن أخبار بعض سنواته لم تتجاوز بضعة أسطر[٣].

ً٣- أما موارده التي اعتمد عليها في كتابه فقد انقسمت إلى:

١- روايات شفهية: تميزت بالدقة و لكن يلاحظ بأن الهمذاني لم يهتم بسلاسل الإسناد في ذكره لمروياته فكثيراً ما كان يذكر الرواية دون ذكر قائلها و في أحيان أخرى اقتصر على ذكر شخص أو اثنين من رواة الخبر، فهو كثيراً ما يقول: (ورد خبر، قال فلان، حكي، سمعت)[٤]، ربما لم يهتم بذكر سلاسل الإسناد لأنه لم يكن فقيهاً و إنما مال في كتاباته إلى الجانب التاريخي السياسي، أكثر من رصده للمحدثين و للحالة الدينية.

٢- مؤلفات من سبقه: كان ناقلاً عن غيره بامتياز فهو اطّلع على هذه المؤلفات و استمد منها معلومات بشكل كامل في مواضع كثيرة من غير ابداء لرأيه في هذه المنقولات فهو في أخباره يذكر اسم الكتاب الذي نقل عنه بقوله (قال الخطيب في تاريخه، قال الشيخ أبو اسحاق في كتاب الفقهاء)[٥]. بينما في أحيان أخرى يذكر اسم المؤلف فقط فيقول (حكى التنوخي، حكى هلال بن المحسن)[٦]. و لا بدّ من الإشارة بأنه في مقدمة كتابه قام بتعداد المؤرخين الذين اعتمد عليهم و نقل عنهم بقوله (عولت فيه على ما نقلته من تصانيف المؤرخين وتأليف المحققين كالصولي و التنوخي و الخطيب أبي بكر أحمد بن ثابت المحدث و أبي اسحاق الصابئ وأولاده و ابن سنان و غير ذلك)[٧].

٣- مشاهداته: لم يذكر في كتابه معلومات كثيرة عن أخبار شاهدها وحضرها بنفسه باستثناء إشارته إلى بعض الأبنية وأحوالها في عهده كتحول بعض المنازل إلى مدارس وانهدام أجزاء من مباني في زمانه كانت قائمة في الحقبة التي كتب عنها[٨].

ً٥- أما منهجه في التراجم فلم يكن متبعاً لمنهج محدد و إنما جاءت تراجمه في بعض الأحيان في بداية أخبار السنة وأحياناً أخرى في منتصفها وأخرى في آخرها، كما أن بعض السنوات خلت من ذكر من توفي فيها،

(١)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، ص٤٨.

(٢)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٣)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٢١.

(٤)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١١٤، ١٥٣، ١٧٧، ١٦.

(٥)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١٠، ١١٥، ١٣٠.

(٦)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١٦٣، ١٧٧، ١٥٤، ٢١٩.

(٧)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٨)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١٦٣، ١٤٨.

كما أنه لم يذكر في الترجمة سوى اسم المترجم له و تاريخ وفاته(١)، و تنوعت ما بين رجال سياسة، و علم وقضاة و نساء و زهاد و شعراء(٢)، و لم يكن مهتماً بذكر رأيه في هذه الشخصيات و إنما فقط كان سارداً لها بقوله (و في هذه السنة مات، و بها مات، مات)(٣).

في النهاية لا بدّ من الإشارة بأن الهمذاني ابن عصره سار على خطا من سبقه لكنه كان مؤرخاً متحرراً قليلاً من الاعتماد على الدين، مائلاً للحياد، و شارحاً أفكاره بلغة بسيطة و بكلمات مختصرة، مما أعطى مؤلفه أهمية كبيرة، و لكن للأسف معظم مؤلفاته التأريخية بحكم المفقود و لو وجدت لزودت الباحثين بمعلومات إضافية عن الهمذاني و طرقه في التدوين التاريخي لكونه مؤرخاً وفد إلى بغداد و نشأ فيها و صبغته بصبغتها العلمية المميزة.

(١)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر متقدم، ج١، ص١٢، ١٣، ١٩.

(٢)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١١٤، ١١٥، ٩، ١٧.

(٣)- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، مصدر نفسه، ج١، ص١٥، ٣١، ٥٠.

ثانياً: ابن الأزرق الفارقي: (٥١٠- بعد ٥٧٢هـ/١١١٦- ١١٧٦م)

شخصيات كثيرة وفدت إلى العراق و نهلت من بحار علمه و معارفه، فلم تكفها المعارف التي اكتسبتها في مدنها التي نشأت و استقرت بها مما دفعها إلى الاتجاه نحو العراق عاصمة العلم و الثقافة من هذه الشخصيات كان ابن الأزرق الفارقي الكاتب و المؤرخ الذي وفد نحو بغداد خلال مراحل حياته و استمد من علومها لذا لا بدّ من التعرف عليه و على منهجه في التأريخ.

١- حياته:

ولد أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق بميافارقين سنة ٥١٠هـ/١١١٦م[١]، يحيط الغموض بمراحل حياته الأولى و المتأخرة لمجموعة من الأسباب أهمها: بأن المؤرخ قصرّ في الحديث عن نفسه في مؤلفاته كما أن المؤرخين اللاحقين له الذين ألفوا في كتب التراجم و كتبوا في تاريخ المنطقة التي تتواجد فيها ميافارقين أغفلوا ذكر ابن الأزرق الفارقي لأسباب لم تعرف فهم لم يذكروه في تراجمهم باستثناء كل من ابن خلكان ، و ابن العديم، اللذين ذكرا اسمه و اسم كتابه كمصدر اعتمد عليه في كتابة بعض تراجمها و في كتابة بعض الأحداث التي تناولتها كتابيهما حيث قال ابن خلكان في معرض حديثه عن نصر الدولة بن مروان[٢]، (حكى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه)[٣] أما ابن العديم فأكثر من الاقتباس منه حيث قال (قرأت في تاريخ ميافارقين تأليف أحمد بن يوسف بن علي الأزرق قال...)[٤]. كما أن هناك مؤرخ متأخر هو السخاوي الذي ذكر اسمه في معرض حديثه عن تواريخ المدن حيث قال(ميافارقين: لأحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق القاضي)[٥]. بالتالي ستتم جمع شذرات حياته بالاعتماد على كتابه و على الدراسات الحديثة التي تناولت هذه الشخصية[٦].

نشأ ابن الأزرق كما يبدو في عائلة كريمة يعتقد بأنه كانت لها مكانتها في الحياة السياسية في ميافارقين فقد

---

(١)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٨٤.

(٢)- صاحب ديار بكر و ميافارقين، أحمد بن مروان بن دوستك الكردي عرف منه حزمه و عدله، خلف عدة أولاد، وزر له الوزير أبو القاسم بن المغربي صاحب الأدب مرتين، ثم وزر له فخر الدولة بن جهير، توفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج١٨، ص١١٧.

(٣)- ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١، ص١١٧.

(٤)- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٣٠١.

(٥)- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٦٧.

(٦)- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع متقدم، ج٥، ص٤٤٣؛ الدرع (مريم)، موارد ابن العديم التاريخية ومنهجه في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، رسالة لنيل درجة الدكتوراه اشراف سهيل زكار، جامعة دمشق١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج٢، ص٧٣٥؛ زكار (سهيل)، الموسوعة الشاملة، مرجع متقدم، ج١١، ص٥٠١٦، ٥٠١٧؛ الزركلي (خير الدين)، الأعلام، مرجع متقدم، ج١، ص ٢٧٣.

تولى جده[١]، منصب ناظر[٢] حصن كيفا[٣] في أواخر أيام بني مروان[٤]. كما أنه كان ضمن السفراء الذين ذهبوا إلى السلطان[٥] حين رغب أهل ميافارقين في أن يكون الحاكم عليهم فخر الدولة محمد بن جهير ت ٤٨٣هـ/١٠٩٠م[٦].

أهمل ابن الأزرق الفارقي الحديث عن طفولته و صباه لينتقل للحديث عن شبابه و العلوم التي تزود منها، فهو لم يمكث بشكل متواصل في ميافارقين و إنما رحل في أرجاء المعمورة فوفد بغداد و فيها قرأ القرآن و درس الفقه و الفرائض و اللغة و النحو و الحديث و التفسير و سمع لكثير من كبار الشيوخ فيها، فقرأ القرآن على الشيخ عبد الوهاب الخفاف ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م[٧]، و أبي منصور الرزاز ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م[٨]، و أخذ النحو و اللغة عن الشيخ أبي منصور الجواليقي ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م[٩]. و الحديث عن ابن السمرقندي ت ٥٣٦هـ /١١٤١م[١٠] و عبد الوهاب الأنماطي ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م[١١].

---

(١)- هو الرئيس أبو الحسن علي بن الأزرق ؛ابن الأزرق، التاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢١٦.

(٢)- ناظر: المعبر عنه في مصطلح الدواوين المعمورة بالصحبة الشريفة فموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه و يشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه و يوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له؛ القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصدر متقدم، ج٤، ص ٢٩.

(٣)- حصن كيفا: مدينة من ديار بكر على دجلة بين جزيرة ابن عمر و ميافارقين؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٣٨١.

(٤)- ابن الأزرق، التاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢١٦.

(٥)- أما السلطان فهو ملكشاه بن ألب أرسلان ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م.

(٦)- فخر الدولة بن جهير: ناظر ديوان حلب من رجالات العلم حزماً و دهاءً، سعى للقدوم نحو بغداد و ولي وزارة القائم بأمر الله ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م و لما بويع المقتدي أقره على الوزارة و استدعاه السلطان ملكشاه ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م فقعد له على ديار بكر و حكم ميافارقين فيما بعد، ولد سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م و توفي بالموصل سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر متقدم، ج١، ص١٢٢؛ ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٢٣.

(٧)- عبد الوهاب بن محمد المالكي المقرئ الخفاف أبو الفتح ابن الصابوني، من قرية المالكية، روى عن النعالي و ابن البطر و طبقتهما و كتب و حصّل و جمع أربعين حديثاً و تصدر للإقراء توفي سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص١٦٠.

(٨)- سيرد الحديث عنه فيما بعد.

(٩)- سيرد الحديث عنه فيما بعد.

(١٠)- أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي دمشقي المولد ولد فيها سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، بغدادي الموطن سمع من الخطيب البغدادي و أبي اسحاق الشيرازي و حدث عنه ابن عساكر، عاش إلى أن صار محدثاً بارزاً في بغداد، و أملى بجامع المنصور، كان ثقة و توفي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص ٢٨، ٢٩.

(١١)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق سهيل زكار، مصدر متقدم، ج١١، ص٢٣٤، ٢٤١؛ سيرد الحديث عنه فيما بعد.

شغف المؤرخ بعلم التاريخ واهتم به وبالكتابة فيه و اطّلع على كثير من الكتب التاريخية فكان معجباً بتاريخ الصابئ حيث قرأه و ضمّن كتابه بعضاً من أخباره(١)، كان واسع الثقافة، وسعة ثقافته ومكانة أسرته العالية أهلته لتولي مناصب في الدولة التي كانت قائمة في منطقة ميافارقين وديار بكر(٢) وحصن كيفا فإنه تولى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م الإشراف على الأوقاف(٣) بظاهر ميافارقين(٤).

و في سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م تولى نظارة حصن كيفا ثم عاد إلى ميافارقين بعد مدة ليتولى الإشراف على أوقافها(٥). لم تقتصر المناصب التي تولاها على بلاد المسلمين فقط و إنما خدم ملك الكرج في بلاد الأبخاز(٦)، حيث يقول (دخلت إلى تفليس في سنة ٥٤٨هـ فأقمت بها ثم وصلت إلى خدمة ملك الأبخاز وبقيت عنده و خرجت معه و سرت في ولايته معه)(٧).

يعتقد من هذا القول بأنه كان ضمن سفارة أرسلت لغرض معين إلى تلك البلاد، أو من الممكن أن يكون ذهب لتلك البلاد رغبة منه في التعرف على مناطق جديدة، لذا بقي مدة في تلك البلاد ضمن بلاط حاكمها، و لكن هل كان من الممكن لإنسان عادي أن يتصل بحاكم البلاد و يدخل ضمن بلاطه؟. من غير الممكن إذا لم يكن يتصف بصفة رسمية معينة تدفع الملك للاستعانة و الوثوق به.

وصفه معظم الباحثين بكثرة الترحال(٨)، فهو نفسه يصف رحلاته بين دفتي كتابه مؤرخاً لها و موثقاً لمشاهداته فيها.

---

(١)- ابن الأزرق، التاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٦٥.

(٢)- ديار بكر: بلاد كثيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل وحدّها ما غرّب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة منه، و من قواعدها الهامة حصن كيفا و آمد و ميافارقين و قد تتجاوز دجلة و لكن لا تتجاوز السهل؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، مصدر متقدم، ج٢، ص٥٤٧.

(٣)- الأوقاف من الوقف و هو حبس الأرض لغرض معين و خاصة على المساكين؛ ابن منظور، لسان العرب، مصدر متقدم، ج٥، ص٤٩٨.

(٤)- ابن الأزرق، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٤٨.

(٥)- ابن الأزرق، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٢٩٥.

(٦)- بلاد الأنجاز: اسم ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب، و هي جبال صعبة المسالك وعرة لا مجال للخيل فيها تجاور بلاد اللان، أما أبخاز فهي المعقل الرئيسي لمن سكن تلك البلاد و لذا سميت باسمها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١، ص٨٥.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢١٢.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٥٠١٦؛ الزركلي، الأعلام، مرجع متقدم، ج١، ص٢٧٣.

جال ابن الأزرق في البداية في منطقة الجزيرة أي محيطه القريب منه فأول منطقة خرج إليها هي ماردين(١) حيث قال (و في سنة ٥٢٩هـ سافرت من ميافارقين إلى ماردين و لم أكن قبل ذلك خرجت من ميافارقين و بقيت فيها مدة)(٢). شاهد في رحلته الكثير من معالمها و عاد لزيارتها سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م و سنة ٥٤١هـ /١١٤٦م(٣). كما أنه زار آمد(٤) سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م و زارها برفقة والده سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م، كما أنه مر بها سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م عند عودته إلى ميافارقين(٥)، و في زياراته هذه رصد حال آمد و حال سكانها و موقفهم من حكامها.

أما الموصل فقد كان الفارقي مكثراً من زيارتها، فقد زارها سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م و سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م(٦)، كما أنه في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م زارها حيث قال (كنت في هذه السنة بالموصل)(٧)، و حل في هذه الزيارة في ضيافة القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م(٨)، فتناقش معه في كثير من المسائل ذكرها في أثناء حديثه عن هذه الزيارة(٩).

أما زيارته الأهم فكانت لبغداد فقد زارها ثلاث مرات و في كل زيارة كان يبقى فيها مدة من الزمن ينهل من علومها و يحضر مجالسها، فقد تلقى الفارقي العلم فيها كما نضجت معارفه في أرجائها، زيارته الأولى لها كانت سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م و أقام بها إلى سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م رأى في هذه الزيارة أولاد الخلفاء و أكثرهم من

---

(١)- ماردين: قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر و دارا و نصيبين و ذلك الفضاء الواسع و هي ربض عظيم فيه أسواق كثيرة و خانات و مدارس و ربط و دورهم فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى و كل درب فيها يشرف على ما تحته من الدور، و عندهم عيون قليلة الماء و جل شربهم من صهاريج معدة في دورهم ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج٥، ص٤٦.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٢٩.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٢٣٩، ٢٤٣.

(٤)- آمد: مدينة أولية من ديار بكر و هي على غربي دجلة كثيرة الشجر و الزرع و عليها حصن عظيم و سور من الحجارة السود التي لا يعمل فيها الحديد و لا تضرها النار و السور يشتمل عليها و على عيون ماء و لها بساتين و مزارع كثيرة ؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٣٨٧.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٣٤/٢٣٦، ٣١٧.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٢٤٨.

(٨)- سيرد الحديث عنه فيما بعدضمن شيوخ المؤرخ.

(٩)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٢٤٣.

أولاد المقتدي ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[١]، والتقى أيضاً بشيوخه و نهل منهم[٢]. أما زيارته الثانية فكانت سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م حتى سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م حيث رأى فيها الخليفة المقتفي ت ٥٥٥هـ/١١٥٩م[٣] و حضر مراسم زفافه[٤]، أما زيارته الأخيرة فكانت سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م[٥].

و من مدن و عواصم الإمارات الإسلامية زار ابن الأزرق دمشق عاصمة الأمويين فيما مضى و المقر المهم للعلم و المعرفة في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، فقد تحدث عن زيارته بقوله (وفي سنة ٥٦٢هـ سرت من ميافارقين إلى دمشق و اجتزت .... وصلت إلى دمشق في السابع عشر من رمضان ولقيت المولى كمال الدين قاضي قضاة ابن الشهرزوري حرس الله ظله و لقيت منه كل إحسان و أقمت بدمشق إلى الواحد و العشرين من ذوي القعدة وردّ إليّ النظر في أوقاف دمشق بظاهرها و أقمت بدمشق)[٦].

بقي في دمشق مدة طويلة عمل في أثناء ذلك بوظيفة رسمية كما أنه حضر مجالس علمها و أرّخ لأحداث مهمة وقعت فيها كزلزال سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، حيث وصفه بدقة متناهية واصفاً ما تركه من خراب و دمار في مدن الشام[٧]. كما تطرق للحديث عن غزوات الفرنجة و ما ألحقته من أضرار في المنطقة مشيراً في حديثه إلى القافلة التي غادرت دمشق سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م متوجهة نحو مصر في السنة نفسها التي عاد فيها إلى ميافارقين[٨].

في نهاية الحديث عن الرحلات التي قام بها ابن الأزرق الفارقي لا بدّ من الإشارة إلى رحلته إلى بلاد الكرج[٩]، حيث زار المؤرخ هذه البلاد سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م فقد وصل تفليس و دخل في خدمة ملكها الذي أطلق عليه

---

(١)- المقتدي بالله: عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله. بويع بالخلافة بعد وفاة جده القائم سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، توفي والده في حياة جده القائم أما أمّه فهي أم ولد اسمها أرجوان، كانت أيامه خيرة، مات فجأة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م و بويع بعده لابنه المستظهر بالله ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مصدر متقدم، ج٥، ص٣٧٣.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٢١، ٢٣٤.

(٣)- المقتفي لأمر الله: محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بالله، ولد في بغداد سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م و بويع بالخلافة سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م كان عاقلاً لبيباً، صارماً، جواداً محباً للحديث و العلم، مكرماً لأهله، حسن السياسة توفي سنة ٥٥٥هـ /١١٥٩م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٣٩٩.

(٤)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٥١.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٣٠٦.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٢٩٨.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٣٠٢.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر نفسه، ص٣٠٤، ٣٠٥.

(٩)- جورجيا حالياً: للمزيد عنها انظر اسكندر (فايز): الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج،الاسكندرية دار الفكر الجامعي، (د، ت)، ص١٠، ٣٠.

ديميطري بن داود وسار في أنحاء مملكته مقدار سبعين يوماً مجتازاً مدن بلاد الكرج من الدربند[١] و غيرها وأقام في تفليس مدة و كانت له مع الملك قصص رواها في كتابه[٢]. غادر هذه المنطقة سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م متجولاً في مدن أخلاط[٣] و أرزن الروم[٤] و غيرها من بلاد الروم حيث زارها سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م و مرة أخرى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م حيث دخل أخلاط[٥]. وكانت هذه آخر رحلاته منهياً فيها الحديث عن نفسه.

من خلال ما تقدم فقد كان ابن الأزرق الفارقي رحالة زار مناطق كثيرة مكنته من رصد أحوالها و معاش سكانها، و عمرانها و حتى الكوارث التي تعرضت لها، بالتالي فإن لهذه الرحلات قيمة علمية كبيرة فهي تزود القارئ من غير قصد بمعلومات عن الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و حتى الجغرافية التي عاشتها المنطقة في الحقبة التي عاش فيها المؤرخ .

تنقطع أخبار ابن الأزرق الفارقي عند سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م بالتالي فإن معظم الباحثين الذين تناولوا المؤرخ في أبحاثهم حددوا تاريخ وفاته بعد سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م[٦]، لعدم تطرق المؤرخين في كتب تراجمهم له وللحديث حتى عن وفاته لأسباب غير معروفة و الله أعلم.

٢- شيوخه:

تقصر كتب التاريخ عن الحديث عن شيوخ الفارقي و يذكر هو فقط تتلمذه على يد العديد من الشيوخ في أثناء زيارته لبغداد لذا لا بدّ من التعرف على هذه الشخصيات التي شغلت دوراً في صقل شخصيته العلمية.

١- عبد الوهاب الأنماطي(٤٦٢هـ-٥٣٨هـ/١٠٦٩-١١٤٣م):

ولد عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م سمع من الزينبي و غيره من

(١)- الدربند: تسمى أيضاً باب الأبواب، تقع على بحر طبرستان و هو بحر الخزر مدينة محكمة البناء موثقة الأساس فيها زرع كثير و ثمارها قليلة إلّا ما يحمل من النواحي و عليها سور من الحجارة ممتد من الجبل طولاً في غير ذي عرض، لا مسلك على جبالها إلى بلاد المسلمين لصعوبة المسالك في بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر متقدم، ج١، ص٣٦٠.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢١٢، ٢١٣، ٢٥٤.

(٣)- أخلاط: من مدن أرمينية في مستوٍ من الأرض فيها بساتين كثيرة و أنهار عديدة تأتيها على شبه أنهار دمشق، بردها شديد و الجبال بعيدة عنها مسيرة يوم لكنها كثيرة الخصب؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر متقدم، ص٣٩٥.

(٤)- أرزن الروم: آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق، و في شرقيها و شماليها منبع الفرات تقع في صقع أرمينية قريبة من أخلاط؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر نفسه، ص٣٨٥.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٦٥، ٣١٩.

(٦)- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع متقدم، ج٥، ص٤٤٣؛ ابن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، مصدر متقدم، مقدمة التحقيق، ص٥٠٧١.

علماء بغداد. وصف بالحفظ المتقن و سعة الرواية قرأ العديد من الكتب الكبار و نسخ العديد منها[١]، وصفه ابن الجوزي بقوله (كان صحيح السماع ثقة ثبتاً و كنت أقرأ عليه الحديث و هو يبكي فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، كان على طريقة السلف و انتفعت به ما لم أنتفع بغيره)[٢] توفي في سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م[٣].

٢- أبو منصور بن الرزاز (٤٦٢-٥٣٩هـ/١٠٦٩-١١٤٤م):

ولد سعيد بن محمد بن عمر بن منصور بن الرزاز سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م[٤]، سمع الحديث و تفقه على أبي حامد الغزالي و غيره و تولى التدريس بالنظامية ثم عزل عنها[٥]، كان يتصف بالوقار و السمعة الحسنة روى عنه السمعاني ، و توفي سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م و دفن عند الشيخ أبي اسحاق الشيرازي [٦].

٣- أبو منصور الجواليقي (٤٦٥-٥٤٠هـ/١٠٧٢-١١٤٥م):

ولد موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م[٧]، سمع الحديث الكثير و علم اللغة حتى انتهى إليه هذا العلم فدرّسه و درّس العربية في النظامية مدة فلما تولى الخلافة المقتفي لأمر الله ت ٥٥٥هـ/١١٥٩م اختص بإمامته، عرف عنه غزارة العلم، والتواضع في الملبس و طول الصمت و التفكير[٨]، قال عنه ابن الجوزي: (سمعت منه كثيراً من الحديث و قرأت عليه كتاب المعرب و غيره من تصانيفه و قطعة من اللغة)[٩]. ألف في العروض، و عمل كتاب المعرّب، والتكملة في لحن العامة، توفي سنة ٥٤٠هـ /١١٤٥م[١٠].

٤- أما شيخه الرابع فقد التقاه بالموصل ثم بدمشق و كان:

القاضي كمال الدين الشهرزوري (٤٩١-٥٧٢هـ/١٠٩٧-١١٧٦م)

---

(١)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص١٠٤؛ سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص١٣٤.

(٢)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٣٣.

(٣)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٣٣٤.

(٤)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٤٠.

(٥)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص١٠٧؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٣٣٦.

(٦)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص١٦٩.

(٧)- الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص١١٠.

(٨)- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٣٣٩.

(٩)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٤٦.

(١٠)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص٨٩.

ولد محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) في بغداد و تفقه فيها[١]، ولي قضاة الموصل و اهتم بنشر العلم في منطقة سكناه، أكرمه عماد الدين زنكي ت ٥٤١هـ/١١٤٦م[٢] أكبر إكرام ثم وفد على ولده نور الدين محمود ت ٥٦٨هـ/١١٧٢م[٣] في حلب فبالغ في احترامه و أنفذه رسولاً إلى الخليفة المقتفي [٤]، ولي مناصب إدارية في مدينة دمشق، كان أديباً شاعراً له كلام حسن في الأصول توفي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م[٥].

٣- تلامذته:

لم تذكر كتب التاريخ تلميذاً لابن الأزرق الفارقي، و لكن سعة علمه و كثرة رحلاته و حلقات العلم الكثيرة التي حضرها لا بدّ و أنها بالطبع مكنت الكثيرين من الإحتكاك به و الأخذ من معارفه. لم تكشف الكتب عن أسماء هؤلاء، و لكنهم بالطبع يرجح أنهم وجدوا و استفادوا من علومه.

٤- مؤلفاته:

تاريخ آمد و ميافارقين أو ما يسمى اختصاراً باسم التاريخ الفارقي، ذكره معظم المؤرخين الذين استعانوا به باسم تاريخ ميافارقين[٦]، بينما أطلق عليه بدوي عبد اللطيف اسم التاريخ الفارقي[٧]. يلاحظ من اسمه بأنه يصنف في نطاق تواريخ المدن فهو يؤرخ لتاريخ مدينة ميافارقين، قام بدوي عبد اللطيف بتحقيق القسم الخاص بالدولة المروانية و لكنه لم يكمل التحقيق و أهمل صفحات عديدة منه،

(١)- ابن الجوزي، المنتظم، مصدر متقدم، ج١٨، ص٢٣٣.

(٢)- عماد الدين زنكي: الأتابك زنكي بن الحاجب قسيم الدولة آق سنقر بن عبد الله. تولى بأمر من السلطان السلجوقي شحنكية بغداد سنة ٥١١هـ/١١١٧م ثم تحول إلى الموصل حيث أصبح أتابكاً لابن السلطان سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م ، عظم أمره فيما بعد و استولى على البلاد، فاتحاً الرها و محرراً إياها من الفرنج و متملكاً حلب، و الموصل و حماه، و حمص، و بعلبك، و بانياس وحاصر دمشق. نازل قلعة جعبر و حاصرها و قُتل عندها سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢٠، ص١٨٩.

(٣)- نور الدين محمود: تولى شؤون البلاد بعد مقتل والده سار في خدمته صلاح الدين، ملك حلب، و دمشق، وسائر بلاد الشام، و افتتح عدداً من بلاد الشام، كان ملكاً عادلاً، زاهداً متمسكاً بالشريعة بنى المدارس و البيمارستانات و نسبت إليه الكثير من المباني في مدن بلاد الشام توفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م بقلعة دمشق؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٥، ص١٨٤.

(٤)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر متقدم، ج٢١، ص٥٧.

(٥)- الذهبي، العبر في أخبار من غبر، مصدر متقدم، ج٤، ص٢١٥؛ ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر متقدم، ج١٦، ص٥٢١.

(٦)- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، مصدر متقدم، ج٥، ص٢٣٠١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج١، ص١٧٧؛ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مصدر متقدم، ص١٦٧.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر متقدم، ص٣.

وفي أثناء مراجعة أ.د.سهيل زكار لمخطوطة التاريخ الفارقي وجد جزءاً أهمله عبد اللطيف فقام بتحقيقه و نشره في الموسوعة الشاملة(١)، و بما أنه المؤلف الوحيد الذي ينسب لابن الأزرق الفارقي والموجود في المكتبات فلا بدّ من دراسة هذا الكتاب من جميع جوانبه لتوضيح أهمية و منهج ابن الأزرق كمؤرخ وافدٍ للعراق و لتوضيح الجوانب التي من خلالها أثرت بغداد على طريقته في التدوين التاريخي.

١ً- صفة الكتاب: كتاب شامل لتاريخ آمد وميافارقين و منطقة الجزيرة و ما جاورها من إمارات و ما داخلها من أحداث منذ العصور القديمة قبل الإسلام مروراً بالعصور الإسلامية و حتى زمن المؤرخ. يصنّف الكتاب في نطاق تواريخ المدن إلّا أنه تاريخ عام لا ينحصر فيها إنما اتسع نطاق التأريخ ليشمل الساحة الإسلامية ككلّ.

٢ً- الخطة العامة للكتاب: كتاب سردي عام و حولي في معظم فصوله يقع في جزء واحدٍ حقق الجزء الخاص منه بالدولة المروانية بدوي عبد اللطيف في كتابه بادئاً الكتاب بقول المؤرخ (ذكر ابتداء ولاية الأكراد بميافارقين)(٢)، ابتدأ كتابه من سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م و ختمه بسنة ٥١٢هـ/١١١٨م(٣)، معتمداً في التحقيق على مخطوطتي كمبردج الموجودتين في المتحف البريطاني الأولى و هي الكبرى تقع في ٢٠٩ ورقة و تحوي كل صفحة على ٢٣ سطراً مكتوبة بمداد أسود على ورق أصفر، أما المخطوطة الثانية و هي الصغرى تقع في (١٣٩) ورقة و في كل ورقة (١٣) سطراً(٤) وفي كلتا النسختين لم يذكر اسم ناسخها أو سنة الانتهاء من نسخها. إن ما نشره بدوي عبد اللطيف من المخطوطة يحتوي على معلومات مهمة إلّا أن المؤرخ في معظمها كان ناقلاً عن غيره و لم يكن بشاهد عيان.

و لكن لدى عودة د.زكار للمخطوطتين لاحظ بأن هناك قسماً لم ينشره عبد اللطيف و هو جزء هام كان فيه المؤرخ معاصراً لجميع الأحداث التي تحدث عنها، فقام بتحقيقه و نشره في الموسوعة الشاملة الجزء الحادي عشر(٥)، ابتدأ من حيث توقف الكتاب الأول من سنة ٥١٢هـ/١١١٨م و ختمه بسنة ٥٧١هـ/١١٧٥م(٦).

لم يقسم المؤرخ الكتاب إلى فصول و أبواب بقوله فصل كذا أو باب كذا، إنما سرد أحداث كتابه بلغة سهلة، بسيطة لينتقل إلى استخدام الأسلوب الحولي ثم يعود مرة ثانية إلى الأسلوب السردي متخللاً حديثه العديد من التراجم.

---

(١)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر متقدم، ص٥٠١٦.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٤٩.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٥١ إلى ٢٨٦.

(٤)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٩، ١٠.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٥٠١٧.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٠٩ إلى ٣٢١.

احتوى الكتاب على تاريخ مفصل لدولة آل مروان و ابتداء أيامها مع ذكر مفصل لحكامها و لأعمالهم في ميافارقين و آمد و حال هذه المدن في زمنهم و ما أدخله كل حاكم من تحسينات[١]. بالإضافة إلى احتوائه على معلومات تتعلق بالأخطار التي تعرضت لها من تهديدات على يد الروم[٢]، إلى فتن و مشاكل داخلية و علاقات جمعتها بالخلافة العباسية و الإمارات المجاورة لها سواء أكانت الحمدانية أم الفاطمية في مصر[٣]، مع الإشارة إلى ظهور السلاجقة وحال المنطقة في عهدهم وصراعهم مع عدو جديد ظهر في المنطقة متمثلاًبالإفرنج المعتدين راصداً مسرح بلاد الشام وما جرى فيه من معارك و ما قامت فيه من تحالفات سياسية[٤] بلغة سهلة وأسلوب قصصي رصد من خلاله المؤلف حال المدن و أحوالها الاقتصادية و تكويناتها الاجتماعية من خلال حديثه عن رحلاته بين الفينة و الأخرى[٥].و مشيراً إلى مستواها الثقافي من خلال تراجم علمائها و فقهائها[٦]، بالتالي رسم صورة واضحة المعالم لحال منطقة الجزيرة العليا و بلاد الشام في القرن الرابع و الخامس و السادس للهجرة /العاشر والحادي عشر والثاني عشر للميلاد.

لم ينسَ ابن الأزرق ذكر مصدر معلوماته في معظمها[٧]، موثقاً للأشعار التي ذكرها[٨] مبتدئاً مروياته و أخبار سنواته بقوله (و في سنة كذا، و فيها، قيل، وجدت بخط ، حدثني، هذا ما وصل إلي، زرت، اجتمعت، شاهدت)[٩].

هكذا كانت خطة المؤلف في عرض محتويات كتابه، لكن ما هي الدوافع التي دفعته لتأليفه؟ أقام بذلك إرضاء لخليفة؟ أم أمير؟ أو سلطان؟ أو بناءً على طلب من أحد المقربين إليه؟ أو قام بذلك مدفوعاً بحبه لمدينته ميافارقين و عشقه و شغفه بالتاريخ و تتبع أحداثه؟ فقام بدوي عبد اللطيف بنقل كلمات في مقدمة التحقيق تعود للمؤرخ قال فيها (و أحببت أن أجمع كتاباً و أذكر فيه بناية ميافارقين و أول من شرع في عمارتها،

(١)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر متقدم، ص٤٩-١٧٧، ص٢٦٢.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٨٤، ١٨٦؛ ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٣٣.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٧٢، ٧٨، ٩٢، ١٠٩، ٦٥.

(٤)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٥٢، ١٨٦؛ التاريخ الفارقي، تحقيق د (زكار)، مصدر نفسه، ص٢٣٨، ٢٦٨.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د (زكار)، مصدر نفسه، ص٣١٩، ٢٩٨، ٢٣٥.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د (زكار)، مصدر نفسه، ص١٤٥، ٢٢٥، ٢١١، ١٧٤.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٦٥.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٨٥.

(٩)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٦٣، ٢١٦، ٢٢١، ٢٣٠؛ التاريخ الفارقي، تحقيق د (زكار)، ص٢٦١، ٢٧٣، ٢٣٦، ٢٩٥.

و على يد من جرى ذلك، و في أي زمان كان مدة كونها بيد الروم إلى أن فتحها الفرس و بقيت في أيديهم مدة، و رجعت أخذها منهم الروم و بقيت في أيديهم إلى أن فتحها المسلمون في سنة ثماني عشرة للهجرة على ما ذكرناه)[١].

كما أنه رغب في الحديث عن حكامها و أحداث كل خليفة و حاكم تولاها فيقول (و سنذكر من وليها في زمن الخلفاء في زمن ولاية بني أمية و ولاية بني العباس ومن وليها أيام كل خليفة منهم إلى أن انفردت عن حكم الخلفاء و نذكر من وليها بعد ذلك ملكاً بعد ملك إلى الآن و هي سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة للهجرة المحمدية العربية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام و التحية آناء الليل و أطراف النهار و على آله و صحبه و سلم تسليماً كثيراً)[٢].

من خلال دوافع تأليف الكتاب و المجالات التي رغب ابن الأزرق الفارقي في تناولها بكتابه يلاحظ مدى أهميته كَمُؤَلف تاريخي مكّن من استخلاص معلومات عن مدن الشام و الجزيرة في النصف الثاني من الألف الأول للهجرة و بداية الألفية الميلادية الثانية لذا لا بد من إلقاء ضوء على مميزات هذا المُؤَلف.

١ – النتاج الوحيد للمؤرخ الموجود في الزمن الحاضر و المتداول بين القراء مكّن من خلاله من التعرف على أسلوب المؤرخ في تدوين التاريخ و موقفه منه.

٢– أناط الستار عن تاريخ الأسرة المروانية و ابتداء حكمها في ميافارقين و توسع في ذكر زعمائها و رجالها و أشهرهم نصر الدولة بن مروان ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م[٣]، إضافة إلى رسم شجرة نسب واضحة و كاملة لآل مروان[٤]، انتهاءً بزوال حكم هذه الأسرة[٥]، متحدثاً عن منجزاتهم في مدنهم و علاقاتهم مع الأسرة البويهية[٦]، و موقفهم من الخلفاء العباسيين في بغداد و مشيراً إلى دور السلاجقة و بروزهم على الساحة و علاقاتهم مع الإمارات الناشئة في المنطقة[٧].

كما أن أهميته تظهر في الحديث عن ميافارقين بعد زوال أسرة بني مروان و من تولاها بعدهم، ثم حالها في

---

(١)– ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر متقدم، ص١٢.

(٢)– ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٢.

(٣)– ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر متقدم، ص٦٠، ٧٥.

(٤)– ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٢٥٤، ٢٦٥.

(٥)– ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٢٤٨.

(٦)– ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٥٥–٥٩، ص٨٦.

(٧)– ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٨٦، ٢٢٤، ٦٣؛ التاريخ الفارقي، تحقيق د (زكار)، ص٢٠٩، ٢١١.

عهد عماد الدين و نور الدين حتى قدوم صلاح الدين ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م[١] إلى بلاد الشام سنة ٥٧١هـ /١١٧٥م و ضمه لها إلى دولته الناشئة[٢].

تخلل ذلك إبراز دور الروم في المنطقة و تشكيلهم تهديداً خطيراً لإمارات شمال بلاد الشام و كيفية مواجهتهم[٣] إضافة إلى دور الفاطميين في التأثير بالخارطة السياسية في المنطقة مع الحديث عنهم و عن انقسامهم و الاغتيالات السياسية التي مارسوها و مدى تأثيرها على الأوضاع السياسية[٤]. و الدور الدفاعي الذي نهضت به الإمارات الشامية ضد الخطر الصليبي الذي داهم أراضيها و العبء الكبير الذي تحملته الأسر و الدول في التصدي لهم حيناً و مهادنتهم أحياناً أخرى[٥]. و لم ينس الحديث عن بلاد الكرج. و لحديثه أهمية كبيرة لتقديمه وصفاً لها و لحال الإمارات الملاصقة للحدود الشمالية للدولة الإسلامية و ما واجهته من أخطار و طبيعة العلاقات التي ربطتها بالإمارات الإسلامية[٦].

٣ً- زود الكتاب بمعلومات عن مدى التطور العمراني الذي شهدته ميافارقين و آمد و المناطق المحيطة بهما، من خلال رصده للحركة العمرانية في عصر آل مروان من ترميم للأسوار[٧] و للقلاع و القصور فيهما[٨]، و بناء للقنوات التي عدت من المرافق الحيوية في ميافارقين للحاجة الماسة إليها في تأمين مياه الشرب فتناولها بالتفصيل من خلال أماكنها و أبعادها و طريقة بنائها مع ذكرٍ كاملٍ لتكاليف البناء و من قام به، حيث كانت في معظمها أوقافاً وهبها التجار و غيرهم من الشخصيات البارزة لأهل المدينة[٩] يضاف إليها الحديث عن بناء الجسور و الأبراج[١٠]، من خلال ماتقدم يستنتج بأن الوضع العمراني كان متطوراً في ميافارقين و نشطاً و تطوره يدل على مدى الاستقرار و الغنى و الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به المدينة

---

(١)- صلاح الدين: يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر، ولد بقلعة تكريت سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، ترعرع في كنف والده الذي خدم حكام بني أيوب، أعجب به نور الدين ت ٥٦٨هـ/١١٧٢م لنجابته و شجاعته فكلفه مع عمه أسد الدين شيركوه بالمسير نحو مصر، التي دخلت منهياً الحكم الفاطمي فيها سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م كان مجاهداً، إليه يعود الفضل في تحرير القدس من أيدي الفرنجة، و حدّ بلاد الشام و مصر و توفي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٢م، دفن في قلعة دمشق ثم نقل فيما بعد إلى مقبرة الكلاسة سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر متقدم، ج٧، ص١٣٩-١٤٠، ١٤٨.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، مصدر متقدم، ص٢٥٠، ٣٠١، ٣٢٠.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٨٤، ١٨٦.

(٤)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١١٦، ١١٧، ٢٦٧، ٢٧٧.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٦٨، ٢٧٤، ٢٩٩، ٣٠٠.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢١٢، ٢١٣، ٢٥٤، ٢٦٥.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٨٦، ٨٧، ٢٢٣.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٠٧، ٨٢.

(٩)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٦٣، ١٦٥.

(١٠)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٢٨٨.

التي عاشت في حالة من الرغد بسبب ازدهار التجارة فيها لموقعها على طريق تجاري حيوي مكّن أهلها من استغلال ذلك لمصلحتهم، و مما يدعم ذلك ذكر المؤرخ في مواضع عديدة لمقدار الأرباح التي جناها التجار في أسواقها[١]، إضافة لحديثه عن مقدار الأوقاف الموهوبة من قبل الناس و التي تشير إلى غنى أهلها حتى تمكنوا من وقف أموالهم في أعمال الخير[٢]، مع إشارات عابرة لغلاء الأرزاق في بعض السنوات بسبب القحط و المجاعة و غلاء أسعار بعض الحيوانات[٣]، الحديث عن الوضع الاقتصادي لا بدّ من أن يقود للحديث عن أنواع العملة المستخدمة في ميافارقين مع إشارات عرضية لأنواع من العملات التي سكت في تفليس[٤].

بالتالي فإن المدينة كانت مستقرة اقتصادياً و استقرارها هذا سيكون له انعكاسه على الوضع الاجتماعي، الذي تميز بتعايش بين العامة مع بعضهم و مع الحكام و لم تنشب صراعات داخلية إلّا ما ندر[٥]، مشيراً أيضاً إلى مراسيم الزواج و خاصة الزواج السياسي الذي كان ظاهرةً عامة و واضحة في القرنين الخامس و السادس للهجرة/ الحادي عشر و الثاني عشر للميلاد سواء أكان مع دول أو إمارات مجاورة لهم[٦].

كما أنه رصد الحرائق في أسواق ميافارقين، و آمد، و حلب، و أخلاط[٧]، و الأوبئة في أكثر بلاد الشام[٨]، يضاف لها رصد لبعض التشريعات السلطانية و أنواع الملابس و الخلع التي تمنح في المناسبات الخاصة[٩].

و لم يغفل المؤرخ الطبيعة و ظواهرها فكان لها نصيبٌ في كتاباته، من خلال رصده لحركة الزلازل التي أصابت المنطقة و ما تركته من دمار في سنوات ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، و ٥٥٢هـ/١١٥٧م، و ٥٦٥هـ/١١٦٩م[١٠]، و مواعيد الفيضانات و السيول التي اجتاحت المنطقة،

---

(١)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر متقدم، ص١٦٥.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١١٥.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٥٢؛ التاريخ الفارقي، تحقيق سهيل زكار، ص٢٩٤، ٢٩٠.

(٤)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص١٦٧، ١٥٩، ٢١٢.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٠٠.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٧٢-٧٤، ١٢١.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٤، ٣٠٠.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٩٢.

(٩)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٠٨.

(١٠)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٦١؛ التاريخ الفارقي، تحقيق زكار، مصدر نفسه، ص٢٧١، ٢١٣، ٢٩٧.

مع إشارات إلى حالة المناخ من برودة و حرارة[١]، و مراقباً لمقدار زيادة مياه دجلة في كل سنة[٢].

و بما أن المؤرخ كان من موظفي الحكومة فإنه و لسبب ما اهتم برصد منصب القاضي في ميافارقين و من تولاه في كل سنة[٣]، مشيراً إلى مكانته الكبيرة و الصلاحيات الواسعة التي منحت له في الدولة العباسية.

أشياءٌ كثيرة أعطت هذا الكتاب أهمية تاريخية و جعلته من المصادر المهمة في المكتبات العالمية. و لكن لا بدّ أخيراً من دراسة منهج المؤرخ في كتابه ليتم التعرف من خلالها على منهجه في التدوين التاريخي و على السمات المميزة التي تركها في مسيرة التأريخ.

ً١- اتبع أسلوباً حولياً، داخله أسلوب سردي عام في جزئه الأول فهو تحدث في الجزء الأول من كتابه غير المنشور عن أخبار ميافارقين قبل تولي آل مروان للسلطة فيها سارداً هذه الأخبار ليبتدىء باستخدام أسلوبه الحولي بشكل منهجي مع سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م[٤].

ً٢- عباراته قصيرة، سهلة التعبير، لا حشو فيها و لا زخارف لفظية، اعتمد مبدأ انتقاء الكلمات والميل إلى الاختصار، حيث لم تتجاوز أخباره في بعض السنوات بضعة أسطر[٥].

ً٣- كان ناقداً لرواياته، فلم يكن مؤرخاً ناقلاً غير مستوعب لعباراته همّه الوحيد حشو كتابه بالمعلومات، إنما نقد مروياته في كثير من المواضع مثال (و أظنه وهماً و الصواب هو ...)[٦]، كما أنه في بعض المواضع لم يحكم على مروياته، وإنما ذكر الحادثة و أورد المرويات عنها ثم ختمها بقوله (الله أعلم، هذا ما وفقني الله لمعرفته، والله أعلم بالصواب)[٧].

ً٤- لم يكن ذاكراً لشخصياته فقط و إنما أطلق أحكامه عليها و معظمها كانت أحكاماً إيجابية بقوله (كانا قلائد العصر، خصهما الله بالأدب، كان سلطاناً عادلاً)[٨].

ً٥- أما تراجمه وأسلوبه في عرضها فهو لم يبتدع أسلوباً معيناً، إنما ذكرها ضمن أحداث سنواته أو

---

(١)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر متقدم، ص١٠١؛ التاريخ الفارقي، تحقيق زكار ، مصدر نفسه، ص١٠١.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٢٩٣.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٤٥، ١٧٤، ٢٦٦.

(٤)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٨٠.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٢٣، ١٧٤.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار ، مصدر نفسه، ص٢٢٥.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق د.سهيل زكار ، مصدر نفسه، ص٢٦١؛ التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٢٦٢، ٢٦٥.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٧٠، ٨٥، ١٢٤، ٢٥٢.

في أثناء حديثه عن حادثة معينة أو عن تاريخ ما، مكتفياً بذكر اسم صاحب الترجمة، و وفاته، و شيئاً من صفاته و أعماله، إلّا أنه كان متوسعاً في حديثه عن نصر الدولة ذاكراً صفاته و سنوات حكمه و مشيراً إلى أعماله حتى زمن وفاته و متحدثاً عن أولاده و حالهم بعد وفاته(١). شملت تراجمه تراجم لقضاة حيث شغلوا حوالي نصف التراجم(٢)، يضاف إليهم تراجم لخلفاء و سلاطين و وزراء(٣)، و بعدها يذكر تراجم لأطباء(٤)، ثم فقهاء و رجال دين و شعراء(٥)، مع إشارته إلى بعض النساء(٦). و أحياناً يلاحظ ذكره لمواليد بعض السنوات(٧)، و ذكره لها كان نادراً خلال كتابه.

٦- أما موارده التي استعان بها فقد انقسمت إلى روايات شفهية تُرى بكثرة في الكتاب و لكن مع تجنبه لسلاسل الإسناد لكونه رجل سياسة و ليس برجل دين و فقه و حديث مشيراً إليها بقوله (سمعت والدي يحكي، كان حدثني، وصل الخبر، و كان قد قيل)(٨) إلى مؤلفات سابقة لمؤرخين سبقوه و لكن يلاحظ قلتها، فقد ذكر اعتماده عليها في ثلاثة مواضع فقط حيث قال (وجدت في تاريخ الصابئ، وجدت بخط فلان، و قرأت في المسالك و الممالك)(٩).

أما مصدره الأهم فهو مشاهداته و رحلاته التي تحدث عنها بشكل موسع و التي تعدّ من المصادر الصادقة و الهامة لتزويدها القارئ بمعلومات عن حال البلاد و حال سكانها من غير إضافات أو تحريفات و إنما ترصد الواقع كما يراه المؤرخ. و لقد أشار ابن الأزرق الفارقي إليها مراراً في كتابه حيث قال (و قد رأيت أنا، انحدرت و اجتمعت بفلان، لقيت فلاناً، زرت جميع المشاهد، و هما إلى الآن)(١٠).

بالتالي هكذا كانت حياة ابن الأزرق الفارقي و رحلته العلمية، حياة مليئة بالأحداث و النشاطات التي دونها في مؤلفه الوحيد الباقي له، و الذي مكّن من خلاله من إلقاء الضوء على حال الإمارات الشامية و الجزرية في العصر العباسي و على التطورات الاقتصادية و العمرانية التي لحقت بتلك المناطق، و مكّن من التعرف على

(١)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر متقدم، ص١٦٩-١٧٣، ١٧٧-١٧٩.

(٢)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٢١٧، ٢١٨، ١٧٦.

(٣)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص١٣٤، ٦٣، ٦٤، ٢١٥، ٢١٧.

(٤)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٧١، ٢٩١.

(٥)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٤.

(٦)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٨٧.

(٧)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٢٤٧، ٢٤٩.

(٨)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق سهيل زكار، مصدر نفسه، ص١٧٣، ٢٧٣، ٢٢٣.

(٩)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، مصدر نفسه، ص٦٥، ٢٢١، ٢٣٢.

(١٠)- ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق سهيل زكار، مصدر نفسه، ص٢٣٠، ٢٣٤، ٢٩٨، ٢٣٤، ٢٥٣.

نموذج من نماذج التدوين التاريخي لمؤرخ لم يعش في بغداد و إنما زارها في سنوات متفرقة مكتسباً علومه منها و متتلمذاً على يد شيوخها الذين زودوه بمعارف بغداد الكثيرة و التي مكنته من صقل موهبته في التدوين التاريخي.

من خلال هذين المؤرخين اللذين وفدا إلى العراق في العصر السلجوقي يمكن ملاحظة الآتي: بأن نماذج التدوين التاريخي لم تكن مختلفة و إنما واحدة في سائر أنحاء الدولة العباسية و إن هذه النماذج كانت مفتوحة للمؤرخين كافة حتى يأخذوا بها مدونين أعمالهم التأريخية على نسقها.

كانت بغداد في ذلك الوقت على الرغم من الهزات السياسية العديدة التي تعرضت لها ما تزال مركزاً علمياً مزدهراً لفت أنظار المؤرخين فقدموا إليها إما مستقرين فيها أو زائرين لها متزودين من علومها و معارفها.

ظهرت مؤلفات تاريخية عديدة ذات أسلوب حولي في معظمها و مع ظهور إضافي لتواريخ محلية اهتمت برصد حال مدن معينة في تلك الحقبة.

و هذه المؤلفات في معظمها أغنت المكتبات العالمية، و أظهرت مدى الاهتمام الذي بذله المؤرخون في رصد حال بغداد السياسية و ما جاورها من إمارات و دول ناشئة أثرت فيها و قادت فيما بعد إلى تغيير الخارطة السياسية للمنطقة.

و أخيراً أظهرت بأن لغة الكتابة لهؤلاء المؤرخين كانت اللغة العربية و عباراتهم اتصفت بالسهولة و البساطة في التعبير و المعنى مع استعانتهم في جمع معلوماتهم بمواد كثيرة هي المواد نفسها التي استعان بها المؤرخون العراقيون في ذلك العصر.

خاتمة:

عاش العراق خلال العصر السلجوقي جملةً من التطورات و الأحداث و التي تمثلت بدخول فئاتٍ جديدةٍ ومشاركتها للخليفة العباسي مقاليد السلطة و الحكم، إضافة إلى تحكمها في شؤون العراق الداخلية و الخارجية، و محاولتها التمازج مع العنصر الحاكم من خلال المصاهرة معه، كل ذلك لإضفاء نوعٍ من الشرعية عليها لكونها عناصر دخيلة على المجتمع العراقي. قدوم السلاجقة تلا العنصر البويهي الشيعي الذي حكم العراق وتحكم به مدة من الزمن، خلال تواجده في العراق نشر نوعاً من الأفكار و الثقافة التي أثرت على الفكر و العلماء، وأدّت إلى إيجاد نوعٍ خاصٍ من التأليف و الذي اضطر أصحابه إلى كتابته إرضاءً و خوفاً من تلك الفئة الحاكمة. لم يكن السلاجقة أفضل حالٍ من البويهيين فهم دخلوا العراق بحجة تخليصه من الأخطار و الفوضى التي سببها له البويهيون، لكنهم سرعان ماقلدوا هؤلاء في تصرفاتهم و مارسوا أعمال السيطرة بشكل غير مباشرٍ من خلال إيقاظهم للفكر الأشعري و للمذهبين الحنفي و الشافعي بشكلٍ خاصٍ أي تشجيعهم لمذاهب السنة وهم بهذا التشجيع يستطيعون برأيهم الحد من انتشار المذهب الشيعي و أفكاره. لم يلجؤوا إلى تشجيعه فقط و إنما قاموا بفرضه على العامة و جمهور العلماء و ذلك من خلال قيامهم بعملٍ ذكي ألاّ و هو استبدال حلقات العلم في الجوامع و المساجد بمنشآت تعليمية أُطلِقت عليها لفظة المدارس جُعِلت لها أماكن خاصة بها و مدرسين و مناهج تتناسب مع فكر السلاجقة ، بعملهم هذا والذي قام به طبعاً وزيرهم نظام الملك لم يشجعوا هذه المذاهب والأفكار فحسب، و إنما جعلوا اعتناقها شرطاً لمن أراد التتلّمذ فيها واكتساب العلم منها حيث غدت بعملهم هذا و بما بذلوه من أموال لدعمها مراكز علمية مهمة في تلك المدة. تَخرّج من تلك المدارس عدد كبير من العلماء، كما قصدتها شخصيات علمية مختلفة من أصقاع الدولة الإسلامية نهلت من علومها و أفكارها و حملت تياراتها و مناهجها العلمية و تربيتها الدينية إلى مناطق سكناها و التي كانت سبباً لتغييرات عدّة في تلك المناطق وخير مثالٍ على ذلك الدولة الموحدية التي قامت بين عامي ٥٢٤/٦٦٧هـ-١١٣٠/١٢٦٩م في المغرب و التي يعتقد بأن مؤسسها محمد بن تومرت تتلّمذ على يد مُدرسي النظامية وتشبّع بأفكارها في أثناء زيارته للمشرق و عند عودته إلى بلاده كانت هذه المكتسبات التي استمدها في المشرق سبباً في دعوته لمجموعة من الآراء الإصلاحية وحضّه على الزهد و التقشف و من ثم ثورته ضدد دولة المرابطين و تأسيبه لدولته فيما بعد.

إضافةً لدور المدارس النظامية في نشر تياراتٍ فكريةٍ أدّت إلى ولادة آراء و مذاهب فكرية جديدة إلاّ أنها حدّت من دور المساجد ومهمتها التعليمية، تلك المهمة التي نهضت بها منذ تأسيس الدولة الإسلامية . إضافةً إلى قيامها بربط الفكر السنّي بها، مثلما كان الفكر الإسماعيلي مرتبطاً بالأزهر ويدور حوله. أي يفهم من كل ذلك بأنها أدّت إلى الحدّ من دور رجال العلم و الدين، و جعلت أفكارهم و توجهاتهم مرتبطةً بها، كما أنهّا عَملت على تحجيم الاهتمام بالعلوم الفكرية و العقلية الجدلية و ركزت اهتمامها على العلوم التي تخدم مصالحها وتدحض بها حجج أعدائها، و لاسيما الباطنية ومذهبهم الاسماعيلي ، تلك الفئة التي نادت بنفسها كفئة حاكمة

مناوئة للسلطة الشرعية و للسلاجقة و مطالبة لنفسها بالإمامة و الحكم، فما كان من السلاجقة إلاّ أن جندوا مجموعةً من العلماء وعلى رأسهم الغزالي و الذي انبرى هو وغيره من العلماء والفقهاء للدفاع عن السلاجقة وفكرة الحكم الشرعي ضد الباطنية ومذهبهم العقلي الجدلي، فظهرت العديد من المؤلفات التي رسمت صورةً لنوعٍ من التيارات الفكرية التي انتشرت في ذلك العصر.

إضافةً لبناء السلاجقة المدارس و اهتمامهم بها إلاّ أنّهم كانوا من الداعمين لنوعٍ آخر من المنشآت الدينية التعليمية ألا وهي الربط و الزوايا التي ظهرت بداية على الثغور الشرقية لأغراضٍ عسكرية تمثلت بالزود عن الحدود ضدد الخطر البيزنطي، لكنها سرعان ما انتقلت إلى الشمال الإفريقي و انتشرت بشكلٍ واسعٍ فيه و كان لها دورٌ مهمٌ في حياة الدول التي نشأت هناك، و لكنها في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد و ما تلاه تحولت في المشرق من ربطٍ خاصةٍ بالجهاد إلى أماكن لممارسة الشعائر الدينية و لسكنى المتصوفة والزهاد و رجال العلم و الفقراء، كَثُرَ عددها و نهضت بمهامٍ كثيرة، شجعتها الدولة السلجوقية رغبة منها في التقرب من المتصوفة والعامة و لإحكام سيطرتها على تلك الفئات السالفة الذكر و التي بسيطرتها عليها تتمكن من التحكم بالمجتمع العراقي المرتبط بالدين بدرجة كبيرة في ذلك العصر.

تشجيعهم لهذه المنشآت و رصدهم لها الأموال الكثيرة أدى إلى انتشار تيار التصوف بشكل كبير في المشرق، و أدى إلى انتقال هذا التيار إلى الصحراء الكبرى و ولادة دولة المرابطين خلال النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، كما كان له دورٌ بارزٌ في إنشاء الزوايا الجيلانية و انتشارها ليس فقط بالعراق و إنما بالشمال الإفريقي.

يلاحظ بالتالي بأن قدوم السلاجقة و تشجيعهم لمذاهب معينة أدى إلى ولادة تيارات فكرية لم تؤثر على العراق فقط من خلال توجه علمائه إلى فكرٍ معين دفعهم للكتابة و التأليف ضمن مجالاتٍ محددة و أُهمِل التأليف في مواضيع أخرى، و إنما انتقلت هذه التيارات إلى مناطق عديدة مسببة في إحداث تغيرات فيها.

هذا فيما يتعلق بطبيعة التيارات الفكرية التي سببتها قدوم هذه الموجة من الأتراك و آثارها المختلفة والتي تمت ملاحظتها من خلال هذا البحث، أما فيما يتعلق بطبيعة الكتابات التأريخية التي تميزت بها المؤلفات التأريخية في ذلك العصر ، فإنها كانت قريبة من الكتابات السالفة، و لكنها تميزت بمميزات جديدة ، من ظهورٍ لفنونٍ تأريخية لم تكن موجودة من قبل بكثرة كالتأريخ المحلي، و الاهتمام بتصنيف التراجم ضمن نظمٍ ومناهجٍ معينة، إضافةً إلى ظهورٍ لأسرٍ تأريخيةٍ اهتمت بالعمل التأريخي و اختصت بمؤلفات معينة حرصت على إكمالها جيلاً بعد جيلٍ، مع ظهورٍ لتواريخ عالمية، و اهتمامٍ بإدخال السياسة إلى التاريخ من خلال جعله منبراً لعرض الأفكار السياسية الداعية لمناصرة السلطة و دحض الفئات المناوئة لها من خلال العقل والمنطق والحجج الدامغة كما سلف الإشارة لذلك.

وإذا ما تم الإنتقال من فنون الكتابة إلى الإسلوب المتبع في التدوين فيلاحظ غيابُ سلاسل الإسناد و الذي كان خاصاً بأسلوب كتابة المحدثين، والعناية فقط بعرض المعلومة والأفكار مهملين في بعض الأحيان العناية بذكر مصدر المعلومة، و مكثرين في أحيانٍ أخرى من ذكر المصادر والوثائق الخاصة بالأحداث التي يتطرقون لها في مؤلفاتهم.

كل ذلك كان بلغةٍ بسيطةٍ ، و بمفرداتٍ سهلةٍ ،عربية واضحةٍ في معظم المؤلفات ولكنها في أخرى كانت مليئةً بالمحسنات اللفظية ، مع ملاحظة دخول مفرداتٍ تركية إلى هذه المؤلفات. و بأسلوبٍ سردي حيناً وحواري حيناً آخر.

مؤلفاتٌ كثيرةٌ كتبت من قبل مؤرخين و فقهاء و رجال علم و دين و سياسة رصدت أوجه الحياة في العصر السلجوقي بالعراق ليس فقط السياسي منها و الذي امتاز بالقوة بدايةً و لكنه أصابه الضعف مع وفاة ملكشاه السلجوقي لكثرة الصراعات على الحكم و الفوضى التي انتشرت في أنحاء البلاد ، فالسلاجقة لم يستقروا في العراق بشكل دائمٍ و إنمّا عينوا حكاماً نابوا عنهم في حكمه واستقروا في بلاد فارس متخذين من الري مركزاً لهم ولكن كلُّ ضعفٍ أصابهم أثر على المناطق التي تبعت لهم ، مما كان له أثره فيما بعد في مواجهة الأخطار الخارجية التي تعرضت لها المنطقة العربية و خاصة الخطر الصليبي القادم من أوربا و الذي شكل تهديداً كبيراً للدول الإسلامية و أدى إلى تغييرات كبيرة في خارطة السياسة في ذلك العصر.

هذا فيما يتعلق بالجانب السياسي الذي رصده المؤرخون في مصنفاتهم ، أما الأوضاع الاقتصادية فإنها كانت جليةً في مؤلفات ذلك العصر الذي اهتم برصد الاقتصاد العراقي و الذي تأرجح مابين انفراجٍ و تأزمٍ لكثرة ما أصابه من كوارث طبيعية، و فوضى وحروبٍ داخلية، و يلاحظ في هذا المجال بأن المؤرخين اهتموا بالحديث عن نظم الإقطاع التي أدخلها السلاجقة و التي لم يكن لها آثارٌ اقتصادية فحسب و إنمّا تعدتها لآثارٍ سياسية تمثلت بولادة إماراتٍ و دولٍ مستقلة ليس فقط بالعراق و إنمّا في فارس و الشام وآسيا الصغرى.

كل ذلك مع رصدٍ للحياة الاجتماعية و لطبقات المجتع العراقي، ولرسوم الزواج المختلفة التي أقيمت في ذلك الوقت و لمراسيم العزاء، إضافة لرصدٍ الفتن المختلفة التي نشبت بين الطوائف و المذاهب المختلفة. بروح المؤرخ الراصد و المحايد في نقل الاحداث و تدوينها.

في النهاية فإن للحركة التأريخية أهمية بالغة، ليس فقط لكونها علماً من العلوم التي نمت وكبرت مع مسيرة الإنسانية، وإنمّا لكونها العين الراصدة الفاحصة و الناقلة لمجريات حياة الدول و الحضارات المختلفة، يستطيع المرء من خلالها التعرف على الأمم السالفة، و إدراك مدى التطور الذي عاشوه أو مقدار الضعف الذي وقعوا فيه، لأخذ العبرة و العظة.

وهكذا كانت حال الحركة التأريخية بالعراق بالعصر السلجوقي، حركة مكّنت المؤرخ و الباحث من رصد الدولة السلجوقية و آثارها التي خلفتها خلال مسيرتها الحضارية.

جريدة المصادر و المراجع

أولاً- المصادر.

ثانياً- المراجع

١- المراجع العربية.

٢- المراجع المترجمة إلى العربية.

٣- الأبحاث و الدوريات و المقالات.

٤- المراجع الأجنبية.

أولاً– المصادر:

١– ابن الأثير (علي بن محمد ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):اللباب في تهذيب الإنساب، تحقيق: مكتب البحوث في دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢– ________________________: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٣– ابن الأزرق الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي ت بعد ٥٧٢هـ/١١٧٦م): تاريخ الفارقي، حققه و قدم له: بدوي عبد اللطيف عوض، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م؛ حقق القسم الثاني من التاريخ الفارقي و قدم له ضمن الموسوعة الشاملة أ.د سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١١.

٤– الأزدي (علي بن ظافر ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م): أخبار الدولة الحمدانية في الموصل و حلب و ديار بكر والثغور، تحقيق: تميمة الرواف، دمشق، دار حسان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٥– ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د، ت).

٦– البغدادي(عبد المؤمن بن عبد الحق ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تحقيق: علي محد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٤م/١٣٧٤هـ.

٧– البنداري (الفتح بن علي بن محمد ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م): تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

٨– البيهقي (محمد بن الحسين ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م): تاريخ بيهق، تحقيق و ترجمة: يحيى الخشاب و صادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٩– ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار التراث، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٠– ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١١– الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م): البيان و التبيين، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، مطبعة الفتوح، ١٣٣٢هـ/١٩١٣م.

١٢– ابن جبير (محمد بن جبير ت ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، بيروت، دار الشرق العربي، (د، ت).

١٣- ابن جماعة (ابراهيم بن سعد الله ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم و المتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت).

١٤- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): صفة الصفوة، صنع فهرسه و قدم له: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٥- ________ : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العربية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٦- الجوهري (اسماعيل بن حماد ت ٣٩٨هـ/١٠٠٦م): الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، (د، ت).

١٧- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٨- الحسيني (علي بن ناصر ت في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد): أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق و نشر: محمد إقبال، لاهور، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

١٩- الحميري (محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد): الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٢٠- ابن حوقل(محمد بن علي بن حوقل تنحو ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ط٢، ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ.

٢١- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٢- ابن خلكان (محمد بن أحمد ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د، ت).

٢٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أخبار العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٢٤- ________: المقدمة، تحقيق: أحمد زكي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٢٥- ابن الدمياطي (أحمد بن أيبك ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: قيصر أبو الفرج، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت).

٢٦- الذهبي (محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢٧- ________ : تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٨- ________: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و آخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٩- ________: العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، فؤاد سيد، الكويت، وزارة الإعلام، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٣٠- الراوندي (محمد بن علي ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م): راحة الصدر و آية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة :ابراهيم الشواربي و آخرون، القاهرة، عين شمس، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٣١- ابن رسته (أحمد بن عمر ت ٣٠٠هـ/٩١٢م): الأعلاق النفسية، ليدن، المكتبة الجغرافية، ١٣١٠هـ/١٨٩٢م.

٣٢- الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، دار الحياة، (د، ت).

٣٣- ابن سباط (حمزة بن أحمد بن عمر ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): صدق الأخبار في تاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، جروس برس، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣٤- السبكي (عبد الوهاب بن علي ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي، هجر للطباعة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣٥- ________: معيد النعم و مبيد النقم، بيروت، دار الحداثة للطباعة و النشر، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٣٦- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: محمد عثمان الخشب، مصر، مكتبة ابن سينا، (د، ت).

٣٧- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٨- السمعاني (عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٣هـ/١١٦٧م): أدب الإملاء و الإستملاء، تحقيق: سعيد محمد اللحام، منشورات دار مكتبة الهلال، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣٩- ________: الأنساب، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٠- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤١- أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: ابراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤٢- الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل و النحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٤٣- الصابئ (هلال بن المحسن ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م): التاريخ، تحقيق: آمدروز و من بعده و.س مرجليوت، القاهرة، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، ج٨، ملحقاً بذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب بالروزراوري ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥.

/ أما الجزء ٣٤، حققه: رضوان أحمد مصلح الليث، كرسالة نال بها درجة الماجستير، اليمن، جامعة صنعاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤٤- ________: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراح، دار إحياء الكتاب العربية، ط٢، ١٣٧٨هـ/١٩٨٥م.

٤٥-________: رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٦- ________: غرر البلاغة، تحقيق: محمد الديباجي، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤٧- الصفدي (خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، ج٣، باعتناء: س.ديدرينغ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٤، باعتناء: س.ديدرينغ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٥، باعتناء: س.ديدرينغ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠، ج٦، باعتناء س.ديدرينغ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج٧، باعتناء: إحسان عباس، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج٢٥، باعتناء: محمد الحجيري، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٨- الطرطوشي (محمد بن الوليد ٥٠٢هـ/١١٢٦م): سراج الملوك، اعتناء :أنطون أفندي غندور، الإسكندرية، المطبعة الوطنية، ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م.

٤٩- ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية، تحقيق: محمود الكتبي، مصر، مطبعة الرحمانية، (د، ت).

٥٠- ابن العبري (غريغوريوس بن أهرون الملطي ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦هـ): تاريخ مختصر الدول، تحقيق :صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥١- ابن العديم (عمر بن أحمد بن أبي جردة ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د.سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م.

٥٢- ابن عساكر (علي بن الحسن ت ٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥٣-________: تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٤- العصفري (خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق :سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٥- ابن العماد (عبد الحي بن أحمد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٥٦- غرس النعمة محمد (محمد بن هلال ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م): عيون التواريخ، تحقيق : سميحة أبو الفضل، كرسالة نالت بها درجة الماجستير، إشراف د.سهيل زكار، جامعة دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٥٧-________: الهفوات النادرة، تحقيق: صالح الأشتر، دمشق، مجمع اللغة العربية، ط١، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

٥٨- الغزالي (محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ/١١١١م): التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق: محمد أحمد دمج، بيروت، دار عز الدين، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٥٩-________: فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، دار القومية للطباعة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٦٠-________: قواصم الباطنية،تحقيقAhmet Ateş، نشر في مجلة İlahiyat Fakültesĭ Dergĭsĭ, Ankara ünĭversĭtesĭ, I-II, 1954.

٦١- أبو الفداء (اسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، حققه: رينورد و البارون ماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م.

٦٢-________: المختصر في أخبار البشر، بيروت، دار المعرفة، (د، ت).

٦٣- ابن الفوطي (عبد الرزاق بن أحمد ت ٧٣٢هـ/١٣٢٣م) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، (د، ت).

٦٤- ابن قاضي شهبة (أبو بكر بن أحمد بن محمد ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م): طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، بيروت، مؤسسة دار الندوة الجديدة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٥- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد و أخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٦٦- ابن القلانسي (حمزة بن أسد ت ٥٥٥هـ/١١٥٩م): تاريخ دمشق، تحقيق :سهيل زكار، دمشق، دار إحسان، ط١، ١٩٨٣هـ/١٤٠٣م.

٦٧- القلقشندي (أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٣١هـ/١٩٩١م.

٦٨- ابن كثير(اسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية و النهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٩- ابن ماكولا (علي بن هبة الله ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف و المختلف في الأسماء و الكنى و الأنساب، بيروت، دار الكتب العالمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧٠- المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق: شارل بلا، بيروت، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧١- مسكويه (أحمد بم محمد ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم، تحقيق: آمدروز، مصر، شركة القمدن الصناعية، ١٣٣٥هـ/١٩١٦م.

٧٢- المقدسي (محمد بن أبي بكر النبات ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الأردن، دار الفارس للنشر، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧٣- المقريزي (أحمد بن علي ت ٨١٥هـ/١٤٤١م): إيقاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧٤-_______: المواعظ و الإعتبار في ذكر الخطط و الآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٧٥- ابن منبه (وهب بن منبه ت ١١٤هـ/٧٣٢م): التيجان في ملوك حمير، تحقيق: مركز الدراسات و الأبحاث اليمنية، صنعاء، نشر مركز الأبحاث و الدراسات اليمنية، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

٧٦- ابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٧٧- النديم(محمد بن اسحاق ت٣٨٠هـ/٩٩٠م): الفهرست، ضبطه وعلق عليه: يوسف الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م

٧٨- النرشخي (محمد بن جعفر ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م): تاريخ بخارى، تحقيق: أمين عبد المجيد البدوي و آخرون، القاهرة، دار المعارف، (د، ت).

٧٩- النسوي(محمد بن أحمد ت٦٣٩هـ/١٢٤١م):سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ حمدي، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٣م.

٨٠- نظام الملك (الحسن بن علي ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م): سياسة نامة، ترجمة: يوسف بكار، بيروت، دار القدس، (د، ت).

٨١- النعيمي (عبد القادر بن محمد ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م): الدارس في تاريخ المدارس، أعد فهارسه: جعفر الحسيني، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

٨٢- النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

٨٣- الهمذاني (محمد بن عبد الملك ت ٥٢١هـ/١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري، تحقيق :ألبرت يوسف كنعان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط٢، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

٨٤- ابن الوردي (عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٨٥- اليافعي (عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٨٦- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٨٧-________: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٨٨- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م): البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٨٩- اليماني (يحيى بن أبي بكر بن محمد ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م): غربال الزمان في وفيات الأعيان، تحقيق: محمد ناجي زعبي العمر، دمشق، دار زيد ابن ثابت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ثانياً– المراجع:

١– المراجع العربية:

١–اسكندر(فايز): الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، (د، ت).

٢– ألتونجي(محمد):المعجم الذهبي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٣– الألوسي(محمود شكري): تاريخ مساجد بغداد وأثرها، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

٤– أمين(أحمد): ضحى الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٠،١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥– أمين(حسين): تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٦– البرهاوي(رعد محمود): خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية، بغداد، مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٧– البغدادي(ابراهيم بن صبغة الله): عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٩٨م.

٨– البغدادي(إسماعيل باشا): هدية العارفين «أسماء المؤلفين وأثار المصنفين»، اعتنى به محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩– البيسومي(أحمد بن حسين): الحياة العلمية في العصرين الأتابكي والأيوبي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، اشراف د. سهيل زكار، جامعة دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٠– بيضون(ابراهيم): مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١١– ترحيني(محمد أحمد): المؤرخون والتأريخ عند العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت).

١٢– الجمل(شوقي): علم التاريخ نشأته وتطوره، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢.

١٣– حسن(ابراهيم):تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، بيروت، دار الجيل، ط١٥، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤– حسن(محمد عبد الغني): التراجم والسير، القاهرة، دار المعارف، (د، ت).

١٥– الحكيم(حسن عيسى علي): كتاب المنتظم لابن الجوزي، دراسة منهجه وموارده وأهميته، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

١٦– حلاق(حسان): مقدمة في مناهج البحث التاريخي، بيروت، دار النهضة العربية، (د، ت).

١٧- حلمي(أحمد كمال الدين): السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، ذات السلاسل، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٨- خضر(عبد العليم عبد الرحمن): المسلمون وكتابة التاريخ، فيرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٩- الخطيب(نشأت نور الدين): التاريخ والمؤرخون العرب، لبنان، شركة النعمان التجارية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٠- الدجيلي(عبد الصاحب عمران): أعلام العرب في العلوم والفنون، النجف، مطبعة النعمان، ط٢، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢١- الدرع(مريم): موارد ابن العديم التاريخية ومنهجه في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، رسالة لنيل لدرجة الدكتوراه، اشراف د سهيل زكار، جامعة دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٢- الدوري(عبد العزيز): نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٣- الزحيلي(محمد): مرجع العلوم الإسلامية، دمشق، دار المعرفة، (د، ت).

٢٤- الزركلي(خير الدين): الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٤، ١٩٩٩م.

٢٥- زكار(سهيل): التاريخ عند العرب نشأته وتطوره، دمشق، دار الفكر، (د، ت).

٢٦- ____________ : الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١/ج١١.

٢٧- زيان(بهي الدين): الغزالي ولمحات عن الحياة الفكرية الإسلامية، مصر، مكتبة النهضة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

٢٨- زيدان(جرجي): تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٩- الزيباري(محمد صالح): سلاجقة الروم في أسيا الصغرى، عمان، دار دجلة، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.

٣٠- سالم(السيد عبد العزيز): التاريخ والمؤرخون العرب، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ت).

٣١- السلمي(محمد): منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، المنصورة، دار الوفاء، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣٢- شبارو(عصام محمد): السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣٣- الشرقاوي(عفت محمد): أدب التاريخ عند العرب، بيروت، دار العودة، (د، ت).

٣٤- الشكعة(مصطفى): مناهج التأليف عند العلماء المسلمين، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٣٥- شميساني(حسن): مدارس دمشق في العصر الأيوبي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٣٦- الصقار(سامي): تاريخ التعليم عند المسلمين، الرياض، دار المريخ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٧- ضومط(انطوان): التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية، بيروت، دار الحداثة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٨- طوطح(خليل): التربية عند العرب، دمشق، وزارة اثقافة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٩- عباس(احسان): شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٠- عبد الوهاب(حسن): تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، دار الكتي المصرية، ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م.

٤١- عثمان(محمد فتحي): مدخل إلى التاريخ الإسلامي، بيروت، دار النفائس،ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨.

٤٢- العش(يوسف): الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها، دمشق، المكتبة العربية، ط١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م.

٤٣- عطا(زبيدة): الترك في العصور الوسطى، بيروت، دار الفكر العربي، (د، ت).

٤٤- العلوجي(عبد الحميد): مؤلفات ابن الجوزي، الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٤٥- العمري(أكرم): موارد الخطيب في تاريخ بغداد، الرياض، دار طيبة، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٤٦- عواد(كوركيس):خزائن الكتب القدمية في العراق، بيروت، دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٧- كاشف(سيدة اسماعيل): مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت، دار الرائد العربي، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٨- كحالة(عمر رضا): معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م.

٤٩-__________: معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

٥٠- كنعان(محمد بن أحمد): وفيات الأعيان والمشاهير خلاصة تاريخ ابن كثير، بيروت، دار المعارف، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥١- ماجد(عبد المنعم): مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٥٢- مصطفى(شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٥٣- معروف(ناجي): علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٥٤- النجار(حسين فوزي): التاريخ والسير، القاهرة، دار الثقافة والإرشاد القومي، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٥٥- النشرتي(حامد): أبو حامد الغزالي، القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٥٦- نصار(حسين): نشأة التدوين التاريخي عند العرب، منشورات اقرأ، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٥٧- أبو نصر(محمد): الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، مصر، عين للدراسات، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٥٨- نوري(موفق سالم): العلاقات العباسية البيزنطية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٥٩- الوافي(محمد عبد الكريم): منهج البحث في التدوين التاريخي عند العرب، بنغازي، جامعة قاريونس، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢- المراجع المترجمة إلى العربية:

١- بروكلمان(كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس وآخرون، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٢-___________: تاريخ الأدب العربي، نقله للعربية :عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣- رايس(تامارا تالبوت): السلاجقة تأريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري و ابراهيم الداقوقي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٤- روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة :صالح أحمد العلي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٥- سيزكين(فؤاد): تاريخ التراث العربي، ترجمة : محمود فهمي حجازي، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٦- كب: علم التاريخ، ترجمة: ابراهيم خورشيد وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨١م/١٤٠٢هـ.

٧- لويس(برنارد)، ب.م. هولت، مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث، نقله للعربية وقدم له: سهيل زكار، دمشق، دار التكوين، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣- الأبحاث والدوريات والمقالات:

١- بروفنسال(ليفي): مادة الزوايا، دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة عن الأصلين الإنكليزي والفرنسي، أصدرها بالعربية: أحمد الشنتناوي و آخرون، بيروت، دار المعرفة، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

٢- بليع(محمد توفيق): المسجد والحياة في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام، ع١، ١٩٨٠م.

٣- جواد(مصطفى): الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية، مجلة سومر، العراق، مج١٠، ج٢، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

٤- رؤوف(عماد عبد السلام): جوانب من النظم مدارس العصر العباسي، مجلة تعليم الجماهير، تصدر عن الجهاز المركزي العربي لمحو الأمية، العراق، عدد٢٠-٢١، ١٤٠٢-١٤٠٣هـ/١٩٨١-١٩٨٢م.

٥- كاراده فو: مادة الصابئة، دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة عن الأصلين الإنكليزي والفرنسي، أصدرها بالعربية: أحمد الشنتناوي و آخرون، بيروت، دار المعرفة، مج١، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

٤- المراجع الأجنبية:

1- P.M.Holt,AnnK.S.Lambton, .The Cambridge History of Islam, Cambridge University,London, 1987.